بسم الله الرحمن الرحيم

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

حقوق الطبع لكل مسلم مع العزو للمؤلف
وعدم التغيير في النص الأصلي

الطَّبْعَةُ الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

دار الإمام البخاري
للنشر والتوزيع

الدوحة - قطر - طريق سلوى - بجوار إشارة الغانم الجديد
ص.ب ٢٩٩٩٩ - هاتف: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٤٨٤٨ - فاكس: ٠٠٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨
albukharibooks@gmail.com

المجموعة الخامسة

تنبيه الأمة

على مسائل وأحكام شرعية مهمة

بقلم

أبي عبد الله حمزة النايلي

دار الإمام البخاري

الدوحة - قطر

بسم اللہ الرحمن الرحیم

مقدمة المؤلف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يُسعدني- أيها الأفاضل الكرام- أن أَضع بين أيديكم- بعد تيسير رب البرية- المجموعة الخامسة من كتاب: «**تَنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة**»، وهو عبارة كذلك عن مَقَالَات عِلمِيَّة، ونصائح تربويَّة، ورسائل توجيهيَّة إلى أبناء أُمَّتِنا الإسلاميَّة.

فما كان في هذا الكتاب من صواب- أيُّها الأحباب- فهو من توفيق العزيز الوهاب، وما كان فيه مِن خَطَأ، أو سَهْوٍ، أو نسيانٍ؛ فمن مُصنِّفه المقصِّر، وأستغفر على ذلك الغَفور المُقتدر.

فاللهُ جَلَّ وَعَلَا «**أبى أن يَكْسُوَ ثَوْبَ العِصْمَةِ لِغَيْرِ الصَّادِقِ المصدوق، الذي لَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى** ﷺ»[(١)].

فرحمَ اللهُ سبحانه أخًا مُحبًّا ناصحًا، وجد وَهْنًا فنصح، أو وجد خللًا فأصلح، ومَن منَّا- أيها الإخوة والأخوات- يَسلم من الخطأ والوقوع في الزَّلات!

(١) «مدارج السالكين» (٣/٣٩٤).

يقول الإمامُ مَالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هكذا حَفِظْنَا وهكذا وقع في كتابي، ونحن نُخطئ، ومَن يَسلمُ من الخطأ؟»[١].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا أن يَنفع بهذه المَقالات مُقيِّدَها وقارئَها، وأن يجعل ما سُطر فيها خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجزي كُلَّ من أعان على طباعة الكتاب ونشره وتوزيعه بين المسلمين خير الجزاء، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير!

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

كتبه

أبو عبد الله حمزة النايلي

(الخريطيات/ قطر)

---

(١) «فتح المغيث» للسخاوي (١٦/٢)، «شرح الموطأ للزرقاني» (١١٦/٣).

الإخلاص
سبيل الخلاص

الإخلاص سبيل الخلاص

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أهمِّ ما ينبغي على كل مسلم أن يحققه: الإخلاصَ، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحقيقته- أي: الإخلاص- تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين»[1].

لماذا أيُّها الأحبةُ الكِرَام؟

لأن العزيز العَلَّام أمر به الأنام، حيث قال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن لم يُخلص لله في عبادته لم يفعل ما أُمر به، بل الذي أتى به شيءٌ غير المأمور به، فلا يَصح ولا يُقبل منه»[2].

فالإخلاص- أيها الأفاضل- هو أساس دِين رَبِّ العَالَمِين، قال

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢/١٤٦).
(٢) «الجواب الكافي» (ص ٩١).

أبو العَالِيَة رَحِمَهُ اللَّهُ: « أُسِّسَ الدِّينُ على الإخلاص لله وحده لا شريك له»[١].

وهو شرط في صحة العمل وقبوله من المسلمين، **يقول صِدِّيق حَسَن خَان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا خلاف في أن الإخلاص شرطٌ لصحة العمل وقبوله»[٢].

فلا يَقبل الرحمنُ عملَ عبد كائنًا من كان إلا به، فعن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إلا ما كان له خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ**»[٣].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا)** أي: عن الرياء والسمعة **(وابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ)** ومن أراد بعمله الدنيا وزينتها دون الله والآخرة فحظه ما أراد، وليس له غيره، والرياءُ من أكبر الكبائر وأخبث السرائر، شَهِدَتْ بِمَقْتِهِ الآياتُ والآثارُ، وتواترت بِذَمِّهِ القصصُ والأخبارُ، ومَن استحيا من الناس ولم يستَحِ من الله فقد استهان به، وويلٌ لمن أرضى الله بلسانه وأسخطه بِجَنَانِهِ»[٤].

وهو من أهم الأسباب المعينة على تقوية إيمان العبد بالعزيز الوهاب، **يقول شيخ الإسلام ابن تَيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلما قَوِيَ إخلاصُ دينه لله

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/٢٢٠).
(٢) «الدين الخالص» (٢/٣٨٥).
(٣) رواه النسائي (٣١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٢).
(٤) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٠/٢٦٥).

كَمُلَتْ عبوديتُه واستغناؤه عن المخلوقات، وبكمال عبوديته لله يُبرئُه من الكِبْر والشرك»(١).

لأنَّه سبب في تطهير قلوب العباد من العيوب والآفات، فعن عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ثَلَاثٌ لَا يَغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فإنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ من وَرَائِهِمْ**»(٢).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ: «أي: لا يبقى فيه -أي القلب- غِلٌّ ولا يحمل الغِلَّ مع هذه الثلاثة، بل تَنفي عنه غِلَّهُ، وتنقيه منه، وتخرجه منه؛ فإن القلب يَغِلُّ على الشرك أعظمَ غِلٍّ، وكذلك يَغِلُّ على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلال.

فهذه الثلاثة تملؤه غِلًّا(٣) ودَغَلًا(٤)، ودواء هذا الغِلِّ واستخراج أخلاطه: بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة»(٥).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «أي: فمن أخلص أعماله كلها لله، ونصح في أموره كلها لعباد الله، ولزم الجماعة بالائتلاف، وعدم الاختلاف، وصار قلبه صافيًا نقيًّا، صار لله وليًّا، ومن كان بخلاف ذلك،

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٩٨).
(٢) رواه الترمذي (٢٦٥٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.
(٣) الغِلُّ : بالكسر، الغِش والحِقد. «مختار الصحاح» (ص٢٠٠).
(٤) الدَّغَلُ: بفتحتين، الفساد. «مختار الصحاح» (ص٨٦).
(٥) «مدارج السالكين» (٢/٩٠).

امتلأ قلبُه من كل آفة وشر، والله أعلم»[١].

فمن أخلص للرَّحمن- أيُّها الأحبة والإخوان- ذاق طعم الإيمان بالعزيز المنَّان، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ القلب إذا ذاق طعم عبادة الله والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ ولا أطيب»[٢].

وكان من أولياء أرحم الراحمين المتقين، **يقول شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن كان مخلصًا في أعمال الدين، يعملها لله، كان من أولياء الله المتقين أهل النعيم المقيم»[٣].

لذا كان الإخلاص سببًا في رفع رب العالمين لقدر ومكانة من سبقنا من سلفنا الصالحين، **فقد ذُكر عند الإمام أحمد** رَحِمَهُ اللَّهُ **الصدق والإخلاص فقال**: «بهذا ارتفع القومُ»[٤].

فهو طريق النجاة وسبيل الفوز والخلاص في الدارين بإذن خير الحاكمين، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الإخلاص هو سبيل الخَلاص، والإسلام هو مركب السلامة، والإيمان خاتم الأمان»[٥].

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/١٨٧).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١/٨).
(٤) «طبقات الحنابلة» لأبي يعلى (١/٦١).
(٥) «مفتاح دار السعادة» (١/٧٢).

أيُّهَا المُسلم!

إنَّ مِن أشدِّ أعدائك وأكثرهم تأثيرًا عليك: نفسَك التي بين جنبيك، فهي من أسباب البلاء والشقاء، من أطاعها جَرَّتْهُ إلى معصية رب البريات وأبعدته عن الخيرات؛ لأن الأصل فيها أنها تأمر بالمنكرات، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣].

يقول الإمامُ الطَّبريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نُفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله»(١).

ويقول الإمامُ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمر صاحبها -أي النفس- بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها -أي صاحبها- قادته إلى كل قبيح وكل مكروه»(٢).

وإنَّ مما تُزينه لك، وتُرغِّبك فيه، البحثَ عن مدح وثناء الناس والطمع فيما عندهم!

وهذا مما يقدحُ في الإخلاص، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجتمع الإخلاصُ في القلب ومحبةُ المدح والثناء والطمع فيما عند الناس إلا كما يجتمع الماءُ والنارُ»(٣).

فاحذر-حَرسك الله- أشدَّ الحذر من كل ما يقدح في إخلاصك!

---

(١) «تفسير الطبري» (١٣/٣).

(٢) «إغاثة اللهفان» (ص٧٧).

(٣) «الفوائد» (ص ١٤٩).

وتعاهد نفسك التي بين جنبيك، حُثَّها على فعل الطاعات والمسابقة في الخيرات، وأن يكون ذلك كله لوجه رب الأرض والسموات، وجَنِّبْهَا ارتكاب الذنوب والمحرمات، واعلم أن هذا من أفضل أنواع الجهاد في سبيل خالقك؛ لأنه دائم ومستمر ما دام أن الموت لم ينزل بساحتك، والروح لم تفارقك! فعن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ»**[(١)].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّ النفسَ مَيَّالَةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أَمَّارَةٌ بالسُّوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعاتُ: امتثال المأمور، واجتناب المحظور، والصبر على المقدور، فالمجاهِد حقيقةً: مَن جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»[(٢)].

وكذلك اعلم- حفظك الله- أن المُفَرِّط في الإخلاص والمرائي بعمله لا يضرُّ في الحقيقة إلا نفسه؛ فعن عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ، من عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فيه مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»**[(٣)].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).

(٣) «رواه مسلم» (٢٩٨٥).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد أن عمل المرائي باطل لا ثواب فيه، ويأثم به»(١).

وتَيقَّنْ- سددك الله- أنَّه على قدر نيتك يكون توفيق الباري جَلَّجَلَالُهُ لك؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته في ذلك يكون توفيقه سبحانه وإعانته، فالمعونة من الله تنزل على العباد على قدر هممهم وثباتهم ورغبتهم ورهبتهم، والخذلان ينزل عليهم على حسب ذلك، فالله سبحانه أحكم الحاكمين وأعلم العالمين يضع التوفيقَ في مواضعه اللائقة به، والخذلانَ في مواضعه اللائقة به، هو العليم الحكيم»(٢).

ولتجتهد- وفقك الله- في تحقيق ما خُلِقتَ ووُجِدتَ من أجله في هذه الدنيا الفانية، وهو عبادةُ الباري سبحانه، يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تصريح بأنهم خُلقوا للعبادة، فحُقَّ عليهم الاعتناءُ بما خلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزهادة؛ فإنها دار نفاد لا محلُّ إخلاد، ومركب عُبور لا منزل حُبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام؛ فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٨/١١٦).
(٢) «الفوائد» (ص ٩٧).

العُبَّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهاد»[١].

واعلم أيُّها المسلم-نفع الله بك- أن المخلص الحقيقي هو الذي جمع في عمله بين الإخلاص للعزيز العلام ومتابعة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، **يقول الإمامُ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «والمُخلصون: هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله، والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء- فيُجَرِّد[٢] عبادةَ الله عن عبادة ما سواه، ويُجَرِّد متابعة رسوله وترك ما خالفه لقوله دون متابعة غيره، فَليَزِنِ العاقلُ نفسَه بهذا الميزان قبل أن يوزن يومَ القدومِ على الله»[٣].

لذا؛ فإنَّ العِبَادة لا تُقبل إلا بهذين الشرطين الأساسين، يقول أرحم الراحمين: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا يرائي بعمله، بل يعمله خالصًا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القربُ من مولاه ونيلُ رضاه»[٤].

---

(١) «رياض الصالحين» (ص٣).

(٢) هكذا بالإفراد؛ لأنَّ الكلامَ يَعود على العَالِم الذي يجب عليه أن يَتدبر سِرَّ تَكرير الله في القرآن لقصة أَمْره لإبليس بالسُّجود لآدم عليه السَّلام، كما في السياق قبل هذا الكلام.

(٣) «بدائع الفوائد» (٤/٩٥٢).

(٤) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٤٨٩).

يقول الإمام الذَّهَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا تقوى إلا بعملٍ، ولا عملَ إلا بِتَرَوٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله»[(١)].

فجماعُ الدِّين يرجع إلى هذين الأصلين العظيمين، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجماع الدين أصلان: أن لَّا نعبد إلا الله، ولا نعبده إلا بما شرع، لا نعبده بالبدع»[(٢)].

فَكُلُّ عملٍ- أيُّها الأحبة والإخوان- فَقَدَ شرطًا من هذين الشرطين فإنه مردود على صاحبه كائنًا من كان، **يقول الإمامُ الفُضَيل بن عِيَاض** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنه- أي العمل- إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل حتى يكون خالصًا، والخالصُ إذا كان لله، والصوابُ إذا كان على السُّنة»[(٣)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصِفَاته العُليا أن يجعلنا وإيَّاكم من عباده المُخلصين، ولسنة نبيه ﷺ من المُتبعين، وأن يجنبنا الرياء والبدع والمعاصي وكل عمل مشين، فهو سبحانه وليُّ ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٦٠١/٤).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٧/١٠).
(٣) «حلية الأولياء» (٩٥/٨).

تذكير الأخيار
بفضل خُلق الإيثار

تذكير الأخيار بفضل خلق الإيثار

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي على المؤمن- أيها الأحبة الأخيار- هو أن يتحلى بالخصال الكريمة والصفات الحميدة، ومن ذلك خلق الإيثار، **وهو كما قال الجُرْجَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «أن يقدم المرءُ غيرَه على نفسه في النفع له والدفع عنه، وهو النهاية في الأُخُوَّة»(١).

إن الإيثار- أيها الكرام- من أعلى مراتب البذل والعطاء.

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**المراتب ثلاثة:**

إحداها: أن لَّا ينْقُصَهُ البَذْلُ ولا يصعبُ عليه، فهو منزلة السَّخَاء.

الثانية: أن يُعطي الأكثر ويُبقي له شيئًا أو يُبقى مثل ما أعطى، فهو الجُود.

---

(١) «التعريفات» (ص ٥٩).

الثالثة: أن يؤثر غيرَه بالشيء مع حاجته إليه، وهي مرتبة الإيثار»[(١)].

لذا كان الاتصاف بخلق الإيثار من علامات أهل الصلاح الأبرار كالأنصار الذين مدحهم العزيز الغفار، حيث قال عنهم سبحانه جَلَّوَعَلَا: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: ومن أوصاف الأنصار التي فاقوا بها غيرهم، وتميزوا بها عمن سواهم، الإيثار، وهو أكمل أنواع الجود، وهو الإيثار بِمَحَابِّ النفس من الأموال وغيرها، وبذلها للغير مع الحاجة إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلا من خُلق زَكِيٍّ ومحبةٍ لله تعالى مُقَدَّمَةٍ على شهوات النفس ولذاتها»[(٢)].

لقد كان يُضرب بنبيِّنا ﷺ المثلَ في البَذْل والإيثار، حيث كان ﷺ لا يردُّ سائلًا- حتى وإن سأله عن شيء هو بحاجة إليه، فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّ امْرَأَةً جاءت إلى رسول الله ﷺ بِبُرْدَة، فقالت يا رسول الله: إني نَسَجْتُ هذه بِيَدِي لِأَكْسُوَكَهَا، فَأَخَذَهَا رسول الله ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ عَلَيْنَا فيها وَإِنَّهَا لَإِزَارُهُ، فَجَاءَ فُلَانُ بن فُلَانٍ- رَجُلٌ سَمَّاهُ يَوْمَئِذٍ- فقال يا رَسُولَ الله ما أَحْسَنَ هذه البُرْدَةَ! اكْسنِيهَا؟ قال: «**نعم**»، فلما دخل طَوَاهَا وَأَرْسَلَ بها إليه، فقال له القَوْمُ: والله ما أَحْسَنْتَ! كُسِيَهَا النبي ﷺ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا! وقد عَلِمْتَ أَنَّهُ لَا يَرُدُّ

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٩٢).

(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٨٥١).

سَائِلًا، فقال: إني والله ما سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِأَلْبَسَهَا، وَلَكِنْ سَأَلْتُهُ إِيَّاهَا لِتَكُونَ كَفَنِي، فقال سَهْلٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (فَكَانَتْ كَفَنَهُ يوم مَاتَ)(١).

وكذلك- أيُّها الأفاضل- كان أصحابه رضوان الله عليهم ومن جاء بعدهم من سلفنا الصالح- رحمهم الله- حيث سَطَّروا لنا أروع الأمثلة وأزكى المعاني في تحقيق هذه الخصلة الكريمة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: جاء رَجُلٌ إلى رسول الله ﷺ فقال: إني مَجْهُودٌ (٢)، فأرسل إلى بعض نسائه فقالت: والذي بَعَثَكَ بالحَقِّ ما عندي إلا مَاءٌ، ثُمَّ أرسل إلى أُخْرَى، فقالت مِثْلَ ذلك، حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلك: لا والذي بَعَثَكَ بِالحَقِّ ما عِنْدِي إلا مَاءٌ، فقال: «**من يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله؟**»، فَقَامَ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ، فقال: أنا يا رسول الله، فَانْطَلَقَ به إلى رَحْلِهِ، فقال لِامْرَأَتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالت: لا، إلا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بشيء، فإذا دخل ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فإذا أهوى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إلى السِّرَاجِ حتى تُطْفِئِيهِ، قال: فقعدوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ، فلما أَصْبَحَ غَدَا على النبي ﷺ فقال: «**قد عَجِبَ اللهُ مِن صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**»(٣).

يقول الإمامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «هذا الحديث مُشتمل على فوائد كثيرة: منها: ما كان عليه النبي ﷺ وأهل بيته من الزهد في الدنيا، والصبر على

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٥٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) أي: أصابني الجهد، وهو المشقة والحاجة وسوء العيش والجوع. «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/١٢)

(٣) رواه البخاري (٣٥٨٧) ومسلم (٢٠٥٤)، واللفظ له.

الجوع، وضيق حال الدنيا.

ومنها: أنه ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف، ومن يطرقهم بنفسه فيواسيه من ماله أولًا بما يتيسر إن أمكنه، ثم يطلب له على سبيل التعاون على البر والتقوى من أصحابه.

ومنها: المواساة في حال الشدائد، ومنها فضيلة إكرام الضيف وإيثاره، ومنها منقبة لهذا الأنصاري وامرأته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ومنها: الاحتيال في إكرام الضيف إذا كان يَمتنع منه رفقًا بأهل المنزل؛ لقوله: (**أطفئي السراج، وأَرِيه أنا نأكل**)؛ فإنه لو رأى قلة الطعام، وأنهما لا يأكلان معه لامتنع من الأكل»(١).

يقول الإمام الحَسَنُ البَصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «لقد رأيتُ أقوامًا كانت الدنيا أهونَ على أحدهم من التراب تحت قدميه، ولقد رأيت أقوامًا يمسي أحدهم وما يجد عنده إلا قوتًا، فيقول: لا أجعل هذا كله في بطني، لأجعلنَّ بعضه لله عَزَّوَجَلَّ، فيتصدق ببعضه وإن كان هو أحوجَ ممن يتصدق به عليه!»(٢).

فأين أمثال هؤلاء اليوم بين أهل الإسلام أيها الكرام؟!

إننا لا نقول- أيُّها الأحبة الأفاضل- أنه لا يُوجد مطلقًا من

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/١٤).
(٢) «حلية الأولياء» (٢/١٣٤).

المسلمين اليوم من يتخلق بهذه الخصلة الكريمة! فالحمد لله- أيها الأخيار- فإنه لا تخلو منهم أمصار!

لكن الذي يُحزن كل مؤمن محبٍّ لنشر الخير بين الأنام أن يرى أن هذه الصفة الحميدة التي هي من أسباب نشر الألفة والمحبة بين أهل الإسلام! بدأت تَقِلُّ! بل أصبحت نادرة الوجود، والله المستعان!

لماذا؟!

إنَّ من أهم الأسباب التي أدت إلى اختفاء خُلق الإيثار بين الكثير من المسلمين- أيها الأحباب- ضعفَ التوكل والاعتماد على العزيز الوهاب، وكثرة الذنوب والمعاصي التي هي سبب كل بلاء وأصل كل شقاء، وكذلك تعلق القلوب بالأمور الدنيوية الفانية بدل ربطها بالحياة الأخروية الباقية؛ ولذا نتج عن ذلك طول الأمل الذي هو من أسباب إساءة العمل!

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في الله والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل»(١).

أيها الأفاضل!

إن أرحم الراحمين قد حثنا على الإنفاق والتصدق مما نحب على

---

(١) «حادي الأرواح» (ص ٤٨).

الفقراء والمساكين؛ لأن البذل والعطاء لوجه الرحمن هو طريق الفوز بالجنان بإذن المنَّان، حيث قال سبحانه: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾ [آل عمران: ٩٢].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا حَثٌّ من الله لعباده على الإنفاق في طرق الخيرات، فقال: ﴿لَن تَنَالُواْ﴾ أي: تدركوا وتبلغوا البر الذي هو كل خير من أنواع الطاعات وأنواع المثوبات الموصل لصاحبه إلى الجنة، ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، أي: من أموالكم النفيسة التي تحبها نفوسكم، فإنكم إذا قدَّمتم محبة الله على محبة الأموال فبذلتموها في مرضاته، دلَّ ذلك على إيمانكم الصادق، وبِرِّ قلوبكم، ويقين تقواكم، فيدخل في ذلك إنفاقُ نفائس الأموال، والإنفاقُ في حال حاجة المنفق إلى ما أنفقه، والإنفاق في حال الصحة، ودلت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بِرُّه، وأنه ينقص من بِرِّهِ بحسب ما نقص من ذلك»[١].

لكن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة- أن الإيثار بالشيء مع احتياجه هو أكمل من مجرد التصدق به مع محبته.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما الإيثار مع الخصاصة، فهو أكمل من مجرد التصدق مع المحبة، فإنه ليس كل متصدقٍ محبًّا مُؤْثِرًا، ولا كل متصدقٍ يكون به خصاصة، بل قد يتصدق بما يحب مع

---

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ١٣٨).

اكتفائه ببعضه مع محبة لا تبلغ به الخَصاصة»[(١)].

فعلينا أن نعلم- أيها الأخيار- أن التحلي بهذه الصفة الجليلة لا يكون مجرد عبارات تُرَدد! ولا شعارات تُرفع! وإنما تتضح حقيقة الاتصاف بهذه الخصلة الكريمة عند الامتحان والاختبار! وذلك عند حاجة الناس لما في أيدي مُدَّعي الإيثار!

فعلى كُلِّ مَن وُفِّق للتَّحَلِّي بخُلُق الإيثار أن يحمد الله جَلَّ وَعَلَا العليم ويشكره على أن يسر له تحقيق هذا الخلق الكريم الذي يحبه العزيز الحكيم، وليسعى دائما لدعوة الناس إليه وحثهم على التحلي به.

وعلى كل من لم يتصف به من المسلمين، أن يسأل الله العليم التوفيق لتحقيق هذا الخلق القويم، وأن يبذل الأسباب المعينة له على كسبه والتحلِّي به بإذن السميع الحليم.

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«الذي يُسَهِّلُه على العبدِ أمورٌ:

أحدُها: أن تكون طبيعتُه لَيِّنَةً مُنقادَةً سَلِسَةً ليست بجافيةٍ ولا قاسيةٍ، بل تنقاد معه بسهولة.

الثَّاني: أن يكون إيمانه راسخًا ويقينه قويًّا، فإن هذا ثمرة الإيمان ونتيجته.

---

(١) «منهاج السنة النبوية» (١٨٤/٧).

الثَّالث: قوة صبره وثباته.

فبهذه الأمور الثلاثة يَنهضُ إلى هذا المقام، ويَسهل عليه دَرَكُه»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا أن يُوَفِّقنا جميعًا للتحلي بصفات المتقين الأبرار، ومن ذلك خُلق الإيثار، وأن يحفظ المسلمين في كل الأمصار من كيد الفجار ومكر الأشرار؛ فهو سبحانه وَلِيُّ ذلك والعزيز الجَبَّار!

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٤٥٠).

تذكير المسلم
بفضل خُلُق الكَرَم

تذكير المسلم بفضل خُلق الكرَم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أسماء الله جَلَّ وَعَلَا الجليلة- أيها الأحبة الأفاضل- اسم **الكريم**، ومن نعوته سبحانه الكريمة صفة الكرم، فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ**»(١).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكريم هو البهيُّ الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم، ووصف به كلامه، ووصف به عرشه، ووصف به ما كثُر خيره، وحَسُنَ مَنْظَرُهُ من النبات وغيره»(٢).

وإنَّ من الثمرات التي ينبغي على العبد أن يقطفها من إيمانه باسم

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨١/٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٥٨٢).

(٢) «التبيان في أقسام القرآن» (ص ١٤١).

الله جَلَّجَلَالُهُ الكريم أن يتحلى بخصلة الكرم؛ **يقول الحسن بن علي** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «الكرم: التبرُّع بالمعروف، والعطاء قبل السؤال»(١).

فالمسلم- أيُّها الكِرَام- ينبغي عليه أن يكون دائمًا كريم النفس، سليم القلب، لا يحقد ولا يحسد أحدًا، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**»(٢).

قال الإمام ابن الأَثِير رَحِمَهُٱللَّهُ: «**(الغِرُّ)**: الذي لم يجرب الأمور، وإنما جُعل المؤمن غِرًّا نسبة له إلى سلامة الصدر، وحسن الباطن، والظن في الناس، فكأنه لم يُجَرِّبْ بواطن الأمور، ولم يَطَّلِعْ على دخائل الصدور، فترى الناس منه في راحة، لا يتعدى إليهم منه شَرٌّ، بل لا يكون فيه شَرٌّ فيتعدى. **(الخِبُّ)**: الخدَّاع المكَّار الخبيث»(٣).

حريصٌ على الإنفاق في أوجه الخير، يسعى دائمًا لقضاء حوائج الناس على حسب قدرته، قدوتُه في ذلك نبيُّه ﷺ، فعن عبد الله ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «**كان رسول الله ﷺ أَجْوَدَ الناس بِالْخَيْرِ، وكان أَجْوَدَ ما يَكُونُ في شَهْرِ رَمَضَانَ**»(٤).

يقول ابن القَيِّم رَحِمَهُٱللَّهُ: «كان ﷺ أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت

---

(١) «تاريخ دمشق» (١٣/٢٥٨).
(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٠)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.
(٣) «جامع الأصول» (١١/٧٠١).
(٤) رواه البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨) واللفظ له.

يَدُهُ، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى ولا يستقله، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخاف الفقر، وكان العطاء والصدقة أحبَّ شيء إليه، وكان سرورُه وفرحه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينُه كالريح المرسلة، وكان إذا عَرَض له محتاج آثره على نفسه، تارةً بطعامه وتارةً بلباسه، وكان يُنَوِّعُ في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراء الشيء ثم يعطي البائع الثمن والسلعة جميعًا»(١).

يُنفق من ماله في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا على قدر استطاعته، ولا يَحقر من المعروف شيئًا؛ عملًا بقوله ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(٢).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللهُ: «وفي هذا الحديث: أن من أعظم المنجيات من النار، الإحسانَ إلى الخلق بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يحتقر من المعروف ولو شيئًا قليلًا، والكلمةُ الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلامَ المُسِرَّ للقلوب، الشارحَ للصدور، المقارنَ للبشاشة

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦) واللفظ له، من حديث عدي بن حاتم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

والبشر، وتشمل الذكرَ لله والثناءَ عليه، وذكرَ أحكامه وشرائعه، فكل كلام يقرب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخل في الكلمة الطيبة»(١).

متيقنٌ أنَّ ما يُنفقه من ماله في أوجه الخير سيُعوض عليه في الدنيا والآخرة بإذن الله العليم الخبير، يقول العزيز القدير: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخَلَفِ- للمُنفق- الذي يَبْسُط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾؛ فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها»(٢).

أيُّها الأحبَّةُ الكِرَام!

وكما ينبغي للمسلم أن يتحلى بخُلق الكرم الذي هو ممدوح وفضيلة، يجب عليه أيضًا أن يبتعد عن صفة البُخل التي هي مذمومة ورذيلة، **يقول الإمام الصنعاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو- أي: البخل- منع ما يجب بذله من المال شرعًا أو عادة»(٣).

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٥٧).

(٢) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٣٢).

(٣) «سبل السلام» (١٩٧/١).

لأن البُخل- أيها الفضلاء- لم يكن- حتى قبل الإسلام- من خصال الشُرفاء، ولا هو بعده من صفات أهل الإيمان الأتقياء، **يقول ابن بطال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما البخل فليس من صفاتِ الأنبياءِ، ولا الجِلَّةِ الفضلاء»(١).

ولهذا كان نبيِّنا ﷺ يستعيذ منه، فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: تَعَوَّذُوا بِكَلِمَاتٍ كان النبي ﷺ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ: «**اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ من البُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ من أَنْ أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ من فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ القَبْرِ**»(٢).

قال المُلَّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**(وأعوذ بك من البخل)** بضم الياء وسكون الخاء وبفتحهما، أي: من عدم النفع إلى الغير بالمال، أو العلم، أو غيرهما، ولو بالنصيحة»(٣).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الجبن والبخل قرينان، فإن عدم النفع منه إن كان ببدنه فهو الجبن، وإن كان بماله فهو البخل»(٤).

فيا من ابتليت بهذا الداء! إن كنت مُتيقنًا من أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الغنيُّ الرزاق، فلماذا تمتنع عن الإنفاق والبذل والعطاء؟!

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (٩/٢٣٢).
(٢) رواه البخاري (٦٠١٣).
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٣/٣٧).
(٤) «الجواب الكافي» (ص ٤٩).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن كان الخَلَفُ على الله حقًّا، فالبخل لماذا؟!»(١).

ويقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن استنار صدرُه، وعلم غِنى ربه وكرمه، أنفق ولم يخف الإقلالَ»(٢).

ولله درُّ القائل:

وكيف أخافُ الفقرَ واللهُ رازقي ... ورَازقُ هذا الخلق في العسر واليُسر

تكفَّل بالأرزاق للخَلْقِ كلِّهم ... وللضَّبِ في البيداءِ والحوتِ في البحر(٣)

اعلم- أيُّها البخيل- أنك لن تضرَّ إلا نفسك، وأن الله تعالى غنيٌّ عنك، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ﴾ [محمد: ٣٨].

يقول الإمامُ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ﴾ أي: إنما نقص نفسه من الأجر، وإنما يعود وبالُ ذلك عليه، ﴿وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ﴾ أي: عن كل ما سواه، وكل شيء فقير إليه دائمًا؛ ولهذا قال

(١) «المدخل» لابن الحاج المالكي (٣/٢٢٠).
(٢) «تفسير القرطبي» (١/٢٥٣).
(٣) «تفسير القرطبي» (٩/٧).

تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ أي: بالذات إليه، فَوَصْفُهُ بالغِنى وصفٌ لازمٌ له، ووصفُ الخلق بالفقرِ وَصْفٌ لازمٌ لهم، لا يَنْفَكُّون عنه»(١).

فعالِج نفسك- وَفَّقك الله- وذلك باستئصال هذا الداء القتَّال والمرض العُضال قبل وقوفك بين يدي الكبير المتعال، فحينها لا ينفعك الندم على ما فرطتَ من الخيرات، ولا تغني عنك الحسرات! فتقول بعد ذلك كما أخبرنا عنك رب الأرض والسموات: ﴿يَالَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره مخبرًا عن تَلَهُّفِ ابن آدم يوم القيامة وتَنَدُّمِهِ على تفريطه في الصالحات من الأعمال في الدنيا التي تورثه بقاء الأبد في نعيم لا انقطاع له ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ في الدنيا من صالح الأعمال لحياتي هذه التي لا موت بعدها»(٢).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإيَّاكم محاسن الأخلاق، ومن ذلك الكرم والجود، ويصرف عنَّا مساوئها، ومن ذلك الشح والبخل؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١٨٣/٤).

(٢) «تفسير الطبري» (١٨٩/٣٠).

تذكير المسلمين
بمكانة الصبر في الدين

تذكير المسلمين بمكانة الصبر في الدين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مِن الطرق المُعينة على الفلاح، ومن أهم أسباب الفوز والنجاح في الدارين- بإذن أرحم الراحمين-: أن يتصف العبد بكل ما يحبه العزيز المقتدر، ومن ذلك أن يتحلى بصفة الصبر.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فالصبر**: حبس النفس عن الجَزَع، واللسان عن التَّشَكِّي، والجوارح عن لطم الخدود وشَقِّ الثياب ونحوهما»(١).

وللمكانة العالية والمرتبة الرفيعة التي يحتلُّها هذا الخلق الكريم، والأدب القويم في الإسلام- أيها الأحبة والإخوان- ذكره الرحمن في مواطن عديدة في القرآن، **يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «ذَكر اللهُ سبحانه

---

(١) «عُدَّة الصابرين» (ص ٧).

الصبرَ في القرآن في تسعين موضعًا»[(١)].

وأمر به العزيزُ العلام أنبياءَه ورسلَه الكرام، ومن ذلك نبيِّنا عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، حيث قال له تعالى: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أمر تعالى رسولَه أن يصبر على أذية المكذبين المعادين له، وأن لايزال داعيًا لهم إلى الله، وأن يقتدي بصبر أولي العزم من المرسلين، سادات الخلق، أولي العزائم والهمم العالية، الذين عَظُمَ صبرُهم، وتم يقينهم، فهم أحقُّ الخلق بالأُسوة بهم والقَفْوِ لآثارهم، والاهتداء بمنارهم»[(٢)].

فامتثلَ خيرُ المرسلين، وسيِّد ولد آدم أجمعين بما أمره به ربُّ العالمين، فكان من أكمل من تحلى بهذا الخلق الكريم الذي يحبه العزيز الحكيم.

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فامتثل ﷺ لأمر ربه فصبر صبرًا لم يصبره نبيٌّ قبله، حتى رماه المعادون له عن قَوْسٍ واحدة، وقاموا جميعًا بصده عن الدعوة إلى الله، وفعلوا ما يُمَكِّنُهم من المعاداة والمحاربة، وهو ﷺ لم يزل صادعًا بأمر الله مقيمًا على جهاد أعداء الله، صابرًا على ما يناله من الأذى، حتى مَكَّنَ اللهُ له في الأرض وأظهر دينه على سائر

---

(١) «عدة الصابرين» (ص ٥٧).

(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٥٠٦).

الأديان وأمته على الأمم، فصلى الله عليه وسلَّم تسليمًا»(١).

وهذا نبيُّ الله جَلَّ وَعَلَا أَيُّوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أيضًا، فرغم ما أصابه من ضُرٍّ، وما نزل به من بلاء إلا أنه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان صابرًا محتسبًا للأجر؛ يقول عنه سبحانه: ﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

قال الشَّوْكَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًاۚ﴾ أي: على البلاء الذي ابتليناه به، فإنه ابتلي بالداء العظيم في جسده وذهاب ماله وأهله وولده فصبر ﴿نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ﴾ أي: أيوب ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ أي: رجَّاع إلى الله بالاستغفار والتوبة»(٢).

وكذلك- أيُّها الكِرَام- ضرب لنا جميعُ الأنبياء عليهم أفضل الصلاة والسلام أروعَ الأمثلة وأزكى المعاني والعبر في الاتصاف بخلق الصبر، فمع ما لَاقَوْهُ من أقوامهم من سوء المعاملة، والتحريض عليهم، بل والتعدي عليهم وضربهم- لم ينتقموا لأنفسهم! بل صبروا على الأذى الذي طالهم منهم!

كُلُّ ذلك في سبيل نشر دعوتهم، وحرصهم على هدايتهم إلى كل ما يُحِبُّ خالقُهم، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «كأنِّي أَنْظُرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي نَبِيًّا من الأنبياء ضَرَبَهُ قَوْمُهُ وهو يَمْسَحُ الدَّمَ عن

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٠٦).
(٢) «فتح القدير» (٤/٤٣٧).

وجهه، ويقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه: ما كانوا عليه صلوات الله وسلامه عليهم من الحلم، والتصبر، والعفو، والشفقة على قومهم، ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنايتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون، وهذا النبي المشار إليه من المتقدمين، وقد جرى لنبيِّنا ﷺ مثل هذا يوم أُحُد»(٢).

لقد عرف- أيها الأحبة- كلُّ من سلك طريق الأنبياء من عباد الله جَلَّ وَعَلَا الأتقياء مكانةَ الصبر وأنه مفتاح كل خير وطريق الفلاح والنجاح، فاتصفوا به ودعوا الناس إلى التحلي به، يقول عمر الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**وجدنا خير عيشنا بالصَّبر**»(٣).

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر، فلا سبيل لغير الصابر أن يدرك مطلوبَه خصوصًا الطاعات الشاقة المستمرة؛ فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى تحمل الصبر وتجرع المرارة الشاقة، فإذا لازم صاحبُها الصبرَ فاز بالنجاح، وإن ردَّه المكروهُ والمشقةُ عن الصبر والملازمة عليها لم يدرك شيئًا، وحصل على الحرمان»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٠) ومسلم (١٧٩٢)، واللفظ له.
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/١٥٠).
(٣) «صحيح البخاري» (٥/٢٣٧٥).
(٤) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٧٥).

وأيضًا علموا ما يمنحه العزيز الوهاب للمتصف به من أجر بغير حساب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا عامٌّ في جميع أنواع الصبر:

الصبر على أقدار الله المؤلمة، فلا يتسخطها.

والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها.

والصبر على طاعته حتى يُؤَدِّيها.

فوَعَد اللهُ الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حَدٍّ، ولا عَدٍّ، ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحلِّه عند الله، وأنه مُعين على كل الأمور»(١).

وأيقنوا أيضًا أن العاقبة للصابرين المتقين بإذن رب العالمين، قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

يقول الإمام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿فَٱصْبِرْ﴾ على القيام بأمر الله وتبليغ رسالته وما تَلقى من مشركي قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ يقول: إن الخير من عواقب الأمور لمن اتقى الله فأدَّى فرائضه واجتنب معاصيه، فهم الفائزون بما يُؤَمِّلون من النعيم في الآخرة والظَّفَر في الدنيا بالطلبة، كما كانت عاقبة نوح إذ صبر لأمر الله، أَنْ نَجَّاه من الهَلَكَة مع من آمن به، وأعطاه في الآخرة ما أعطاه من

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٧٢١).

الكرامة، وغرَّق المكذبين به، فأهلكهم جميعهم»[(١)].

وأنَّ ما يترتب على الصبر من أجر لن يضيع بإذن العزيز المقتدر، يقول تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠].

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالصبر والتقوى دواء كل دَاءٍ من أدواء الدين، ولا يستغني أحدُهما عن صاحبه»[(٢)].

وأنَّ الصبر من أهم أسباب التمكين وبلوغ منزلة الإمامة في الدين، بإذن القوي المتين، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **يقول**: «بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]»[(٣)].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لَمَّا كانوا صابرين على أوامر الله وترك نواهيه وزواجره وتصديق رسله واتباعهم فيما جاؤوهم به، كان منهم أئمة يهدون إلى الحق بأمر الله، ويدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر»[(٤)].

---

(١) «تفسير الطبري» (١٢/٥٦).

(٢) «عدة الصابرين» (ص ٥٤).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/١٥٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/٤٦٤).

ويقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وجَمَع سبحانه بين الصبر واليقين؛ إذ هما سعادة العبد، وفَقْدُهُمَا يُفقده سعادتَه؛ فإن القلب تطرقه طوارق الشهوات المخالفة لأمر الله، وطوارق الشبهات المخالفة لخبره، فبالصبر يدفع الشهوات، وباليقين يدفع الشبهات، فإن الشهوة والشبهة مضادتان للدين من كل وجه، فلا ينجو من عذاب الله إلا من دفع شهواته بالصبر، وشبهاته باليقين»(١).

لهذا ما نال- أيُّها الأفاضل- سلفُنا الصالح منزلةَ الإمامة بالراحة والرفاهية! بل بتوفيق رب البرية، ثم بالتمسك بالعقيدة الصافية، فدعوا الناس إليها، وصبروا وثبتوا على ذلك، ولم يبدلوا ولم يحرفوا رغم ما تعرضوا له من الفتن، وما نزل بهم من المحن، حتى إن منهم من سُجن ومنهم من عُذِّب بل إنَّ بعضهم قُتل! ولم يزدهم ذلك- ولله الحمد- إلا ثباتًا ويقينًا بالله جَلَّ وَعَلَا.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما أهل السنة والحديث فما يُعلم أحدٌ من علمائهم ولا صالح عامتهم رجع قط عن قوله واعتقاده، بل هم أعظم الناس صبرًا على ذلك، وإن امتُحنوا بأنواع المحن، وفُتنوا بأنواع الفتن، وهذه حال الأنبياء وأتباعهم من المتقدمين كأهل الأخدود ونحوهم، وكسلف هذه الأمة والصحابة والتابعين وغيرهم من الأئمة»(٢).

---

(١) «رسالة ابن القيِّم إلى أحد إخوانه» (ص ١٦).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٥٠).

فعلينا جميعًا- أيها الأحباب- أن نبذل الأسباب التي تُعيننا- بإذن الله العزيز الوهاب- على تحقيق الصبر والاحتساب، ومن ذلك مجاهدة النَّفس على ذلك، فعن أبي سعيد الخُدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله»(١).

يقول العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «من يتكلف الصبر **(يُصَبِّرْهُ الله)** بضم الياء وتشديد الباء المكسورة أي: يرزقه الله الصبر»(٢).

ولنعلم أيضًا أن الوصول إلى رضا الرحمن والفوز بالجنان لا يُنال إلا بالصبر على طاعة المنَّان والبعد عن الذنوب والعصيان، والرضا بما قدره علينا الدَّيَّان، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللهُ: «**الصَّبر**: حبس النفس عن التسخط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية؛ كاللطم، وشق الثياب، ونتف الشعر، ونحوه، فمدار الصبر على هذه الأركان الثلاثة، فإذا قام به العبد كما ينبغي انقلبت المِحْنة في حقه مِنْحة، واستحالت البَلِيَّة عَطِيَّة، وصار المكروه محبوبًا، فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لم يبتلِه ليهلكه، وإنما ابتلاه ليمتحن صبرَه وعبوديتَه»(٣).

فَسِلعَةُ الرَّحمن- أيُّها الأحبة والإخوان- غالية؛ لذا حُفَّت بالمكاره، ولا

---

(١) رواه البخاري (١٤٠٠) واللفظ له، ومسلم (١٠٥٣).
(٢) «عمدة القاري» (٢٣/٦٨).
(٣) «الوابل الصيب» (ص ١١).

تُنَال إلا بعد صبر وتعب وتضحية بإذن رب البرية، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتْ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: هذا من بديع الكلام وفصيحه وجوامعه التي أوتيها ﷺ من التمثيل الحسن، ومعناه: لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار بالشهوات، وكذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فَهَتْكُ حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهَتْكُ حجاب النار بارتكاب الشهوات، فأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد في العبادات والمواظبة عليها، والصبر على مشاقها، وكظم الغيظ، والعفو، والحلم، والصدقة، والإحسان إلى المسيء، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك، وأما الشهوات التي النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا، والنظر إلى الأجنبية، والغيبة، واستعمال الملاهي ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل في هذه، لكن يكره الإكثار منها مخافة أن يَجُرَّ إلى المحرمة، أو يقسي القلب، أو يُشغل عن الطاعات، أو يحوج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا»(٢).

فَيَا مَن أُوذيت في الله جَلَّ وَعَلَا تذكر منزلةَ الصبر والأجر المترتب عليه، وتأكد أن بعد العُسرِ اليُسرَ، وأن بعد الشدة الفرجَ، وبعد الصبر النصرَ بإذن العزيز المقتدر، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن

---

(١) رواه البخاري (٦١٢٢) واللفظ له، ومسلم (٢٨٢٢).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٦٥/١٧).

النبي ﷺ قال له: «وَاعْلَمْ أنَّ في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، وأنَّ النَّصْرَ مع الصَّبْرِ، وأنَّ الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأنَّ مع العُسْرِ يُسْرًا»[(١)].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورًا على الأسباب الظاهرة، بل يكون مُلتفتًا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه بأنه سيجعل له بعد عسر يسرًا، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأن تفريج الكُربات مع شدة الكربات، وحُلول المُفظعات[(٢)]»[(٣)].

ويقول الشَّيخُ ابنُ عُثَيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يصبر على الأذى، لا سيما إذا أوذي في الله، فإنَّه يَصبر ويحتسب، وينتظر الفرج»[(٤)].

واصبر- ثَبَّتك الله- على ما حلَّ بك من المصائب والخُطوب، واسأل الثباتَ من علام الغيوب، واحذر من أن تُبدِّل أو تُحرِّف دينك الموصل لك بإذن رب البرية إلى جَنَّات قُطوفها دانية، بلذات وشهوات زائلة في

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٣٠٧/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٣٨٢).

(٢) جمع مُفْظِع، والأمر المُفْظع هو: «الشَّدِيدُ الشَّنِيعُ الذي جَاوَزَ الحَدَّ». «نيل الأوطار» للشوكاني (٢٢٥/٤).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣١٩).

(٤) «شرح رياض الصالحين» (٦٠٥/٣).

هذه الدنيا الفانية، فمهما اشتد بك الحال- أيها المبتلى- فاعلم أن لك المآل بإذن الكبير المتعال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّه لا بد من أذًى لكل من كان في الدنيا، فإن لم يصبر على الأذى في طاعة الله، بل اختار المعصية، كان ما يحصل له من الشر أعظم مما فرَّ منه بكثير، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة: ٤٩]، ومَن احتمل الهوان والأذى في طاعة الله على الكرامة والعز في معصية الله- كما فعل يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وغيره من الأنبياء والصالحين- كانت العاقبة له في الدنيا والآخرة، وكان ما حصل له من الأذى قد انقلب نعيمًا وسرورًا، كما أن ما يحصل لأرباب الذنوب من التنعم بالذنوب ينقلب حُزنًا وثُبورًا»(١).

ويا من نزلت به الأمراض والأدواء، أو تأخر عنه الشفاء احتسِب ما بك من مشقةٍ عند العزيز المقتدر، وإياك والجزعَ والسَّخَطَ وكل ما يُنافي الصبر، وتذكر قول نبيك ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ الله إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رضي فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(٢).

يقول شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وينبغي للإنسان أن يرضى بما

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/١٣٢).
(٢) رواه الترمذي (٢٣٩٦)، من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

يقدره الله عليه من المصائب التي ليست ذنوبًا، مثل أن يبتليه بفقر، أو مرضٍ، أو ذُلٍّ، وأذى الخلق له؛ فإن الصَّبر على المصائب واجب...»[(١)].

ويَا من رزقه الحكيمُ القديرُ الصبرَ: اعلم أنَّك قد أُعطيتَ الخير الكثير ونِلتَ- بفضل الله جَلَّ وَعَلَا- الأجرَ الكبير، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ما أُعْطِيَ أَحَدٌ من عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ من الصَّبْرِ**»[(٢)].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنَّما كان الصبر أعظم العطايا؛ لأنه يتعلق بجميع أمور العبد وكمالاته، وكل حالة من أحواله تحتاج إلى صبر؛ فإنه يحتاج إلى الصبر على طاعة الله حتى يقوم بها ويُؤدِّيها، وإلى صبر عن معصية الله حتى يتركها لله، وإلى صبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، بل إلى صبر على نعم الله ومحبوبات النفس فلا يدع النفس تمرح وتفرح الفرح المذموم، بل يشتغل بشكر الله، فهو في كل أحواله يحتاج إلى الصبر، وبالصبر ينال الفلاح»[(٣)].

وعليك أن تشكر الله جَلَّجَلَالُهُ بقلبك وقولك وفعلك على هذه المنحة العظيمة والنعمة الجليلة؛ لأن بالشكر والإيمان تدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحُلُّ وتزداد النقم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩١/٨).
(٢) رواه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (١٠٥٣)، واللفظ له.
(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٢٧).

رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

يقول الشيخ الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبهذه المناسبة إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كُفْران النعم»(١).

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصِفَاته العُليا أن يجعلنا وإياكم من عباده الصَّابرين المُحتسبين، وله دائما سبحانه من التوابين والذاكرين والشاكرين، فهو سبحانه وليُّ ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «أضواء البيان» (٩/١١٢).

حفظ الأمانة

حفظ الأمانة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مِن الخصال الكريمة والأخلاق الحميدة التي عُرف بها الأنبياء وامتاز بها الرسل عليهم أفضل الصلاة والسلام التحلي بصفة الأمانة، لهذا كان كل واحد منهم يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾ [الشعراء: ١٠٧].

يقول الإمامُ ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: إنِّي رسولُ من الله إليكم، أمينٌ فيما بعثني به، أبلغكم رسالة الله لا أزيد فيها، ولا أنقص منها»(١).

وسار على نَهجهم واقتدى بهديهم بالتحلي بهذه الخصلة الجليلة أهلُ الإيمان، كما وصفهم بذلك الرحمن في القرآن، حيث قال عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/٣٤١).

يقول الشيخُ الشِّنْقيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذَكَرَ جَلَّ وَعَلَا في هذه الآية الكريمة: أنَّ مِن صفات المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس: أنهم راعون لأماناتهم وعهدهم: أي محافظون على الأمانات، والعهود»(١).

لذا؛ فإن من أسباب سعادة المسلم الحقيقية- أيها الأحبة- أن يُوفَّق للاتصاف بهذه الخصلة الكريمة التي يحبها ربُّ البرية، يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأمانة صفة كريمة عظيمة من علامة السعادة»(٢).

إنَّ حفظ الأمانة- أيها الكرام- ليس خاصًّا- كما يظن البعض- بالمعاملات التي تكون بين الأنام، وإنما على الصحيح أنها عامة بجميع وظائف وأحكام دين الإسلام، يقول القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمانة تعم جميع وظائف الدين على الصحيح من الأقوال، وهو قول الجمهور»(٣).

ويقول الشيخ الشِّنْقيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمانة تشمل كُلَّ ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظُ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظُ ما ائتمنتَ عليه من حقوق الناس، والعهود أيضًا تشمل: كل ما أُخذ عليك العهد بحفظه، من حقوق الله وحقوق الناس»(٤).

فمما ينبغي على كل عبد مسلم- أيها الأخوة والأخوات- أن يحرص

---

(١) «أضواء البيان» (٣٢١/٥).
(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٥٢/١).
(٣) «تفسير القرطبي» (٢٥٣/١٤).
(٤) «أضواء البيان» (٣٢١/٥).

على أداء ما عليه من حقوق وواجبات، ومن ذلك حفظ وأداء الأمانات، كما أمره بذلك ربُّ البريات، حيث قال سبحانه: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الأمانات**: كل ما اؤتمن عليه الإنسان، وأُمر بالقيام به، فأَمَر الله عباده بأدائها أي: كاملةً موفرةً، لا منقوصةً ولا مبخوسةً، ولا ممطولًا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله»(١).

فعلى كُلِّ مَن تولى أمور المسلمين أن يخاف فيهم رب العالمين، وليعدل بينهم؛ لأنه مستأمنٌ عليهم، وسيُسأل يوم القيامة عنهم، فعن مَعْقِل بن يَسَار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيه الله رَعِيَّةً يَمُوتُ يوم يَمُوتُ وهو غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إلا حَرَّمَ الله عليه الجَنَّةَ**»(٢).

يقول القاضي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «معناه بَيِّنٌ في التحذير من غش المسلمين لمن قَلَّده الله تعالى شيئًا من أمرهم، واسترعاه عليهم، ونصبه لمصلحتهم في دينهم أو دنياهم، فإذا خان فيما اؤتمن عليه فلم ينصح فيما قلده، إما بتضييعه تعريفَهم ما يلزمهم من دينهم وأخذهم به، وإما بالقيام بما يتعين عليه من حفظ شرائعهم والذَّبِّ عنها لكل متصد

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ١٨٣).
(٢) رواه مسلم (١٤٢).

لإدخال داخلة فيها أو تحريف لمعانيها، أو إهمال حدودهم، أو تضييع حقوقهم، أو ترك حماية حَوْزَتِهم، ومجاهدة عَدُوِّهم، أو ترك سيرة العدل فيهم فقد غَشَّهُمْ»[(١)].

وليحذر أَشَدَّ الحذر من ظلمهم، والتعدي عليهم، أو أن يُوَلِّيَ عليهم من ليس أهلًا لذلك؛ لأن ذلك من تضييع الأمانة، وهو من علامات الساعة كما أخبرنا بذلك نبيِّنا ﷺ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا سأل النبي ﷺ فقال: متى السَّاعَةِ؟ فقال له ﷺ: «**فإذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ**» قال: كيف إِضَاعَتُهَا؟قال: «**إذا وُسِّدَ الأَمْرُ إلى غَيْرِ أَهْلِهِ، فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[(٢)].

يقول ابن بَطَّال رحمه الله: «فينبغي لهم تولية أهل الدين والأمانة للنظر في أمر الأمة، فإذا قَلَّدوا غير أهل الدين، واستعملوا من يعينهم على الجور والظلم فقد ضيعوا الأمانة التي فرض الله عليهم»[(٣)].

وليحذر أيضًا- أيها الأحبة- كُلَّ عامل أو مسؤول تولىَّ شيئًا من أمور المسلمين من أن يفرط فيه؛ لأن ذلك من الخيانة، **يقول القاضي عياض** رحمه الله: «أصلُ الخِيانَةِ النَّقْصُ، أي: يُنقِص ما ائتُمِنَ عليه، ولا يؤديه كما كان عليه، وخيانة العبد ربَّه ألا يؤدي حقه، وأمانات عبادته

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/١٦٦).
(٢) رواه البخاري (٥٩).
(٣) «شرح صحيح البخاري» (١/١٣٨).

التي ائتمنه عليها»(١).

وهي مِن عَلامات المُنَافقين، كما أخبرنا بذلك خير المرسلين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذا حَدَّث كَذَبَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا اؤتمن خَانَ**»(٢).

يقول الشيخُ السّعْدِي رحمه الله: «ومن كان إذا اؤْتُمِن على الأموال والحقوق والأسرار خانها، ولم يقم بأمانته، فأين إيمانه؟ وأين حقيقة إسلامه؟ وكذلك من ينكث العهود التي بينه وبين الله، والعهود التي بينه وبين الخلق متصفٌ بصفة خبيثة من صفات المُنافقين»(٣).

وليحذر كذلك من رفع لواءَ النصح من عدم الإخلاص في النصيحة وإرشاد المنصوح إلى ما ينفعه في الدارين كحثه على التمسك بتعاليم الدين وتحذيره من البدع والمعاصي وطريق المنحرفين، فالناصح مستشار وهو مؤتمن، وسيسأله عن ذلك ربُّ العالمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»(٤).

قال المُنَاوي رحمه الله: «أي: أمين على ما استُشير فيه، فمن أفضى إلى

---

(١) «مشارق الأنوار» (١/٢٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣) واللفظ له، ومسلم (٥٩).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٢).

(٤) رواه أبو داود (٥١٢٨)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

أخيه بسرٍّ، وأَمنَه على نفسه لزمه ألَّا يُشِير عليه إلا بما يراه صوابًا»(١).

فالمؤمنُ الحقيقيُّ- أيُّها الأفاضل- هو من أَمِنَه الناس على أنفسهم وأموالهم، فعن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ: «**المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُؤْمِنُ من أَمِنَهُ الناس على دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**»(٢).

يقول الشيخُ السّعْدِي ﵀: «فإن الإيمان إذا دار في القلب وامتلأ به، أوجب لصاحبه القيامَ بحقوق الإيمان التي من أهمها: رعايةُ الأمانات، والصدقُ في المعاملات، والورعُ عن ظلم الناس في دمائهم وأموالهم، ومن كان كذلك عرف الناسُ هذا منه، وأَمِنُوه على دمائهم وأموالهم، ووثقوا به لما يعلمون منه من مراعاة الأمانات؛ فإن رعاية الأمانة من أخص واجبات الإيمان»(٣).

فمن لم يتصف من أهل الإسلام بهذه الخصلة الرفيعة التي يحبها الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- فإنه ناقص الإيمان، فعن أنس بن مالك ﵁ قال: ما خَطَبَنَا نبي الله ﷺ إلاَّ قال: «**لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ له، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ له**»(٤).

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/٤٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢٧)، وصححه الشيخ الألباني ﵀.

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٨).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/١٣٥)، وصححه الشيخ الألباني ﵀ في «صحيح الجامع» (١٣١٣٥).

يقول المُناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن المؤمن من أَمِنَه الخلقُ على أنفسهم وأموالهم، فمن خان وجَارَ فليس بمؤمن، أراد نفيَ الكمال لا الحقيقة»[(١)].

أيُّها العبد المسلم- وفَّقك الله- إن أردتَ النجاح والفلاح في الدارين عليك أن تعمل بوصية خير المرسلين، وتتحلى بهذه الصفة الكريمة التي يحبها أرحم الراحمين، فأدِّ- سَدَّدك رَبُّ العالمين- الأمانةَ إلى كل من ائتمنك، ولا تَخن مَن خانك، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ: «**أدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ من خَانَكَ**»[(٢)].

يقول المُبَارَكْفُورِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ)**، أي: لا تعامله بمعاملته، ولا تقابل خِيانته بخيانتك»[(٣)].

واحذر- حفظك الله- أشدَّ الحذرِ من أن تكون من أهل الخيانة الذين ذمهم نبيك ﷺ، فعن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ...**»[(٤)].

يقول العَيْنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: بأن تكون خيانتُهم ظاهرةً بحيث لا يبقى للناس اعتمادٌ عليهم»[(٥)].

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٢/٤٨٨).
(٢) رواه الترمذي (١٢٤٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «تحفة الأحوذي» (٤/٤٠٠).
(٤) رواه البخاري (٢٥٠٨).
(٥) «عمدة القاري» (١٣/٢١٣).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن أخذ درهمًا أو أقل من مال غيره فهو خائن، وكذا من نظر إلى غير أهله بسوء، وكذا جميع الجوارح إذا تعدت إلى متاع غيره فقد خان غيره في ذلك، والخيانة كلها مذمومة مُجانبة للإيمان»(١).

فعلى كل مَن رزقه العزيزُ العلام خصلةَ الأمانة من أهل الإسلام أن يشكره- سبحانه- على هذا العطاء والإنعام؛ لأنه قد أُوتي- بفضل الله القدير- الخيرَ الكثيرَ والفضلَ الكبيرَ، فعن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ، فَلاَ عَلَيْكَ ما فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ في طُعْمَةٍ**»(٢).

يقول الطِّيبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يحتمل أن تكون (ما) مصدريَّة، والوقت مُقَدَّر، أي: لا بأس عليه وقت فَوْت الدنيا إن حصلتْ لك هذه الخلال وأن تكون نافية، أي: لا بأس عليك؛ لأنَّه لم تفتك الدنيا إن حصلتْ لك هذه الخصال»(٣).

ويقول المُلَّا علي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ **مُعَلِّقًا على كَلَام الطِّيبي** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والأول أظهرُ، كَمَا لا يخفى.

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٥٢/١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٧٧/٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧٣٣).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤١١/٩).

و(**حِفْظُ أَمَانَةٍ**): يشمل أمانة الأموال والأعمال.

(**وَصِدْقُ حَدِيثٍ**): يعمُّ الأقوال.

(**وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ**) أي: خُلق. والتعبير بها إشارة إلى الحُسن الجِبِلِّي لا التَّكلفي والتَّصنُّعي في الأحوال.

(**وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ**): بضم الطاء مع تنوين التاء، أي: احتراز من الحرام، واحتفاظ على الحلال»(١).

ويقول المُناوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أطلق الأمانةَ لتشيع في جنسها، فيراعي أمانة الله في التكاليف، وأمانة الخلق في الحفظ والأداء»(٢).

فعلى جميع المسلمين- أيُّها الأفاضل- من أصحاب المناصب الدينية كالعلماء وطلبة العلم والمعلمين، أو الدنيوية كالأمراء والوزراء والمسؤولين والمدرسين، وحتى العمال والموظفين، وأيضًا على الآباء والأبناء وكل مَن كان مؤتمنًا على أمر أن يؤديه على أكمل وجهٍ؛ لأنه سيسأله عنه رب العالمين، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ**...»(٣).

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٩/٤١١).

(٢) «فيض القدير» (١/٤٦١).

(٣) رواه البخاري (٨٥٣)، ومسلم (١٨٢٩)، واللفظ له.

يقول الإمامُ النَّوَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العلماءُ**: الرَّاعي: هو الحَافظ المُؤتمن الملتزم صلاحَ ما قام عليه، وما هو تحت نظره، ففيه أنَّ كل مَن كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالب بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصِفَاته العُليا أن يُوفِّقنا وإيَّاكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومِن ذلك حِفظ وأداء الأمانة، ويُبعدنا جميعًا عما يَكرهه ويأباه، ومِن ذلك صِفة الخِيانة؛ فهو سبحانه قدير، وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ﮊﮊ ◈ ﮋﮋ

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/٢١٣).

خُلُق الحياء

خُلق الحياء

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي على كل مسلم- أيُّها الأفاضل- أن يتصف بكل خُلُق كان يتحلى به الأنبياء ومن سار على هديهم واقتدى بهم من الأتقياء، ومن ذلك خُلُق «**الحياء**»؛ فعن أبي مَسعود البدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَى، إذا لم تَسْتَحِ فَاصْنَعْ ما شِئْتَ**»(١).

يقول الخَطَّابِيُّ رحمه الله: «الحياء لم يَزل مُستحسنًا في شرائع الأنبياء الأولين، وأنَّه لم يرفع ولم ينسخ في جملة ما نسخ من شرائعهم»(٢).

ويقول الإمامُ ابن القَيِّم رحمه الله: «هذا صورته صورة الأمر، ومعناه معنى الخَبَر المحض، أي: من كان لا يستحيي فإنه يصنع ما يشتهي، ولكنه

---

(١) رواه البخاري (٥٧٦٩).

(٢) «غريب الحديث» للخطابي (١/١٥٦).

صُرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة، وهي أن العبد له من حيائه آمِرٌ يأمره بالحسن وزَاجِرٌ يزجره عن القبيح، ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر، وهذا هو واعظ الله في قلب العبد المؤمن الذي أشار إليه النبي ﷺ، ولا تنفع المواعظ الخارجة إن لم تصادف هذا الواعظَ الباطنَ، فمن لم يكن له من نفسه واعظٌ لم تنفعه المواعظ.

فإذا فُقد هذا الأمرُ الناهي بفقد الحياء فهو مطيعٌ لا محالةَ لداعي الغيِّ والشهوة طاعةً لا انفكاك له منها، فنزل منزلة المأمور، وكأنه يقول: إذا لم تأتمر لأمر الحياء فأنت مؤتمرٌ لأمر الغي والسَّفَه، وأنت مُطِيعُه لا محالة، وصانعٌ ما شئتَ لا محالة، فأتى بصيغة الأمر تنبيهًا على هذا المعنى، ولو أنه عَدَل عنها إلى صيغة الخبر المحض فقيل: **(إِذَا لَمْ تَسْتَحِ صَنَعْتَ ما شِئْتَ)** لم يُفهم منها هذا المعنى اللطيف؛ فتأمله»[(١)].

ولا مُنَافاة أبدًا بين الحياء وقوة القلب، كما يظن بعض الناس!

فهذا رسولُ العَزيز العَلَّام- عليه أفضل الصلاة والسلام- كان أشجعَ الأنام، ومع ذلك كان من أشدِّهم اتصافًا بهذا الخُلُق النَّبيل والأدب الجميل، فعن أبي سعيد الخُدري رضي الله عنه قال: «**كان رسولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً من العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، وكان إذا كَرِهَ شيئًا**

(١) «بدائع الفوائد» (١/١١٢).

عَرَفْنَاهُ في وَجْهِهِ»[(١)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(العَذْرَاءُ): البِكْرُ؛ لأن عذرتها باقية، وهي جلدة البكارة، و(الخِدْرُ): سِتْرٌ يُجعل للبكر في جنب البيت، ومعنى (عَرَفْنَا الكَرَاهَةَ فِي وَجْهِهِ) أي: لا يتكلم به لحيائه، بل يتغير وجهُه فنفهم نحن كراهتَه، وفيه فضيلةُ الحياء وهو من شُعَبِ الإيمان، وهو خيرٌ كله ولا يأتي إلا بخير»[(٢)].

إنَّ هذا الخُلُق كريم- أيُّها الأحبة- يَبعثُ على العمل بكل مليح يحبه الغفور الرحيم، وترك كل قبيح يُبغضه السميع العليم، يقول الرَّاغِبُ الأَصْفَهَانِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحياء: انقباضُ النَّفْس عَن القبائح»[(٣)].

ويقول الحافظُ ابن الصَّلَاحِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحياء: خُلُقٌ يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق»[(٤)].

لذا نجده- أيُّها الأفاضل والإخوان- يقترن دائمًا بالإيمان، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ الحَيَاءَ والإِيمانَ قرناء جميعًا، فإِذا رُفعَ أحدُهما رُفِعَ الآخرُ»[(٥)].

---

(١) رواه البخاري (٣٣٦٩) ومسلم (٢٣٢٠) واللفظ له.
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٥/٧٨).
(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص ١٤٠).
(٤) «صيانة صحيح مسلم» (ص ١٩٨)
(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١/٧٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٢٦٣٦).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(الحياء والإيمان قرناء جميعًا)** أي: جمعهما الله، ولَازَم بينهما، فحيثما وُجد أحدهما وجد الآخر، **(فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر)**: لتلازمهما كما تقرّر؛ وذلك لأن المكلف إذا لم يستح من الله لا يحفظ الرأس وما وَعَى، ولا البطن وما حَوَى، ولا يذكر الموت والبِلَى، بل ينهمك في المعاصي»(١).

وهو شُعبة من شُعَبِهِ العظام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإِيمَانِ**»(٢).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحَيَاءُ يَبعث على طاعة الله، ويَمنع من ارتكاب المعاصي، كما يَمنع الإيمانُ»(٣).

ويقول الإمامُ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنَّه- أي الحياء- يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق ويحث على استعمال مكارم الأخلاق ومعاليها، فهو من خصال الإيمان بهذا الاعتبار»(٤).

لهذا كان الحياء- أيها الكرام- من أرفع الأخلاق التي دعا إلى التحلي بها دين الإسلام، فَعَن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ**

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٢٨١).

(٢) رواه البخاري (٩) ومسلم (٣٥)، واللفظ له.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١/٦١).

(٤) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٠٠).

خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ»[١].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(وخُلُقُ الإِسْلَامِ الحَيَاءُ)، أي: طَبْعُ هذا الدِّين وسَجِيَّتُهُ التي بها قِوَامه ونِظَامه الحياءُ؛ لأن الإسلام أشرف الأديان، والحياء أشرفُ الأخلاق، فأعطى الأشرافَ للأشرَف، وهذا غاليٌّ»[٢].

وللمكانة الرفيعة- أيُّها الأحبة- التي يحتلها هذا الخلق الكريم كان من الصفات الحميدة، والخصال الجليلة التي يُحبها العزيز الحكيم، فعن يَعْلَى بن أُمَيَّةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ يُحِبُّ الحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فإذا اغْتَسَلَ أحدكم فَلْيَسْتَتِرْ»[٣].

حتى إنَّ مِن أسماء الله سبحانه الجليلة اسم «الحَيي»؛ فَعن سَلمَان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: «إِنَّ رَبَّكُمْ- تَبَارَكَ وَتَعَالَى- حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَستحي مِن عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إليه أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»[٤].

يقول الإمامُ ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأمَّا حَيَاء الرَّبِّ تعالى مِن عبده: فذاك نوع آخر لا تدركه الأفهام، ولا تُكَيِّفه العقول؛ فإنَّه حياءُ كرمٍ وبِرٍّ وجُود وجَلَال»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨١)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٣٤٠).
(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٠١٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) رواه أبو داود (١٤٨٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٥) «مدارج السالكين» (٢/٢٦١).

ومِن صفاته جَلَّوَعَلَا الكريمة: صفة «الحياء»، يقول الشيخ خليل الهَرَّاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وحياؤه- تعالى- وصفٌ يليق به، ليس كحياء المخلوقين الذي هو تَغَيُّرٌ وانْكِسَارٌ يَعْتَرِي الشخصَ عند خوف ما يعاب أو يُذم، بل هو ترك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه.

فالعبدُ يُجَاهِرُه بالمعصية مع أنَّه أفقرُ شيءٍ إليه، وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكن الرب- سبحانه- مع كمال غِنَاه، وتمام قدرته عليه- يَستحي مِن هتك ستره، وفضيحته، فيستره بما يُهيئُه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه، ويغفر»(١).

ومِن أسباب محبَّة الرَّحمن لهذه الصفة الحميدة- أيها الأحبة والإخوان- أنها تدعوَ إلى كل خير وإحسان؛ فعن عمران بن حصين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ**»(٢).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه: أنَّ مَن استحيا من الناس أن يروه يأتي الفجور، ويرتكب المحارم، فذلك داعيةٌ له إلى أن يكون أشد حياءً من ربِّه وخَالقه، ومَن استحيا من ربه فإنَّ حياءه زاجرٌ له عن تضييع فرائضه، وركوب معاصيه؛ لأنَّ كُلَّ ذي فِطرة صحيحة يعلم أنَّ اللهَ تعالى النَّافع له والضَّار والرَّزَّاق والمُحيي والمميت، فإذا علم ذلك

(١) «شرح النونية» (٢/٨٠).
(٢) رواه البخاري (٥٧٦٦)، ومسلم (٣٧).

فينبغي له أن يستحي منه عَزَّوَجَلَّ»[(١)].

ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنَّ المُستحيي منقبضٌ عن كثير من القول والفعل، والوقاحةُ توجب الانبساط فيقع الشر من ذلك»[(٢)].

فهو- أيُّها الأفاضل- لا يكون في شيء إلا زانه، وما نُزع منه إلا شانه، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شَانَهُ، وما كان الحَيَاءُ في شَيْءٍ إلا زَانَهُ**»[(٣)].

يقول الطِّيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه مبالغة، أي: لو قُدر أن يكون الفحش أو الحياء في جمادٍ لَشَانَه أو زَانه، فكيف بالإنسان؟ وأشار بهذين إلى أن الأخلاق الرَّذِلة [(٤)] مفتاح كل شر بل هي الشر كله، والأخلاق الحسنة السَّنِيَّة مفتاح كل خير، بل هي الخير كله»[(٥)].

وهو من أسباب انشراح الصدر وحياة القلب، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحياء من الحياة، وعلى حسب حياة القلب يكون فيه قوة خُلُق الحياء، وقلةُ الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلبُ

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/٢٩٨).

(٢) «كشف المشكل» (١/٤٧٧).

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) **قال ابن مَنْظُور** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رذل: الرَّذِل والرَّذيل والأرذَل: الدُّون مِن الناس، وقيل: الدون في منظره وحالاته، وقيل: هو الدُّون الخَسيس، وقيل: هو الرَّديء من كل شيء». «لسان العرب» (١١/٢٨٠).

(٥) «فيض القدير» (٥/٤٦١).

أَحْيَا كان الحياءُ أَتَمَّ»[١].

فيَنبغي علينا جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن نَبذل الأسباب التي تعيننا على تحقيق هذا الخُلق الرفيع، الذي مَن تَحَلَّى به اتَّصف بكل أنواع الخير، وابتعد عن كُلِّ سُبل الشَّرِّ بإذن العزيز المقتدر؛ لأنَّه من أرفع الآداب وأفضل الأخلاق.

يقول الإمامُ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «خُلُق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلِّها وأعظمها قدرًا وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة، فمَن لا حياء فيه، فليس معه من الإنسانيَّة إلا اللَّحم والدَّم وصورتهما الظاهرة، كما أنَّه ليس معه مِن الخير شيء»[٢].

ولنحذر أشدَّ الحذر من التفريط فيه؛ لأن تضييعه سبب في فُشُوِّ المعاصي والمنكرات، فما تُركت الواجبات، وتَجرأ الكثير على فعل المحرمات، وانتشر التبرج، وقَلَّت الحشمة، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، وقلَّ احترام الصغار للكبار إلا بسبب ضياع هذا الأدب القويم والخُلق الكريم!

ولنَجْتَنب كذلك مجاوزة الحَدِّ فيه، فينقلب من حياءٍ ممدوحٍ إلى مذموم يمنع العبد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتَّعَلُّم وقول الحق، ومن الكثير من الخيرات.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٢٥٩).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٢٧٧).

يقول الإمامُ ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ النَّفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخُلقين الذميمين ولا بُد، فإذا انحرفت عن خُلُق التواضع انحرفت: إمَّا إلى كبر وعُلو، وإما إلى ذل ومهانة وحقارة، وإذا انحرفت عن خُلُق الحياء انحرفت: إما إلى قِحَة[١] وجُرأة، وإما إلى عَجزٍ وخَورٍ ومَهَانَةٍ، بحيث يُطمع في نفسه عدوه، ويفوته كثير من مصالحه، ويزعم أن الحامل له على ذلك الحياءُ، وإنما هو المهانةُ والعجزُ، وموتُ النفس»[٢].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يرزقنا وإيَّاكم مَحَاسن الأخلاق، ومن ذلك خُلُق الحياء، وأن يَصرف عنا مساوئها، ومن ذلك الوقاحة والجرأة في غير الحق، وكل أنواع الشرور، فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز الغفور.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) أي: وقاحة. «لسان العرب» لابن منظور (٢/٦٣٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/٣٠٩).

رسالة إلى
من أدرك شهر رمضان!

رسالة إلى من أدرك شهر رمضان!

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ مما ينبغي علينا جميعًا- أيُّها الإخوة والأخوات- أن نحرص أشدَّ الحرص على اغتنام الأوقات، وصرف الساعات، وبذل اللحظات فيما يُرضي رَبَّ البَرِيَّات؛ يقول ابن الجَوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقَدْر وقته، فلا يُضيِّع منه لحظة في غير قُرْبة، ويُقَدِّم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»(١).

ومن ذلك- أيُّها الأفاضل الكرام- أن نستغلَّ شهر الصِّيام والقيام- الذي هو مِن أفضلِ شُهور العام وأَحَبِّها للعزيز العَلَّام- في التزود بالطاعات والإكثار من الخيرات.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا شهر ليس مثله في سائر الشهور، ولا فُضِّلَت به أُمة غير هذه الأمة في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، والشيطان مُبعد مَثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن بذكر الله معمور.

وقد أناخ بفنائكم وهو عن قليل راحلٌ عنكم، شاهدٌ لكم أو عليكم، مُؤذنٌ بشقاوة أو سعادة، أو نقصان أو زيادة، وهو ضعيفٌ مسؤول مِن عند ربٍّ لا يحول ولا يزول؛ يُخبر عن المحروم منكم والمقبول.

فاللهَ اللهَ أكرموا نهاره بتحقيق الصِّيام، واقطعوا ليله بطول البكاء والقيام، فلعلكم أن تفوزوا بدار الخُلد والسَّلام»[(١)].

شهر كريم وموسم عظيم، كان خير الأنام- عليه أفضل الصلاة والسلام- يفرح بقربه ويُبشر بقدومه وحلوله أصحابه الكرام، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يقول: «**أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فيه أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، من حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[(٢)].

يقول الإمامُ ابنُ رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كيف لا يُبشَّر المؤمن بفتح أبواب الجنان؟! كيف لا يُبَشَّر المذنب بغلق أبواب النيران؟! كيف لا يُبشَّر

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص ٢١٥).
(٢) رواه النسائي (٢١٠٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

العاقل بوقت يُغلُّ فيه الشياطين؟! من أين يُشبِه هذا الزمانَ زمانٌ!»(١).

وكان- عليه الصَّلاة والسَّلام- يجتهد فيه بالعبادات ويُكثر فيه من القربات للعزيز الغفور أكثر من بقية الشهور، **يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «وكان مِن هديه ﷺ في شهر رمضان: الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل- عليه الصلاة والسلام- يدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجودَ بالخير من الريح المرسلة، وكان أجودَ الناس، وأجود ما يكون في رمضان، يكثر فيه من الصدقة، والإحسان، وتلاوة القرآن والصلاة والذكر، والاعتكاف، وكان يَخص رمضانَ مِن العِبَادة ما لا يَخُص غيره به من الشهور، حتى إنَّه كان لَيُواصل فيه أحيانًا؛ لِيُوفِّر ساعات ليله ونهاره على العبادة»(٢).

أيُّها الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي على كل مُسلم- يَسَّر له رب البريات إدراك شهر الخيرات وموسم البركات وميدان الطاعات- أن يَشكره سبحانه على هذا الفضل الكبير والخير الكثير.

لأنَّه بالشكر والإيمان- أيها الأحبة والإخوان- تَدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحل وتزداد النقم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) «لطائف المعارف» (ص١٥٨).

(٢) «زاد المعاد» (٢/٣٠).

يقول الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذه المناسبة إنَّ على كل مُسلم أفرادًا وجماعاتٍ، أن يُقَابلوا نعم الله بالشكر، وأن يَشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يَحذروا كُفران النعم»(١).

وليحذر أشدَّ الحذر أن يُفرط فيه، ويُضيعه في غير ما يرضي خالقه وباريه؛ فإن ذلك من مقابلة ما أنعم به عليه الرحمن بالجحود والكفران، **يقول الشيخُ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فليستحِ المجرمُ من ربه أن تكون نعمُ الله عليه نازلةً في جميع اللحظات، ومعاصيه صاعدة إلى ربه في كل الأوقات، وليعلم أنَّ اللهَ يُمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ العاصي أخذه أَخْذَ عزيزٍ مقتدر، فليتب إليه، وليرجع في جميع أموره إليه؛ فإنه رؤوف رحيم.

فالبدارَ البدارَ إلى رحمته الواسعة، وبره العميم، وسلوك الطرق المُوصلة إلى فضل الرب الرحيم، ألا وهي تقواه، والعمل بما يحبه ويرضاه»(٢).

ومِن صور الإفراط التي يقع فيها الكثير من المسلمين: ألَّا يَستحضر العبدُ عند صومه الغايةَ الحميدة التي مِن أجلِها شَرَع أرحمُ الرَّاحمين صيامَ هذا الشَّهر الكريم، وهي تقوى رب العالمين؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) «أضواء البيان» (١١٢/٩).

(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٤٤١).

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصيام من أكبر أسباب التقوى؛ لأن فيه امتثالَ أمر الله واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوى:

أنَّ الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه مُتقربًا بذلك إلى الله راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوى.

ومنها: أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسُه- مع قدرته عليه- لعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها: أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان؛ فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي.

ومنها: أن الصائم- في الغالب- تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى.

ومنها: أنَّ الغني إذا ذَاقَ أَلَمَ الجُوعِ أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من خصال التقوى»(١).

فنجد مِن المسلمين مَن تصوم جوارحه فقط عن المفطّرات دون المعاصي والمنكرات؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «رُبَّ صَائِمٍ

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٨٦).

ليس له من صِيَامِهِ إلا الجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ ليس له من قِيَامِهِ إلا السَّهَرُ»(١).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالصوم هو صوم الجوارح عن الآثام، وصوم البطن عن الشراب والطعام، فكما أن الطعام والشراب يقطعه ويفسده فهكذا الآثام تقطع ثوابه وتفسد ثمرته، فتصيره بمنزلة من لم يَصُمْ»(٢).

فنجده يقع في الكذب والغيبة وغير ذلك من المحرمات مع أنه قد حذره من خطورة ذلك رسولُ رب البريات، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَن لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**(٣).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال المُهَلَّب: فيه دليل أن حكم الصيام الإمساك عن الرَّفَث وقول الزور، كما يُمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد تنقص صيامه، وتعرض لسخط ربه، وترك قبوله منه»(٤).

ونجد أنَّ منهم من يُحدث في هذا الشهر الكريم بدعًا ومحدثات

---

(١) رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «الوابل الصيب» (ص ٤٣).
(٣) رواه البخاري (١٨٠٤).
(٤) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤/٢٣).

ليست بمشروعة في دين رب البريات؛ كالاحتفال بالنصف، أو تخصيص ليلة من لياليه بشيء معين؛ كقيام، أو صيام، ودعاء وقراءة القرآن، فهذه كلها من البدع والمحدثات التي هي مِن زَخرفة الشيطان، والله المستعان.

ومنهم مَن يُضيع فيه الساعات؛ إما في النوم، أو السهر أمام شاشات القنوات، أو في حضور الحفلات وشهود المهرجانات مع ما في ذلك من منكرات!

يقول الشيخُ ابن عُثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين. اليوم- مع الأسف الشديد- هم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلة وفي تَرَف، ينظرون ما يَتْرَفُ به أبدانهم وإن أَتْلَفُوا أديانهم»(١).

وبعضهم يكون هذا الشهر الكريم عندهم فرصة للتنعم والمبالغة في أكل ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات دون النظر فيما يلحق ذلك مِن تَبِعَات، ومن أشدها خطرًا، وأكثرها ضررًا فساد القلب وقسوته، يقول الإمام سُفْيَان الثَّوْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إياكم والبِطْنَةُ(٢)؛

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٦/٢٠).

(٢) أي: امتلاء البطن من الطعام. «لسان العرب» لابن منظور (١/٣٢٣).

فإنها تُقَسِّي القلب»[(١)].

أيُّها المُسلم!

أتريد أن تكون ممن دخل عليه رمضان، ثم مضى وقد ضَيَّعه في معصية الرحمن؛ فباء بالحرمان والخسران؛ فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل عليه رَمَضَانُ، ثُمَّ انْسَلَخَ قبل أَنْ يُغْفَرَ له**»[(٢)].

يقول المُنَاوِي ﵀: «أي رَغِم أَنْفُ من علم أنه لو كفَّ نفسه عن الشهوات شهرًا في كل سنة، وأتى بما وُظف له فيه من صيام وقيام، غفر له ما سلف من الذنوب، فقصَّر ولم يفعل حتى انسلخ الشهر ومضى، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيمانًا واحتسابًا عَظَّمَه اللهُ، ومن لم يُعَظِّمْهُ حَقَّرَهُ اللهُ وأهانه»[(٣)].

أو تكون ممن أدرك رمضان فاستثمر أوقاته، واغتنم ساعاته فيما يُرضي خالقه؛ فتُرفع درجته، وتغفر ذنوبه بإذن الله سبحانه، فيفوز بالفلاح ويكون من أهل النجاح، فعن أبي هريرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «**من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ**»[(٤)].

يقول المُنَاوِي ﵀: «فيه فضل رمضان وصيامه، وأن تنال به

---

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم الأصبهاني (٧٨/٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الشيخ الألباني ﵀.

(٣) «فيض القدير» (٣٤/٤).

(٤) رواه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٦٠)، واللفظ له.

المغفرة، وأن الإيمان- وهو التصديق والاحتساب وهو الطواعية- شرطٌ لنيل الثواب والمغفرة في صوم رمضان، فينبغي الإتيان به بنية خالصة وطوية صافية امتثالًا لأمره تعالى، واتّكالًا على وعده من غير كراهية وملالة لما يصيبه من أذى الجوع والعطش، وكُلفة الكُفِّ عَن قضاءِ الوَطَر، بل يَحتسب النَّصَب والتَّعَب في طول أيامه، ولا يتمنى سرعة انْصِرَامِه، ويستلذُّ مَضَاضَتَه»(١).

فإياك ثم إيَّاك، أن تغترَّ بلذة الذنوب والمنكرات، فإنها والله تفنى ويأتي بعدها الندم والحسرات، بخلاف لذة الطاعات فهي باقية ومستمرة في كل الأوقات، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد جعل اللهُ- سبحانه- للحسنات والطاعات آثارًا محبوبة لذيذة طيبة لَذَّتُها، فوق لَذَّة المعصية بأضعاف مضاعفة لا نِسبة لها إليها، وجعل للسيئات والمعاصي آلامًا وآثارًا مكروهة وحَزَازَات(٢) تَرْبُو على لذة تناولها بأضعاف مضاعفة»(٣).

فعلينا جميعًا- أيُّها الأحبة- أن نشكر أرحم الراحمين على نِعَمِه التي لا تُعدُّ ولا تحصى، ونغتنم كل الأوقات في التزود من الخيرات وفي كل ما يرضي رب العالمين حتى لا نكون من المحرومين، وبالأخص هذا الشهر الكريم الذي هو من أفضل الشهور عند العزيز الحكيم، فلنحرص-

---

(١) «فيض القدير» (٦/١٦٠).
(٢) أي: وجع في القلب. «مختار الصحاح» للرازي (ص٥٦).
(٣) «مدارج السالكين» (١/٤٢٣).

وفقكم الله- على صيامه وقيامه، ولنجتهد في فعل الخيرات، ولنجتنب كل المنكرات؛ يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الحياة التي ينبغي السعي في كمالها وتحصيلها وكمالها، وفي تتميم لذاتها- هي الحياة في دار القَرَار، فإنَّها دار الخلد والبقاء»(١).

قبل أن نودِّع هذه الدنيا التي هي ممر إلى دار الجزاء والمستقر، ونقف أمام العزيز المقتدر؛ فيسألنا عن كل ما تقدَّم منا وتأخر.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «اشتر نفسَك اليوم؛ فإنَّ السوق قائمة، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصلُ فيها إلى قليل ولا كثير؛ ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»(٢).

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوَفِّقنا وإيَّاكم لما يحبه ويرضاه، ومن ذلك صيام وقيام شهر رمضان، وأن يُبعدنا عن الآثام والعصيان وكل ما يغضب الرحمن؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز المنَّان.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٩٢٤).

(٢) «الفوائد» (٤٩).

نعمة الصحة

نعمة الصحة

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فإنَّ نعم العزيز المنَّان على عباده- أيها الأحبة والإخوان- لا تُعد ولا تحصى، بل لا يمكن أن يحصرها أيُّ إنسان كائنًا من كان؛ قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

يقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وإن تتعرضوا لِتِعداد نعم الله التي أنعم بها عليكم إجمالًا- فضلًا عن التفصيل- لا تُطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرها على حال من الأحوال، وأصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقدًا مُعيَّنًا من عقود الأعداد وضع حصاةً ليحفظه بها، ومعلوم أنه لو رامَ فردٌ من أفراد العباد أن يحصى ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه لم يقدر على ذلك قط، ولا أمكنه أصلًا، فكيف بما عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه الله في بدنه، فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل

وقت على تنوعها واختلاف أجناسها، اللَّهُمَّ إنَّا نشكرك على كل نعمة أنعمت بها علينا مما لا يعلمه إلا أنت...»[(١)].

وإنَّ من النعم التي منَّ بها الرحمن على كثير من الأنام- أيها الكرام- نعمة الصحة والعافية في الأبدان، يقول العزيز العَلَّام: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣].

يقول الإمام القُرْطُبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿مِّن نِّعْمَةٍ﴾ أي: صحة جسم، وسعة رزق، وولدٍ، فَمِن الله»[(٢)].

يقول وَهْبُ بْنُ مُنَبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رؤوس النِّعم ثلاثة:

فأولها: نعمةُ الإسلام التي لا تتمُّ نعمُه إلا بها.

والثانية: نعمةُ العافية التي لا تطيبُ الحياةُ إلا بها.

والثالثة: نعمة الغنى التي لا يتمُّ العيشُ إلا بها»[(٣)].

فهذه النعمة العظيمة- أيُّها الأفاضل- لا يعرف قدرَها ولا قيمتها إلا مَن فقدها؛ **يقول بكر بن عبد الله المزني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يابن آدم إذا أردت أن تعلم قدر ما أنعم الله عليك فَغَمِّضْ عَينيك»[(٤)].

ومتى ما أراد الإنسانُ أن يعرفَ قدر نعمة الصحة التي تفضل

---

(١) «فتح القدير» (٣/١١٠).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٠/١١٤).
(٣) «عدة الصابرين» لابن القيِّم (ص١١٧).
(٤) «الشكر» لابن أبي الدنيا (١٨٢).

بها عليه أرحمُ الراحمين، فليذهب إلى المستشفيات لزيارة مرضى المسلمين، ولينظر إلى من هم حوله من المبتلين، وإلى مَن فقد أحد أعضائه، وكذلك إلى المعاقين! فهؤلاء -شفاهم الله- لو أنهم خُيروا بين أموال الدنيا وسلامة الجسد لاختاروا- بلا شك- نعمةَ الصحة والعافية من المرض بإذن رب العالمين.

جاء رجلٌ إلى يُونس بن عُبَيْد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشكو ضيق حاله، فقال له: «أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هذا الذي تبصر به مائةَ ألف درهم؟»، قال الرجل: لا، قال: «فبيديك مائةُ ألف؟»، قال الرجل: لا، قال: «فَبِرِجْلَيْكَ؟» قال الرجل: لا، فَذَكَّرَهُ يونس بن عُبَيْد رَحِمَهُ ٱللَّهُ بنعم الله عليه، ثم قال له: «أرى عندك مئين ألوف، وأنت تشكو الحاجة!»[(١)].

لذا- أيُّها الأحبة- فإنَّ نعمة الصحة مِنَّةٌ جليلة وعطيةٌ كريمة، فعن عبيد الله بن مِحْصَن الأنصاري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«من أَصْبحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ، مُعَافًى في جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ له الدُّنْيَا»**[(٢)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني مَن جمع الله له بين عافية بدنه، وأَمْن قلبه حيث توجه، وكفاف عيشه بقوت يومه، وسلامة أهله، فقد جمع الله له جميع النعم التي من ملك الدنيا لم يحصل على غيرها،

---

(١) «الشكر لابن أبي الدنيا» (١٠١).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فينبغي ألَّا يستقبل يومه ذلك إلا بشكرها، بأن يصرفها في طاعة المُنعم، لا في معصيةٍ، ولا يَفْتُر عن ذكره»[(١)].

وليعلمْ كُلُّ من رُزق نعمة الصحة ووُفق إليها، أنه مغبوط عليها وذلك لقيمتها وأهميتها، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ من الناس: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**»[(٢)].

يقول ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أنه قد يكون الإنسان صحيحًا، ولا يكون متفرغًا للعبادة لاشتغاله بأسباب المعاش، وقد يكون مُتفرغًا من الأشغال، ولا يكون صحيحًا، فإذا اجتمعا للعبد، ثم غلب عليه الكسل عن نيل الفضائل فذاك الغَبْنُ.

كيف والدنيا سوق الرباح، والعمر أقصر، والعوائق أكثر»[(٣)].

أيُّها الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه أن بالشكر والإيمان تدوم وتكثر النعم، وبالجحود والعصيان تَحل وتزداد النقم؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) «فيض القدير» (٦/٦٨).
(٢) رواه البخاري (٦٠٤٩).
(٣) «كشف المشكل» (٢/٤٣٧).

يقول الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذه المناسبة: إن على كل مسلم أفرادًا وجماعات، أن يقابلوا نعم الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»(١).

وشُكرُها- أيها الأحبة الكرام- لا يكون فقط باللسان كما يظن البعض! بل لا بد أن يكون كذلك بالقلب والأركان، **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وكذلك حقيقته في العبودية، وهو ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده: ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه: شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعةً.

والشكر مبنيٌّ على خمس قواعد:

خضوع الشاكر للمشكور.

وحبه له.

واعترافه بنعمته.

وثناؤه عليه بها.

وألَّا يستعملها فيما يكره.

فهذه **الخمس**: هي أساس الشكر وبناؤه عليها، فمتى عُدم منها واحدة اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحده فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»(٢).

---

(١) «أضواء البيان» (٩/١١٢).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/٢٤٤).

ومِن شُكر هذه النعمة- أيُّها الكرام- أن نستغلها فيما ينفعنا في الدارين، ويُرضي عنا أرحم الراحمين، وذلك بصرفها في فعل الطاعات والتزود من الخيرات.

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «للهِ على العبد في كل عضو من أعضائه أمرٌ، وله عليه فيه نهيٌ، وله فيه نعمةٌ، وله به منفعةٌ ولذةٌ، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه، وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عَطَّل أمر الله ونهيه فيه عَطَّله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته»[(١)].

لأننا سنُسأل عنها يوم الدين عند الوقوف بين يدي رب العالمين! فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم القِيَامَةِ- يَعْنِي العَبْدَ- من النَّعِيمِ أَنْ يُقَالَ له: أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ، وَنُرْوِيَكَ من المَاءِ البَارِدِ؟**»[(٢)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**أَلَمْ نُصِحَّ لك جِسْمَكَ**) أي: جسدك وصحته أعظم النعم بعد الإيمان، (**وَنُرْوِيَكَ من المَاءِ البَارِدِ**) الذي هو من ضرورة بقائك، ولولاه لفنيت بل العالم بأسره، ولهذا كان جديرًا بالسؤال عنه والامتنان به»[(٣)].

---

(١) «الفوائد» (ص ١٩٣).
(٢) رواه الترمذي (٣٣٥٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) «فيض القدير» (٢/٢٠٤).

فيا من رزقكم الرحمنُ نعمة الصحة والعافية في الأبدان! استثمروها واغتنموها في طاعة المنَّان قبل فوات الأوان، كما أمركم بذلك رسولُ العزيز العَلَّام- عليه أفضل الصلاة والسلام- فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال لرجل وهو يعظه: «**اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ: شَبَابكَ قَبل هَرَمِكَ، وصِحَّتَكَ قبل سَقَمِكَ، وغِنَاكَ قبل فَقْرِكَ، وفراغَكَ قبل شُغلِكَ، وَحياتَكَ قبل موتِكَ**»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ**) أي: افعل خمسة أشياء قبل حصول خمسة: (**حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**) أي: اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك، فإنَّ مَن مات انقطع عمله، (**وصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ**) أي: العمل حال الصحة فقد يعرض مانع كمرض، (**وفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ**) أي: فَرَاغَكَ في هذه الدار قبل شغلك بأهوال القيامة التي أوَّلُ منازلها القبر، (**وشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ**) أي: فعل الطاعة حال قدرتك وقُوَّتِك قبل هجوم الكِبَرِ عليك، (**وغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ**) أي: التصدُّق بفضول مالك قبل عُروض جَائِحَةٍ تُتْلِفُ مالك، فتصير فقيرًا في الدارين، فهذه الخمسة لا يُعرف قدرُها إلا بعد زوالها»(٢).

واعلموا أنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فمن حَفِظَ جوارحه واستغل صحته فيما يرضي ربه جَلَّ جَلَالُهُ رجع عليه نفع ذلك يوم يقف أمام

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٤١/٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب» (٣٣٥٥).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٧٧/١).

خالقه، بل إن الله جَلَّوَعَلَا من كرمه سيحفظ له قوته عند كِبَرِه وتقدم سِنِّه.

يقول الإمام ابنُ رَجب رَحِمَهُٱللَّهُ: «ومَنْ حَفِظ اللّهَ في صباه وقوته، حفظه اللّهُ في حال كِبَرِهِ وضعف قوته، ومَتَّعَه بسمعه وبصره وحَوْله وقوته وعقله، وكان بعض العلماء قد جاوز المائة سنة وهو مُمَتَّعٌ بقوته وعقله فوثب يومًا وثبةً شديدةً فعُوتب في ذلك فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر، وعكسُ هذا أن بعض السلف رأى شيخًا يسأل الناس فقال: إن هذا ضعيفٌ ضيع اللّهَ في صغره فضيعه اللّهُ في كبره»(١).

فاللّهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإيَّاكم ممن يغتنم صحته ووقته فيما يعود عليه بالنفع في الدارين، وأن يُمتعنا وإياكم بالصحة والعافية في كل وقت وحين، وأن يشفي جميع مرضى المسلمين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ١٨٦).

تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين

تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ التوكُّل على العزيز الحميد- أيُّها الأفاضل- من أهم مباني التوحيد، وهو من أشرف العبادات التي يُتقرب بها إلى الكريم المجيد، وتحقيقُه واجب على العبيد، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّل على الله واجب من أعظم الواجبات، كما أن الإخلاص لله واجبٌ، وحب الله ورسوله واجبٌ»(١).

فالتوكُّل على الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- لا غنى للإنسان عنه مهما كان، فالعبد مهما علت مكانته وارتفعت درجته فهو في افتقار دائم للعزيز المنَّان، يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل على الله والاستعانة به خُلقٌ جليل يضطر إليه العبد في أموره كلِّها دينيِّها ودنيويها؛ لأنَّه وإن كان الله تعالى قد أعطى العبدَ قدرةً وإرادة تقع بها أفعاله الاختيارية، ولم

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/٧).

يجبره على شيءٍ منها، فإنَّه لا حول له ولا قوة إلا بالله، فإذا اعتمد بقلبه اعتمادًا كليًّا قويًّا على ربه في تحصيل وتكميل ما يريد فعلُه من أمور دينه ودنياه، ووثق به أعانه وقوَّى إرادته وقدرتَه، ويسَّر له الأمر الذي قصده، وصرف عنه الموانعَ أو خَفَّفَها، وتضاعفت قوةُ العبد وازدادت قدرتُه؛ لأنَّه استمد واستماح من قوة الله التي لا تنفذ ولا تبيد»[(١)].

ولهذا كان من هدي الأنبياء والمرسلين التوكلُ على أرحم الراحمين في كل وقتٍ وحينٍ، فعن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**(حسبنا الله ونعم الوكيل)**؛ قالها إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النَّار، وقالها محمدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿**إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ**﴾ [آل عمران: ١٧٣] »[(٢)].

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهو حَسْبُ من توكَّل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يُؤَمِّنُ خوف الخائف ويجبُر المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته إليه تولاه، وحفظه، وحرسه، وصانه، ومن خافه واتقاه آمنه مما يخاف ويَحذر، وجَلَب إليه كل ما يحتاج إليه من المنافع»[(٣)].

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).
(٢) رواه البخاري (٤٢٨٧).
(٣) «بدائع الفوائد» (٢/٤٦٣).

وهو من صفات أهل الإيمان كما أخبرنا بذلك عنهم العزيز الرحمن قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكُّل على الله من أعظم واجبات التوحيد والإيمان، وبحسب قوة توكل العبد على الله يقوى إيمانه، ويتم توحيده، والعبد مضطرٌ إلى التوكل على الله والاستعانة به في كل ما يريد فعله أو تركه من أمور دينه أو دنياه.

وحقيقة التوكل على الله: أن يعلم العبدُ أن الأمر كله لله، وأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه هو النافع الضار المعطي المانع، وأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، فبعد هذا العلم يعتمد بقلبه على ربه في جلب مصالح دينه ودنياه، وفي دفع المضار، ويثق غاية الوثوق بربه في حصول مطلوبه، وهو مع هذا باذلٌ جهدَه في فعل الأسباب النافعة.

فمتى استدام العبدُ هذا العلمَ وهذا الاعتمادَ والثقةَ فهو المتوكلُ على الله حقيقةً، وليبشَّرْ بكفاية الله له ووعده للمتوكلين، ومتى علق ذلك بغير الله فهو شرك، ومن توكل على غير الله وتعلق به وُكِلَ إليه وخاب أَمَلُه»[(١)].

اعلم أيها المسلم- رحمك الرحمن- أن تحقيق هذه العبادة العظيمة لا يكون بمجرد النطق باللسان، دون صدق اعتماد القلب على المنَّان، يقول الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل هو: صدق اعتماد القلب على

(١) «القول السديد في شرح كتاب التوحيد» (ص١٢٢).

الله عَزَّوَجَلَّ في استجلاب المنافع ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة»(١).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سِرُّ التوكُّل وحقيقته هو اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرةُ الأسباب مع خُلُوِّ القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: «توكَّلتُ على الله» مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به، فتوكلُ اللسان شيءٌ، وتوكل القلب شيءٌ، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيءٌ، وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيءٌ، فقول العبد: «توكُّلتُ على الله» مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: «تبتُ إلى الله»، وهو مصرٌّ على معصيته مرتكب لها»(٢).

واعلم كذلك- رعاك الله- أن بذل الأسباب لا ينافي التوكل على الكبير المتعال كما يظن بعض الجهال، بل إن اتخاذها والعمل بها من التوكل، يقول الإمام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن تحقيق التوكل لا ينافي السعي في الأسباب التي قدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله تعالى أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعي في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به»(٣).

لكن احذر أيها المسلم- ثبتك الله- أشدَّ الحذر من الاعتماد على الأسباب فقط؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَن أنكر الأسباب لم

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٦).
(٢) «الفوائد» (ص ٨٧).
(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٧).

يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل: عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها، فيكون حالُ قلبه قيامَه بالله لا بها، وحالُ بدنه قيامَه بها»(١).

أيُّها الأحبة الأفاضل!

إنَّ مما ينبغي أن نتيقن منه أننا لو ربطنا قلوبنا حقًّا بخالقنا جَلَّ وَعَلَا، وتوكلنا عليه حقَّ التوكُّل في شؤوننا كلها لما دبَّ إلينا النقص، وضعف إيماننا، ولرزقنا الله جَلَّجَلَالُهُ من حيث لا ندري؛ فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على الله حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرُزِقْتُمْ كما يُرْزَقُ الطَّيْرُ، تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا**»(٢).

قال أبو حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث أصلٌ في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق»(٣).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إخبارٌ بأنه- سبحانه- يرزق المتوكلين عليه من حيث لا يحتسبون، وأنه لا يُخليهم من رزقٍ قط، كما ترون ذلك في الطير فإنها تغدو من أوكارها خماصًا فيرزقها- سبحانه- حتى ترجع بِطَانًا من رزقه، وأنتم أكرم على الله من الطير وسائر الحيوانات، فلو توكلتم عليه لرزقكم من حيث لا تحتسبون، ولم يمنع

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١٢٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٤)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٣٦).

أحدًا منكم رزقَه»(١).

ويقول المُلَّا علي قَارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(تَغْدُو) أي: تذهب أول النهار، (خِمَاصًا) بكسر الخاء المعجمة: جمع خميص، أي: جياعًا، (وتَرُوحُ) أي: ترجع آخر النهار، (بِطَانًا) بكسر المُوحَّدة: جميع بطين، وهو عظيم البطن، والمراد: شِبَاعًا»(٢).

لأنَّ من توكل على الله جَلَّ وَعَلَا حق التوكل فهو- سبحانه- حسبُه وناصرُه ومؤيدُه؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في أمر دينه ودنياه، بأن يعتمد على الله في جلب ما ينفعه ودفع ما يضره، ويثق به في تسهيل ذلك ﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ أي: كافيه الأمر الذي توكل عليه به، وإذا كان الأمر في كفالة الغني القوي العزيز الرحيم، فهو أقرب إلى العبد من كل شيء، ولكن ربما أن الحكمة الإلهية اقتضت تأخيره إلى الوقت المناسب له؛ فلهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ أي: لا بد من نفوذ قضائه وقدره، ولكنه ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، أي: وقتًا ومقدارًا، لا يتعداه ولا يقصر عنه»(٣).

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ٢٨٧).
(٢) «مرقاة المفاتيح» (٩/٥٧٣).
(٣) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٥٥٨).

لأنَّ التوكل الحقيقي على رب العالمين هو مفتاح كل خير، وطريق كل نجاح وفلاح في الدَّارين بإذن أرحم الرَّاحمين، **يقول الشيخُ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتوكل الحقيقي يطرد عن العبد الكسل، ويوجب له النشاط التام على الأمر الذي توكل على الله به، ولا يتصاعب شاقًّا، ولا يستثقل أي عمل، ولا ييأس من النجاح وحصول مطلوبه، عكس ما يظنه بعض المنحرفين الذين لم يفهموا معنى التوكل، أو فهموه لكن إنكار القدر والقضاء صرفهم عن الحق، فحسبوا أنَّ التوكُّل يضعف الهمة والإرادة، وأساؤوا غاية الإساءة، حيث ظنوا بربهم الظن السوء، فإنَّ الله أمر بالتوكُّل في آيات كثيرة، وأخبر أنَّه من لوازم الإيمان، وَوَعَدَ المتوكلين الكفايةَ وحصولَ المطلوب، وأخبر أنَّه يحبهم، وأنَّه لا يتم الدين إلا به، ولا تتم الأمور إلا به، فالدين والدنيا مفتقرات إلى التوكُّل»[(١)].

فالعبد بتحقيقه التوكل يقطف ثمارًا نافعة وفوائد جليلة من أهمها الرضا بقضاء الله جَلَّ وَعَلَا وقَدَرِه، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أن ثمرة التوكل الرضا بالقضاء، فمن وكل أموره إلى الله ورضي بما يقضيه له ويختاره فقد حَقَّق التوكلَ»[(٢)].

وحصول المطلوب ونيل المرغوب بإذن علام الغيوب، **يقول الإمام**

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).

(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٤٤٢).

ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من صَدَق تَوَكُّلُه على الله في حصول شيء نَالَهُ»[(١)].

ويندفع كذلك بتحقيقه- بإذن الله جَلَّ وَعَلَا- عنه المكروه، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه»[(٢)].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وللتوكل فوائد عظيمة:**

منها: أنَّه لا يتم الإيمان والدين إلا به، وكذلك لا تتم الأقوال والأفعال والإرادات إلا به.

ومنها: أنَّ من توكل على الله كفاه، فإذا وَعَدَ اللهُ عبدَه بالكفاية إذا توكل عليه عُلِمَ أنَّ ما يحصل من الأمور الدينية والدنيوية، وأحوال الرزق وغيرها بالتوكل أعظم بكثير مما يحصل إن حصل إذا انقطع قلب العبد من التوكل.

ومنها: أنَّ التوكل على الله أكبر سبب لتيسير الأمر الذي تُوكِّل عليه وتكميلِه وتتميمِه، ودفع الموانع الحائلة بينه وبين تكميله.

ومنها: أنَّ المتوكل على الله قد علم أنَّه اعتمد في توكله، واستند إلى من جميعُ الأمور كلّها في ملكه، وتحت تصريفه وتدبيره، ومن جملتها: فعل العبد، فكلما فترت همتُه وضعف نشاطُه أَمَدَّه هذا التوكلُ بقوةٍ إلى

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/١١٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/١٢٠).

قوته، وقد وثق بكفاية ربه، والوثوقُ والطمعُ في حصول المطلوب لا شك أنَّه من أعظم الأسباب الباعثة على الأعمال المرغبة فيها، وهذا أمر مشاهَدٌ معلومٌ.

ومنها: أنَّ المتوكل على الله حقيقة قد أبدى الافتقار التام إلى ربه، وتبرأ من حوله وقوته، ولم يُعجَبْ بشيء من عمله، ولم يَتَّكِل على نفسه لعلمه أنَّها ضعيفةٌ مهينةٌ، سريعة الانحلال، بل لجأ في ذلك إلى ربه، مستعينًا به في حصول مطلوبه.

وهذا هو الغِنى الحقيقي؛ لأنَّه استغنى بربه وكفايته، وهو مع ذلك قد أبدى غاية المجهود، فتبين أنَّ التوكل لا ينافي القيام بالأسباب الدينية والدنيوية، بل تمامه بفعلها بقوة صادقة وهمة عالية، معتمدة على قوة القوي العزيز»(١).

ومَن ضيَّع وفرَّط في تحقيق هذه العبادة العظيمة- أيها الكرام- باء بالخسران وأصبح من أهل الحرمان؛ لأن من أسباب الغواية والبعد عن الهداية- أيها الأحباب- عدم التوكل على العزيز الوهاب، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالعبدُ آفته: إما من عدم الهداية، وإما من عدم التوكل، فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمانَ كله»(٢).

فلنحرص أيُّها الأفاضل- رعاكم الرحمن- أشد الحرص على تحقيق

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٠٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/١٢٧).

هذه العبادة الكريمة التي هي مُوصلة إلى كل خير بإذن العزيز المقتدر، ولنحذر أشدَّ الحذر من أن نعتمد فقط على الأسباب دون ربط القلوب برب الأرباب، أو لا نسعى في تحقيق الأسباب ظنًّا منَّا أن ذلك ينافي التوكل على العزيز الوهاب! فهذا ليس بصواب، يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المؤمن لا يقنط من رحمة الله، ولا ييأس من روح الله، ولا يكون نظره مقصورًا على الأسباب الظاهرة، بل يكون متلفتًا في قلبه كل وقت إلى مسبب الأسباب، الكريم الوهاب، ويكون الفرج بين عينيه، ووعده الذي لا يخلفه، بأنه سيجعل له بعد عسر يسرًا، وأن الفَرَجَ مع الكَرْبِ، وأن تفريج الكربات مع شدة الكربات، وحلول المُفْظِعَات»(١).

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم للسير على منهج الأنبياء، واقتفاء أثر الأصفياء، ويجعلنا جميعًا من عباده الأتقياء الذين يتوكلون عليه في السراء والضراء، فهو سبحانه على كل شيء قدير، وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٣١٩).

السهر

السهر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من آيات الله العظيمة ونعمه الجسيمة على الأنام- أيها الأحبة الكرام- أن جعل النهار عونًا لهم على تحصيل معاشهم وما يحتاجونه في أمور دينهم ودنياهم، والليل سكنًا يرتاحون فيه من التعب، ويستعدون به لعمل النهار، يقول سبحانه: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [النمل: ٨٦].

يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: جعلنا الليل للسكون والاستقرار والنوم؛ وذلك بسبب ما فيه من الظلمة فإنهم لا يسعون فيه للمعاش، والنهار مبصرًا، ليبصروا فيه ما يسعون له من المعاش الذي لا بُدَّ له منهم، ووَصَف النهار بالإبصار- وهو وصفٌ للناس- مبالغةً في إضاءته كأنه يبصر ما فيه. قيل: في الكلام حذف، والتقدير: وجعلنا الليل مظلمًا ليسكنوا، وحذف مُظلمًا لدلالة ﴿مُبۡصِرًاۚ﴾ عليه»(١).

(١) «فتح القدير» (١٥٤/٤).

فنوم الليل هو من أهم الأسباب المعينة على العمل والجدِّ في النهار أيها الأحباب، يقول سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: من رحمته بكم ولطفه أن جعل الليل لكم بمنزلة اللباس الذي يغشاكم، حتى تستقروا فيه وتهدؤوا بالنوم وتسبُت حركاتكم أي: تنقطع عند النوم، فلولا الليل لما سكن العباد، ولا استمروا في تصرفهم فَضَرَّهُم ذلك غايةَ الضرر، ولو استمر أيضًا الظلامُ لتعطلت عليهم معايشُهم ومصالحُهم، ولكنه جعل النهار نشورًا ينتشرون فيه لتجاراتهم وأسفارهم وأعمالهم فيقوم بذلك ما يقوم من المصالح»[١].

لذا كان من هدي نبيِّنا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أيُّها الأفاضل- المحافظة على نوم الليل لما فيه من مصالح دينيه ودنيوية مُتَعَدِّيَة ترجع على العبد في أموره اليومية، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تدبَّر نومه ويقظته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجده أعدلَ نَوْمٍ، وأنفعَه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أولَ الليل ويستيقظ في أول النصف الثاني، فيقوم ويَستاك ويتوضأ ويصلي ما كتب اللهُ له، فيأخذ البدنُ والأعضاءُ والقوى حظَّها من النَّوم والراحة، وحظَّها من الرياضة مع وُفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة.

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٣٦٤).

ولم يكن يأخذ من النوم فوق القدر المحتاج إليه، ولا يمنع نفسه من القدر المحتاج إليه منه، وكان يفعله على أكمل الوجوه»(١).

لأجل ذلك كان عليه الصلاة والسلام يَكره الحديث بعد العشاء إلا لما فيه فائدة، فعن أبي بَرْزَةَ الأسلمي رضي الله عنه قال: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها: أنه يُعَرِّضُهَا- أي: الصلاة- لفوات وقتها باستغراق النوم، أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يَتَسَاهل الناسُ في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعة.

وسبب كراهة الحديث بعدها: أنه يؤدي إلى السهر، ويُخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز، أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأن السهر في الليل سببٌ للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين والطاعات، ومصالح الدنيا»(٣).

ومما يجوز السهر بسببه: ما كان فيه مصلحة راجحة بشرط أَلَّا يُؤدي ذلك لتضييع ما هو أوجب كصلاة الفجر، أو ما هو متعلق بحقوق الغير؛

---

(١) «زاد المعاد» (٤/٣٣٩).

(٢) رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (٦٤٧).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٥/١٤٦).

فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**لا سَمَرَ إلا لأَحَدِ رَجُلَيْنِ: لِمُصَلٍّ، أو مُسَافِرٍ**»[(١)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: والمكروه من الحديث بعد العشاء هو ما كان في الأمور التي لا مصلحة فيها، أما ما فيه مصلحة وخير فلا كراهة فيه، وذلك كمُدَارسة العلم، وحكايات الصالحين، ومحادثة الضيف والعروس للتأنيس، ومحادثة الرجل أهله وأولاده للملاطفة والحاجة، ومحادثة المسافرين بحفظ متاعهم أو أنفسهم، والحديث في الإصلاح بين الناس والشفاعة إليهم في خير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإرشاد إلى مصلحة ونحو ذلك، فكل هذا لا كراهة فيه»[(٢)].

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «السَّمَرُ- أي: السَّهَرُ- بعدها- أي صلاة العشاء- ذريعةٌ إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحةٌ راجحةٌ كالسَّمَرِ في العلم ومصالح المسلمين لم يُكْرَه»[(٣)].

لكننا اليوم- أيها الكرام- نرى الكثير من أبناء الإسلام يخالفون هدي خير الأنام- عليه الصلاة والسلام- فيسهرون ويسمرون دون سبب أو حاجة مع أن ذلك مكروه؛ **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومتى

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤١٢/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٤٣٥).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤٦/٥).

(٣) «إعلام الموقعين» (١٤٨/٣).

كان السَّمَرُ بِلَغْوٍ ورَفَثٍ وهِجَاءٍ فإنه مكروهٌ بغير شك»[(١)].

ويعظم الخذلانُ ويزداد الحرمانُ ويأثم العبدُ- أيها الأحبة والإخوان- إذا كان سهَره فيما يُغضب الرحمن؛ مِن ذلك ما يفعله بعض أبناء الإسلام من مشاهدة الأفلام أو المباريات أو سماع مزمار الشيطان، أو إضاعة الأوقات في النميمة والغيبة اللتين لا يسلم منهما إلا من عصمه المنَّان، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعلم أن هاتين الخصلتين- أي: النميمة والغيبة- من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس حتى ما يسلم منهما إلا القليل من الناس»[(٢)].

ألا يعلم من اعتاد السهر من غير مصلحة راجحة أو أمر معتبر أن هذا الفعل قد يَحرِمه مما ينفعه في دينه ودنياه، فيعود عليه بالخسران والضرر؛ **يقول الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإذا أطال الإنسانُ السهرَ فإنه لا يعطي بدنه حظَّه من النوم، ولا يقوم لصلاة الصبح، إلا وهو كسلان تعبان، ثم ينام في أول نهاره عن مصالحة الدينية والدنيوية، والنوم الطويل في أول النهار يؤدي إلى فوات مصالح كثيرة، وقد جرب الناس أن العمل في أول النهار أبرك من العمل في آخر النهار، وأنه أسد وأصلح وأنجح، وأنه أبرك؛ فإن البكور مبارك فيه، وهؤلاء الذين يسهرون الليالي، لا شك أنهم لا يستطيعون البقاء بدون نوم، فلا بد للجسم من النوم، وطول

---

(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٣/٣٧٧).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٦).

السهر يحول دون ذلك»[١].

ألا يدري من عوَّد نفسه على السمر أنه بذلك يُضيع رأس ماله الذي هو وقته! وهو أغلى ما يملك في هذه الدنيا الفانية، وسيسأل عنه يوم وقوفه بين يدي رب البرية! يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالوقت هو أغلى شيء، لكن هو أرخص شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين اليوم- مع الأسف الشديد- أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلة وفي ترف، ينظرون ما يترف به أبدانهم وإن أتلفوا أديانهم»[٢].

ألا تعلم- يا من تسهر فيما لا فائدة فيه- أنك كذلك تُفَوِّت على نفسك صلاةً هي من دأب الأنبياء والمرسلين وطريق العُبَّاد والصالحين للقرب من رب العالمين وهي صلاة الليل؛ فعن أبي أُمَامَةَ الباهلي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وهو قُرْبَةٌ إلى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ**»[٣].

يقول المُناويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال القاضي: معناه: أنَّ قيام الليل قُربة تقربكم إلى ربكم، وخَصلة تكفر سيئاتكم، وتنهاكم عن المحرمات»[٤].

---

(١) «اللقاء الشهري» (١/٣٢٣).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/٢٠).
(٣) رواه الترمذي (٣٥٩٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٤) «فيض القدير» (٤/٣٥١).

فعلينا جميعًا- أيُّها الأفاضل- أن نبتعد عن السهر الذي لا خير فيه، وعلى من كان فينا مُبتلًى بهذا الداء العضال والمرض القَتَّالِ التوبةُ والرجوعُ إلى الكبير المتعال، **يقول ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كلامك مكتوب وقولك محسوب وأنت- يا هذا- مطلوب، ولك ذنوبٌ وما تتوب، وشمس الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبك من بين القلوب»[(١)].

وأن نَعرف شرف أوقاتنا وأعمارنا، ونعمرها بما ينفعنا في الدنيا والآخرة ويُرضي خالقنا؛ فإن الوقت يمضي والساعات تنقضي، وإن أحدنا لا يعلم متى تباغته مَنِيَّتُه، ويأتيه أجلُه، **يقول ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قُربة، ويقدم الأفضلَ فالأفضل من القول والعمل»[(٢)].

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُعيننا وإيَّاكم على استثمار أعمارنا بما يحبه ويرضاه، وأن يُجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك السهر الذي فيه مضيعة للأوقات، وتضييع للخيرات، وحرمان من الطاعات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «التبصرة» (٢/٢٧٢).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢).

رسالة نصح وتذكير
إلى أئمة المساجد

رسالة نصح وتذكير إلى أئمة المساجد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الأصل فيمن يتولى إمامة المسلمين في الصلاة- أيها الأحبة الكرام- أن يكون من أهل الصلاح المتقين؛ لأنها من الوظائف الإيمانية التي لا يتولاها إلا من هم من صفوة رب البرية، لذا تولاها خير المرسلين- عليه أفضل الصلاة والتسليم- ومن جاء بعده من الخلفاء الراشدين.

فالمقدَّم في الإمامة- أيها الأفاضل- ليس بالنسب ولا بالجاه والمال، وإنما بالعلم والتقوى وصالح الأعمال، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَؤُمُّ الْقَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ، وَأَقْدَمُهُمْ قِرَاءَةً، فَإِنْ كانت قِرَاءَتُهُمْ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإِنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً فَلْيَؤُمَّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا**»(١).

---

(١) رواه مسلم (٦٧٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فقدَّمه بالفضيلة العِلمية، ثم بالفضيلة العمَلية، وقَدَّم العالِم بالقرآن على العالِم بالسنة، ثم الأسبق إلى الدين باختياره، ثم الأسبق إلى الدين بِسِنِّهِ، ولم يذكر النَّسَب»(١).

فإمامُ المسجد هو قدوةٌ عند الناس، حيث يرونه في اليوم خمس مرات، يراقبون فيها أفعاله وأقواله وكل حركاته، **يقول الإمام الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والإمام لما كان هو القدوة للناس لكونهم يأتمون به، ويهتدون بهديه- أُطلق عليه هذا اللفظ»(٢).

لذا؛ ينبغي على كل من تولى هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية: أن يكون مخلصًا لله جَلَّ وَعَلَا في عمله، مجتهدًا في اتباع سنة نبيه ﷺ، وذلك بالحرص على طلب العلم الشرعي الذي يرفع به الجهل عن نفسه، ويستعين به على القيام بهذه الوظيفة الإيمانية، **يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «وإذا كانت سعادةُ العبد في الدارين معلقةً بهدي النبي ﷺ، فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها: أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مُسْتَقِلٍّ ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم»(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٩/٢٦).
(٢) «فتح القدير» (١/١٣٧).
(٣) «زاد المعاد» (١/٦٩).

وليجتهد كذلك في نصح وإرشاد الناس ومن معه من المأمومين لما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، وليحثهم كذلك على رفع الجهل عن أنفسهم ومعرفة هدي نبيهم ﷺ.

فأهلُ الإسلام- أيها الكرام- في حاجة مَاسَّة لمعرفة هدي خير الأنام- عليه أفضل الصلاة والسلام- والرجوع إلى تعاليم دين العلام، خاصة في هذه الأيام التي كثرت فيها الفتن وازدادت المحن، وانتشرت فيها البدع وظهرت المعاصي والآثام؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ها هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله- البتة- إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال»(١).

وليستحضر عند قيامه بهذا العمل الجليل والفعل النبيل قولَ الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

---

(١) «زاد المعاد» (١/٦٩).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا استفهامٌ بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولًا، أي: كلامًا وطريقة، وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾: بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها، والحثِّ عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه.

خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبُه إلى عباده، بذكر تفاصيل نِعَمِه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيبُ في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك الحثُّ على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك الوعظُ لعموم الناس في أوقات المواسم والعوارض والمصائب بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك مما لا تنحصر أفراده مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادَر هو- بنفسه- إلى امتثال أمر الله بالعمل الصالح الذي يرضي ربه ﴿وَقَالَ

﴿إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: المُنقادين لأمره، السالكين في طريقه، وهذه المرتبة تمامها للصدِّيقين، الذين عملوا على تكميل أنفسهم وتكميل غيرهم، وحصلت لهم الوراثة التامة من الرسل»(١).

أخي الإمام- رعاك الله- كن في صلاتك- سواء بمفردك أو بالمُصلين- متبعًا لهدي خير المرسلين، وذلك بمراعاة صفتها كما جاءت بها النصوص الثابتة، عملًا بقوله ﷺ: «**صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»(٢).

يقول المُلَّا علي قارِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: في مراعاة الشروط والأركان، أو فيما هو أعم منهما»(٣).

احرص-سددك الله- على الرفق بمن يصلي وراءك، فعن أنَس بن مَالِكٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «**ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ أَخَفَّ صَلَاةً، ولا أَتَمَّ صَلَاةً من رسول الله** ﷺ»(٤).

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديثِ تعليمُ الأئمة الرِّفقَ بالمأمومين»(٥).

فلعل منهم المريض أو الكبير أو صاحب الحاجة؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٧٤٩).
(٢) رواه البخاري (٦٠٥) من حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٢/٣٥١).
(٤) رواه البخاري (٦٧٦) ومسلم (٤٦٩)، واللفظ له.
(٥) «كشف المشكل» (٣/٢١٠).

أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا صَلَّى أحدُكم لِلنَّاسِ فَليُخَفِّفْ؛ فإنَّ منهم الضَّعِيفَ، وَالسَّقِيمَ، وَالكَبِيرَ، وإذا صَلَّى أحدُكم لِنَفْسِهِ فَليُطَوِّل ما شَاءَ»(١).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دليلٌ أن أئمة الجماعة يلزمهم التخفيف لأمر رسول الله لهم بذلك، وقد بيَّن في هذا الحديثِ العلةَ الموجبةَ للتخفيف، وهى غير مَأْمُونَة على أحد من أئمة الجماعة؛ فإنه- وإن علم قوة مَن خَلفه- فإنَّه لا يدرى ما يحدث بهم من الآفات، ولذلك قال: (وإِذَا صَلَّى لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّل مَا شَاء)؛ لأنَّه يعلم من نفسه ما لا يعلم من غيره»(٢).

واحذر أشد الحذر- وفقك الله- من أن تَشُقَّ عليهم فتكون سببًا في تنفيرهم من بيوت الله جَلَّ وَعَلَا! فهذا مما نهاك عنه نبيك ﷺ، فعن أبي مسعود البدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ؛ فَأَيُّكُمْ ما صلى بِالنَّاسِ فَلْيَتَجَوَّزْ، فإنَّ فِيهِم الضَّعِيفَ، وَالكَبِيرَ، وَذَا الحَاجَةِ»(٣).

يقول الإمام ابن الأَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مَن يلقى الناس بالغلظة والشدة فيَنفرون من الإسلام والدِّين»(٤).

ويقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «في هذا الحديث: أنَّ الإمام مأمور

---

(١) رواه البخاري (٦٧٠) ومسلم (٤٦٧).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٣٣).
(٣) رواه البخاري (٦٧٠) ومسلم (٤٦٦).
(٤) «النهاية في غريب الأثر» (٥/٩١).

بالتخفيف خشية الإطالة عَلَى من خلفه؛ فإنه لا يخلو بعضهم من عذر كالضعيف والكبير وذي الحاجة.

وهذا يدلُّ عَلَى أن الأمر بالتخفيف إنما يتوجه إلى إمامٍ يُصَلِّي فِي مسجدٍ يَغشاه النَّاس»[(١)].

لكن عليك أن تعلم - سددك الله - أنه ليس من التخفيف المأمور به عدمُ الطمأنينة في الصلاة وإتمام الركوع والسجود، بل التخفيف المأمور به هو ما كان عليه ﷺ إذا أَمَّ الناس، **يقول الإمام ابن رجب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتخفيف المأمور بِهِ الأئمة هُوَ الَّذِي كان النبي ﷺ يفعله إذا أَمَّ، فالنقصُ مِنْهُ ليس بتخفيفٍ مَشروعٍ»[(٢)].

وأَنَّ العرف وعادة الناس ليس مَرجعًا للتخفيف؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالتخفيف أمرٌ نِسْبِيٌّ يَرجع إلى ما فَعلَه النبيُّ ﷺ، وَوَاظَبَ عليه، لا إلى شهوة المأمومين»[(٣)].

فاعلم - يا مَن ولّاك اللهُ جَلَّ وَعَلَا إمامةَ الناس - أن هذا الأمر ليس فقط من قبيل التشريف وإنما هو تكليف كذلك، وستُسأل عنها يوم القيامة، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو**

---

(١) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٢٠٧/٤).

(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٢١٠/٤).

(٣) «زاد المعاد» (٢١٤/١).

مَسؤول عن رَعِيَّتِهِ... »[١].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: **الرَّاعي**: هو الحافظ المؤتمن الملتزمُ صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظره شيءٌ فهو مطالَبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»[٢].

فحافِظ على هذه النعمة العظيمة والمنحة الكريمة، وذلك بشكر الله جَلَّجَلَالُهُ أولًا عليها، ثم بأداء ما يجب عليك من مراعاة أركانها وشروطها وسننها وآدابها، والخشوع عند القيام بها، واستحضِر عند إمامة الناس أنك تَقتدي بنبيك ﷺ، وإيَّاك أن تجعلها فقط من قبيل الوظائف الدنيوية فتُصبح عندك من قبيل العادات لا من العبادات؛ فلا تشعر باللذة الإيمانية عند القيام بها، **يقول المُلَّا عَلِي قَارِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَمَدَارُ كمالِ الصلاة مثلًا- بعد مراعاة الشروط والأركان وواجباتها وسننها وآدابها المسموعة المعروفة- على حضور القلب مع الله، وقطع النظر عما سواه»[٣].

ويا أيها المأمومُ!

اعلم- ثبتك الله- أنك في فضل كبير وخير كثير عند حضورك

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣) ومسلم (١٨٢٩) واللفظ له.

(٢) «الشرح صحيح مسلم» (١٢/٢١٣).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٦٢).

الصلاة مع جماعة المسلمين، فعليك أن تشكر عليه ربَّ العالمين، وعليك- كذلك- أن تراعي ما يجب عليك في المسجد من واجبات وسنن وآداب، ومن ذلك أن تتقي الله جَلَّ وَعَلَا فيمن يَؤمك في الصَّلاة، فلا تُشوش عليه، ولا تتدخل فيما هو خاص به، فإن هذا من الظلم والتعدي، ولا يَجُرُّ إلا للفتن والشحناء والبغضاء بين الإمام والمصلين، ويُصبح المسجد بعد ذلك مَكَانًا للفوضى واللَّغْو بدل أن يكون للعبادة والذكر، والله المستعان!

وإذا رأيت- أيها الفاضل- من إمامك التقصيرَ فبادر إلى النصح والتذكير بالتي هي أحسن مُحتسبًا عملك عند العزيز القدير، فهذا الذي يؤدي- بإذن أرحم الرَّاحمين- إلى الألفة والمحبة بين المسلمين.

يقول الشيخ العلَّامة ابنُ باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الواجب على الأئمة جميعًا**: أن يتقوا الله، وأن يَتَحَرَّوْا سنة رسول الله ﷺ في صلاتهم وفي كل شؤونهم، **والواجب على الجماعة**: أن يتقوا الله أيضًا وأن يكونوا عونًا للأئمة على فعل السُّنَّة، فالإمام يَتَحَرَّى السُّنَّة في صلاته؛ في قراءته وركوعه وسجوده حتى لا يشق على الناس، ويتحرى السُّنَّة أيضًا في ألَّا يَتأخر عنهم ويحبسهم في المسجد، يأتي في الأوقات المحددة، ويراعي الأوقات المحددة حتى لا يشق على الناس، ويرفق بهم، والجماعةُ عليهم أن يراعوا ذلك أيضًا فلا يشقوا عليه ويُلجئوه إلى أن يخالف السنة، أو يُلجئوه إلى أن يُبكر حتى تفوت الصلاةُ كثيرًا من الناس، بل كل منهما يتعاون مع أخيه؛ الإمام والجماعة يتعاونون على البر والتقوى، وعلى العناية بسنة

النبي ﷺ في ذلك، حتى يكون أداؤهم للصلاة على وجهٍ مَرْضِيٍّ، وإذا كان الإمام يعاندهم ولا يَعتني بالسُّنَّة يُرفع أمرُه إلى المرجع؛ إلى الأوقاف، وإذا كانت الأوقافُ لم تُلَبِّ الدعوةَ ولم تُبَالِ يُرفع إلى المحكمة، حتى تنظر المحكمةُ في الموضوع، أو إلى الهيئة من باب التعاون على البِرِّ والتقوى، وإن استقام الأمرُ فالحمد لله، والواجب على الإمام ألا يُلجئهم إلى الرفع إلى المحكمة أو إلى الأوقاف، بل يتحَرَّى السُّنَّة هو، ويُقنعهم بالسُّنَّة، ويُعَلِّمهم السنة حتى يَعْلَمُوها، وحتى يقتنعوا بأن عملَه طيبٌ، وإذا لم يقتنعوا فالمحكمةُ أو الهيئةُ تُرشد الجميعَ إذا كانت الأوقاف لم تقم بالواجب، نسأل الله للجميع الهداية»[(١)].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوَفِّق أئمةَ مساجد المسلمين لكل ما فيه خير لهم وللمأمومين، وأن يجعلهم هُدَاةً مُهتدين، ولهدي خير المرسلين من المتبعين الداعين، فهو سبحانه وليُّ ذلك، وأرحم الرَّاحمين.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «فتاوى نور على الدرب» (١٢/١٣١).

تسوية الصفوف
في صلاة الجماعة

تسوية الصفوف في صلاة الجماعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المؤمن- أيها الأحبة- ليفرح عندما يرى إقبال المسلمين على بيوت ربِّ العالمين لأداء فريضةٍ هي من أعظم شعائر الدِّين ورُكنه المَتين، وهي زادُ المؤمنين وقُرَّةُ عين الطائعين، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**جُعِلَتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاَةِ**»(١).

يقول المُنَاوِي رحمه الله: «لأنَّه كان حالة كونه فيها مجموعَ الهمِّ على مطالعة جلال الله وصفاته، فيحصل له من آثار ذلك ما تَقَرُّ به عينُه»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رحمه الله: «فالصلاة قُرَّةُ عيون المحبِّين،

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٣/٢٨٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٥٤٣٥).

(٢) «فيض القدير» (٣/٣٤٨).

وسرور أرواحهم، ولذة قلوبهم، وبهجة نفوسهم»[(١)].

وإنَّ المؤمن- كذلك- ليسعد- أيُّها الأفاضل- عندما يرى التزام المصلين بأداء ما أمرهم به خير المرسلين، ومن ذلك تسوية صفوفهم عند صلاتهم مأمومين، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللهُ: «والمراد بتسوية الصفوف إتمام الأول فالأول، وسَدُّ الفُرَج، ويُحاذي القائمين فيها بحيث لا يتقدم صدرُ أحد، ولا شيء منه على من هو بجنبه، ولا يَشْرَع في الصف الثاني حتى يَتِمَّ الأول، ولا يقف في صَفٍّ حتى يَتِمَّ ما قبله»[(٢)].

كيف لا يُفرح- أيُّها الكرام- بإحياء المسلمين ما خَصَّهم به العزيز العلام دون بقية الأنام؛ فعن حذيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**فُضِّلنَا على الناس بِثَلَاثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ المَلَائِكَةِ...** »[(٣)].

قال الشيخ الشِّنْقِيطِي رَحِمَهُ اللهُ: «دليلٌ صحيحٌ على أنَّ الملائكة يَصفُّون كصفوف المصلِّين في صلاتهم»[(٤)].

أيُّها المُصلي اعلم- رعاك الله- أن تسوية الصفوف من إقامة الصلاة، فعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ كان يقول: «**سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فإنَّ**

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤٥٧).
(٢) «المجموع شرح المهذب» (١٩٧/٤).
(٣) رواه مسلم (٥٢٢).
(٤) «أضواء البيان» (٣٠١/٦).

تَسْوِيَةَ الصَّفِّ من تَمَامِ الصَّلَاةِ»[(١)].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد صَرَّح في هذا الحديث بأنَّ تسوية الصفوف من جملة إقامتها، فإذا لم تُسَوَّ الصفوفُ في الصلاة نقص من إقامتها بحسب ذَلِكَ - أيضًا - والله أعلم»[(٢)].

وأنَّ تسويتها - على الصحيح - واجبةٌ يأثم من فرَّط فيها مع صحة صلاته، يقول شيخ الإسلام ابن تَيْمِية رَحِمَهُ اللَّهُ: «بل أمرهم النبيُّ ﷺ بتقويم الصفوف وتعديلها، وتراصّ الصفوف، وسد الخَلَل، وسَدِّ الأولِ فالأول، كل ذلك مبالغة في تحقيق اجتماعهم على أحسن وجه بحسب الإمكان، ولو لم يكن الاصطفافُ واجبًا لجاز أن يقف واحدٌ خلف واحدٍ، وهلمَّ جرًّا»[(٣)].

ويقول الشيخ ابنُ عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان القول الرَّاجح في هذه المسألة: وجوب تسوية الصَّفِّ، وأنَّ الجماعة إذا لم يسوُّوا الصَّفَّ فهم آثمون، وهذا هو ظاهر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

لكن إذا خالفوا فلم يسوُّوا الصَّفَّ فهل تبطل صلاتهم؛ لأنهم تركوا أمرًا واجبًا؟

الجواب: فيه احتمالٌ، قد يُقال: إنها تبطل؛ لأنهم تركوا الواجب،

---

(١) رواه البخاري (٦٩٠)ومسلم (٤٣٢) واللفظ له.

(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٢٥٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٣/٣٩٤).

ولكن احتمال عدم البطلان مع الإثم أقوى؛ لأن التسوية واجبةٌ للصلاةِ لا واجبة فيها، يعني أنها خارج عن هيئتها»[١].

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه -أيها الأحبة الكرام- أن إحياء هذا الهدي الكريم ليس قاصرًا فقط على الإمام، بل يشترك فيه حتى المأموم، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإمام تعاهدُ ذلك من الناس، وينبغي للناس تعاهدُ ذلك من أنفسهم»[٢].

فالإمام يدعو المصلين إلى تسوية صفوفهم عملًا بهدي النبي ﷺ، فعن عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ فِي الصَّلَاةِ**»[٣].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: أَتِّمُوها، وأَكْمِلُوها، وسَوُّوها على اعتدال القائمين على سَمْتٍ واحد»[٤].

وعليه أن يحذرهم أشد الحذر من خطر مخالفة ذلك، فعن النعمان ابن بشير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ اللَّهُ بين وُجُوهِكُمْ**»[٥].

---

(١) «الشرح الممتع» (٣/٥).
(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٤٤).
(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٤٨٥) وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (١٩٥).
(٤) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٤٥).
(٥) رواه البخاري (٦٨٥) ومسلم (٤٣٦) واللفظ له.

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه الوعيدُ على ترك تسوية الصفوف»(١).

ويقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «معناه: يوقع بينكم العداوةَ والبغضاءَ واختلافَ القلوب، كما يقال: تغيَّر وجهُ فلانٍ عَلَيَّ، أي: ظهر لي من وجهه كراهةٌ لي وتغيرُ قلبِه عَلَيَّ؛ لأن مخالفتهم في الصفوف مخالفة في ظواهرهم، واختلافُ الظواهر سببٌ لاختلاف البواطن»(٢).

ويقوم أيضًا بفعل ذلك قبل أن يُكبر للصلاة- خاصة إذا رأى تقصيرًا من المأمومين في تسوية الصفوف- كما كان يفعل ذلك نبيُّنا ﷺ، فعن النُّعْمَان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «كان رسولُ الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حتى كَأَنَّمَا يُسَوِّي بها القِدَاحَ»(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(القِدَاح)، بكسر القاف: هي خشب السهام حين تُنْحَتُ وتُبْرَى، واحدها قِدْحٌ بكسر القاف، معناه: يبالغ في تسويتها حتى تصير كأنما يُقوِّم بها السهامَ لشدة استوائها واعتدالها»(٤).

ويَصحب فعلُه أحيانًا تحذيرَه للمصلين من التهاون في تسويتها، ويذكر لهم الوعيد المترتب على ذلك! كما كان يقوم بذلك نبيِّنا ﷺ، فعن

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٤٤).
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٤/١٥٧).
(٣) رواه مسلم (٤٣٦).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٤/١٥٧).

أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا في الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، ولا تَخْتَلِفُوا؛ فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ»[(١)].

يقول ابن الجَوْزِي رحمه الله: «المناكب: جمع مَنْكِب: وهو مُجتمَعُ رأسِ العَضُدِ في الكَتِف. **والمعنى**: أنه كان يسويهم في الوقوف، فيَرُدُّ الخارجَ ليقع الاستواءُ، وقوله: **(ولا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ)** أي: أنكم إذا اختلفتم بالظواهر عوقبتم باختلاف القلوب، ويحتمل: لا تختلفن ظواهرُكم؛ فإنَّ اختلافها دليل على اختلاف قلوبكم»[(٢)].

وعلى الإمام ألَّا يُفَرِّط في هذه العبادة العظيمة، وألَّا يتهاون فيها، ولا يأخذه في العمل بها لومة لائم؛ **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رحمه الله:** «يجب على الإمام أن يعتنيَ بتسوية الصف، ولا تأخذه في الله لومةُ لائم؛ لأن كثيرًا من الجهلة إذا تأخر الإمام في التكبير لتسوية الصفوف أخذهم الحُمْقُ والغضبُ، فلا يَنبغي أن يُبَاليَ الإمامُ بأمثال هؤلاء؛ لأن صلته بالله ما دامت وثيقةً فستقوى الصلةُ بالناس بإذن الله»[(٣)].

وعلى المأمومين- كذلك- أن يُعينوا الإمامَ على تسوية صفوفهم، فيستجيبوا لتذكيره، ويُذَكِّرُ المصلي مَن أمامه بالتي هي أحسن دون رفع الصوت وإحداث ضجة في المسجد، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رحمه الله:**

---

(١) رواه مسلم (٤٣٢).
(٢) «كشف المشكل» (٢/٢٠٥).
(٣) «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (١٣/١٣).

«تسويةُ الصَّفِّ أمرٌ واجب، وهو من مسؤوليات الإمام والمأمومين أيضًا، فعليه تَفَقُّدُ الصَّفِّ وتسويتُه، وعليهم تسويةُ صُفوفِهم وتراصُّهُم»[(١)].

وليتذكروا عند عملهم بها ما جاء في فضلها، والثناء على من أحياها بين المصلين، والوعيد الشديد على من فرَّط فيها؛ فعن عبد الله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**من وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ الله** عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ وَصَلَ صَفًّا**) من صفوف الصلاة، (**وَصَلَهُ اللهُ**) أي: زاد في بِرِّه وصِلَتِهِ، وأدخله في رحمته، (**وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا**) منها (**قَطَعَهُ اللهُ**) أي: قطع عنه مَزِيدَ برِّه»[(٣)].

ويقول السِّنْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**وَصَلَ صَفًّا**) بأن كان فيه فُرْجَةٌ فَسَدَّهَا، أو نقصانٌ فَأَتَمَّهُ، والقطعُ بأن يقعد بين الصفوف بلا صلاة، أو منع الداخل من الدخول في الفُرُجَاتِ مثلًا، والله تعالى أعلم»[(٤)].

أيُّها الأحبة الكرام!

إنَّ مما ينبغي أن نعلمه - كذلك - أن تسوية الصفوف ليست قاصرةً على المناكب فقط كما يظن البعض، بل إن تسويتها تكون كذلك

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (١٣/١٣).
(٢) رواه النسائي (٨١٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «فيض القدير» (٦/٢٣٦).
(٤) «حاشية السندي على سنن النسائي» (٢/٩٣).

بالأقدام، **يقول الشيخ الأَلبَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «استفاضت الأحاديثُ الصحيحة عن النبي ﷺ في الأمر بإقامة الصفوف وتسويتها، بحيث يندُر أن تخفى على أحد من طلاب العلم فضلًا عن شيوخه، ولكن ربما يخفى على الكثيرين منهم أن إقامة الصف تسويتُه بالأقدام، وليس فقط بالمناكب»[(١)].

ومن الأحاديث التي أشار إليها الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما جاء عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ من وَرَاءِ ظَهْرِي**»، قال أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: وكان أَحَدُنَا يُلزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بِقَدَمِهِ»[(٢)].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ هذا: يدل على أن تسوية الصفوف: محاذاةُ المناكب والأقدام»[(٣)].

وهذا الذي كان يفعله الصحابةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، يقول النُّعْمَانُ بن بَشِير رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**رأيت الرَّجُلَ مِنَّا يُلزِقُ كَعْبَهُ بِكَعْبِ صَاحِبِهِ**»[(٤)].

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الكَعْبُ**: هو العظم النَّاتِئُ في أَثَرِ السَّاقِ ومُؤَخَّرِ القَدَمِ»[(٥)].

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (١/٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٩٢).

(٣) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٤/٢٦٢).

(٤) رواه البخاري (١/٢٥٤).

(٥) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٣٤٨).

يقول الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «التسوية المذكورة إنما تكون بلصق المَنْكِب بالمَنْكِبِ، وحافَّةِ القَدَمِ بالقدمِ؛ لأن هذا هو الذي فعله الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حين أمروا بإقامة الصفوف والتراصِّ فيها»(١).

فليتقِّ المأمومُ اللهَ جَلَّ وَعَلَا في نفسه، وليحافظ على هدي نبيه الكريم ﷺ، وليحذر أشدَّ الحذر من أن يُفَرِّط في هذه العبادة العظيمة، أو يَنْفُرَ من أخيه المسلم إذا أراد أن يقترب منه لتسوية الصف، فهذا الفعل ليس من أخلاق المسلم المُتبع لهدي نبيِّنا ﷺ وسلفنا الصالح رضوان الله عليهم، ورحم اللهُ جَلَّ وَعَلَا أنَسَ بن مالك ورضي عنه إذ يقول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «وَلَوْ ذَهَبْتَ تَفْعَلُ ذلك اليوم لَتَرَى أَحَدَهُمْ كَأَنَّهُ بَغْلٌ شَمُوسٌ»(٢).

يقول العَلَّامَةُ شَمْسِ الحَقِّ العظيم آبَادِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه الأحاديث فيها دلالةٌ واضحةٌ على اهتمام تسوية الصفوف، وأنها من إتمام الصلاة، وعلى أنه لا يتأخر بعضٌ على بعض، ولا يتقدم بعضٌ على بعض، وعلى أنه يُلزق مَنكِبه بمَنكِب صاحبه، وقدمَه بقدمه، وركبتَه بركبته، لكن اليوم تُركت هذه السنة ولو فُعلتِ اليوم لنَفَرَ الناسُ كالحمُر الوحشية، فإنا لله وإنا إليه راجعون»(٣).

فاللهَ اللهَ- أيُّها المسلم إمامًا كنتَ أو مأمومًا- في العمل بهذه العبادة

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧٢/١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٠٨/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧١/١).

(٣) «التعليق المغني على الدارقطني» (٣٠/٢).

العظيمة التي أصبحت شِبْهَ مهجورة في كثير من المساجد.

احرص -رعاك الله جَلَّوَعَلَا- على العمل بها ودعوة وتذكير المصلين بها؛ فإنَّ لك بذلك الأجر الكبير والخير الكثير بإذن العزيز القدير، **يقول الشيخ الألباني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنني أهيب بالمسلمين- وبخاصة أئمة المساجد- الحريصين على اتباعه ﷺ واكتساب فضيلة إحياءِ سنته ﷺ أن يعملوا بهذه السنة، ويحرصوا عليها، ويدعوا الناس إليها، حتى يجتمعوا عليها جميعًا»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا جميعًا لتحقيق ما يحبه ويرضاه من الطاعات، ومن ذلك إحياء السنن؛ فإن في ذلك النجاح والفلاح في الدنيا ويوم الوقوف بين يدي الرحمن، وأن يجنبنا وإياكم فعلَ ما يبغضه ويأباه ومن ذلك البدع والعصيان؛ لأن في ذلك الحرمانَ والخسران، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «السلسلة الصحيحة» (٧٢/١).

تذكير الأنام
بمكانة المسجد في الإسلام

تذكير الأنام بمكانة المسجد في الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ للمساجد في الإسلام مكانةً عظيمةً- أيها الأحبة الكرام- فهي أحبُّ البقاع للعزيز العلام؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى الله أَسْوَاقُهَا**»[١].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا**)؛ لأنها بيوتُ الطاعات وأساسُها على التقوى، قوله: (**وَأَبْغَضُ البِلَادِ إلى الله أَسْوَاقُهَا**): لأنها محلُّ الغِشِّ والخداعِ والربا والأيمانِ الكاذبة، وإخلاف الوعد، والإعراض عن ذكر الله، وغير ذلك مما في معناه»[٢].

كيف لا تكون كذلك؟!

وهذه البيوت العظيمة- أيها الأفاضل- هي مأوى الأصفياء وبيت

---

(١) رواه مسلم (٦٧١).

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧١/٥).

الأتقياء، فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ»(١).

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهي أفضلُ بيوت الدنيا، وخيرُ بقاع الأرض»(٢).

حيث يعمُرُها أهلُ الإيمان الذين هم صفوةُ الخلق وأولياء الرحمن، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وصَفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة، والزكاة، وبخشية الله التي هي أصلُ كل خير، فهؤلاء عُمَّارُ المساجد على الحقيقة، وأهلُها الذين هم أهلُها»(٣).

وفيها- أيها الأحبة والإخوان- يُتلى القرآن ويُذكر اسم العزيز المنَّان، يقول تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿فِي بُيُوتٍ﴾ عظيمة فاضلة، هي

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦/٢٥٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٧١٦).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/١٠١).

(٣) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٣٢١).

أحب البِقَاع إليه، وهي: المساجد، ﴿أَذِنَ ٱللَّهُ﴾ أي: أَمَر ووَصَّى، ﴿أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ هذان مجموع أحكام المساجد، فيدخل في رفعها بناؤُها، وكَنْسُهَا وتنظيفُها من النجاسات والأذى وصونُها من المجانين والصبيان، الذين لا يتحَرَّزُون عن النجاسات، وعن الكافر، وأن تُصان عن اللغو فيها ورفع الأصوات بغير ذكر الله، ﴿وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ يدخل في ذلك الصلاة كلها، فَرْضُها، ونَفْلُها، وقراءةُ القرآن، والتسبيحُ، والتهليلُ، وغيرُه من أنواع الذكر، وتعلمُ العلم وتعليمُه، والمذاكرةُ فيها، والاعتكافُ، وغيرُ ذلك من العبادات التي تُفعل في المساجد؛ ولهذا كانت عمارة المساجد على قسمين: عمارة بنيان وصيانة لها، وعمارة بذكر اسم الله من الصلاة وغيرها، وهذا أشرفُ القِسْمَيْنِ»[(١)].

ولـمَّا كانت للمساجد هذه المكانة العالية والدرجة الرفيعة كان لمن بناها أجرٌ كبيرٌ عند العزيز القدير، فعن عثمان ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بَنَى مَسْجِدًا لله بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الجَنَّةِ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي ﵀: «يحتمل قوله ﷺ «**مِثْلَهُ**» أمرين:

أحدهما: أن يكون معناه بنى اللهُ تعالى له مثلَه في مسمى البيت، وأمَّا صِفته في السِّعة وغيرها فمعلوم فضلها: أَنَّها مما لا عين رأت، ولا

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٥٦٩).

(٢) رواه البخاري (٤٣٩) ومسلم (٥٣٣)، واللفظ له.

أُذن سَمعت، ولا خَطَر على قَلب بشر.

الثاني: أنَّ معناه: أن فضله على بيوت الجنة، كفضل المسجد على بيوت الدنيا»[١].

لكن بشرط أن يُراد بهذا العمل العظيم وجهُ الله جل وعلا الكريم، فعن عثمان رَضِوَٱللَّهُعَنهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ الله بَنَى الله له بَيْتًا في الجَنَّةِ**»[٢].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُٱللَّهُ: «فالإخلاصُ شرطٌ لحصول الثواب في جميع الأعمال؛ فإن الأعمال بالنيات، وإنما للمرء ما نوى، وبناء المساجد من جملة الأعمال، فإن كان الباعثَ على عمله ابتغاءُ وجه الله حصل له هذا الأجر، وإن كان الباعثَ عليه الرياءُ والسمعةُ أو المباهاةُ فصاحبه متعرضٌ لِمَقْتِ الله وعقابِه، كسائر من عمل شيئًا من أعمال البِرِّ يريد به الدنيا كمن صلَّى يُرائي، أو حَجَّ يُرَائي، أو تَصَدَّق يُرَائِي»[٣].

وعلى من أنعم الله جَلَّوَعَلَا عليه بالمال، وأراد أن يبني بيتًا من بيوت الكبير المتعال عليه أن يحرص على أن يكون على السُّنَّة، وليجتنب الزخرفة، لأنَّ هذا ليس من عمل المسلمين، وقد حَذَّر منه خير المرسلين، فعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أُمِرْتُ**

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/٥).
(٢) رواه البخاري (٤٣٩) ومسلم (٥٣٣) واللفظ له.
(٣) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» (٥٠٤/٢).

بِتَشْيِيدِ المَسَاجِدِ»[(١)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي ما أُمْرتُ برفع بنائها ليُجعل ذريعةً إلى الزخرفةِ والتزيينِ الذي هو من فعل أهل الكتاب، وفيه نوعُ توبيخٍ وتأنيبٍ»[(٢)].

ويقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «السُّنَّةُ في بنيان المساجد: القصدُ، وتركُ الغُلُوِّ في تشييدها خشيةَ الفتنةِ والمباهاةِ ببنائها»[(٣)].

فالزخرفةُ تَجُرُّ إلى العُجْبِ والمباهاةِ بالمساجد بين المسلمين، وهي فتنةٌ ومشغلةٌ للمصلين، وهي من علامات الساعة كما أخبرنا بذلك رسول أرحم الراحمين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناسُ فِي المَسَاجِدِ**»[(٤)].

قال العَظِيم آبَادِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «يعني: يتفاخر كُلُّ أحد بمسجده، ويقول: مسجدي أرفع، أو أزين، أو أوسع، أو أحسن، رياءً وسمعةً واجتلابًا للمدحة»[(٥)].

ويَنبغي- كذلك- على مَن ولي أمر المسلمين ألَّا يعين على زخرفة

---

(١) رواه أبو داود (٤٤٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «فيض القدير» (٥/٤٢٦).
(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٢/٩٧).
(٤) رواه أبو داود (٤٤٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٥) «عون المعبود» (٢/٨٤).

بيوت رب العالمين، وأن يزيل ما وُجد منها؛ لأن زخرفة المساجد من الإحداث في الدين، يقول ابن الحَاجِّ المَالِكِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي له- أي: لولي الأمر- أن يُغَيِّرَ ما أحدثوه من الزخرفة في المحراب وغيره؛ فإن ذلك من البدع وهو من أشراط الساعة»(١).

وعلينا جميعًا- أيها الأحبة الأفاضل- أن نحرص على تنظيف المساجد وتطهيرها من كل أنواع الأقذار، ولنحذر أشد الحذر من كل ما يكون سببًا في تلويثها مهما كان حجمه حتى من البزاق؛ فإن ذلك من الآثام، وقد حذَّرنا منه خير الأنام، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**البُزَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن البُزَاقَ في المسجد خطيئة مطلقًا، سواء احتاج إلى البزاق أو لم يَحتج، بل يبزق في ثوبه، فإن بزق في المسجد فقد ارتكب الخطيئة، وعليه أن يُكَفِّر هذه الخطيئة بدفن البُزَاق، هذا هو الصواب»(٣).

ومن وجد فيها شيئًا مما يكون سببًا في عدم نظافتها- ولو كان يسيرًا- فلا يترك؛ فإن له في إزالته أجرًا عند العزيز المقتدر، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي حتى القَذَاة**

---

(١) «المدخل» (٢/٢١٤).

(٢) رواه البخاري (٤٠٥) ومسلم (٥٥٢)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٥/٤١).

يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ من المَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَيَّ ذُنُوبُ أُمَّتِي فلم أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ من سُورَةٍ من القُرْآنِ أو آيَةٍ أُوتِيهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا»(١).

قال المُلَّا علي القَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(عُرِضَتْ عَلَيَّ) الظاهر أنه في ليلة المعراج، (أُجُورُ أُمَّتِي) أي: ثواب أعمالهم، (حَتَّى القَذَاةُ) بالرفع أو الجر وهي بفتح القاف، قال الطِّيبي: (القَذاة هي: ما يقع في العين من تراب أو تبن أو وسخ). ولا بد في الكلام من تقدير مضاف، أي: أجور أعمال أمتي وأجر القَذاة، أي: أجر إخراج القَذاة»(٢).

أيُّها الأفاضل الكرام:

إنَّ أمتنا الإسلامية اليوم تمرُّ بمرحلة صعبة جدًّا حيث زادت فيها الفتن، وكثرت على المسلمين المحن، وتَكَالَبَ عليها الأعداء، وانتشرت الفوضى وعمَّ الجهل، وظهرت البدع وتفَشت المعاصي، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فلا عاصم منها - بعد أرحم الراحمين - إلا بالرجوع إلى تعاليم الدين؛ لذا يتحتم علينا جميعًا أن نقف وقفة رجل واحد - كل بحسبه - ننصح، ونوجه، ونحذر، ونُذَكِّر بالله رب العالمين، وبوجوب الرجوع إلى تعاليم الدين، نسلك في ذلك الطرق المشروعة التي توصلنا إلى نفع المسلمين كوسائل الاتصال الحديثة المسموعة والمرئية والمقروءة، وينبغي ألَّا يُهمل الدعاة إلى الخير في هذا المقام دور المسجد الذي هو ملتقى

---

(١) رواه أبو داود (٤٦١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٢/٣٩٥).

المصلين وبيت المسلمين، فليحرصوا أشد الحرص على إحياء الدعوة فيه، وذلك بتعليم الناس ما ينفعهم في أمور دينهم، وتذكيرهم بما عليهم من حقوق وواجبات، فالمسجد هو منبر الخير، ومنه كان العلم ينتشر، والوفود تلتقي والقلوب تتآلف، والجيوش للفتوحات تنطلق!

فاللهَ اللهَ- أيُّها الأئمةُ والدُّعاة إلى الخير- في إحياء دوره- خاصة في هذا الزمان- واحذروا- حفظكم الله- أن تجعلوا بيت العزيز العلاَّم موطنًا للفتن ونشر ما لا فائدة فيه من الكلام؛ فإنَّ هذا مما يحبه الشيطان، وهو سبب في الآثام والتفريق بين أهل الإسلام، والله المستعان.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظ أهل الإسلام في كل مكان، وأن يجعل مساجدَهم عامرةً بالسُّنَّة وحِلق العلم وتعليم القرآن؛ فهو سبحانه وليُّ ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تذكير الأحباب
بأهمية الاحتساب

تذكير الأحباب بأهمية الاحتساب

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أهم ما يُعين العبد المسلم- أيها الأخوة والأخوات- على اجتناب الذنوب والمحرمات، والمبادرة دومًا لفعل الطاعات من الواجبات، والمستحبات والمسارعة في كل الأوقات للتزُّود من الخيرات، هو احتساب ما يقوم به من عمل عند رب الأرض السموات، **يقول الإمام ابن الأَثِيرِ** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والاحتساب في الأعمال الصالحة، وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر، وتحصيله بالتسليم والصبر، أو باستعمال أنواع البر والقيام بها على الوجه المرسوم فيها طلبًا للثواب المرجو منها»[(١)].

فتذكير النفس باحتساب الأجر والثواب عند العزيز الوهاب- أيها الأحباب- لهو من أهم الأسباب التي تعين على الحرص على فعل الخيرات

(١) «النهاية في غريب الأثر» (١/٣٨٢).

وكل ما هو صواب؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ كل عمل لا بد له من مبدأ وغايةٍ، فلا يكون العملُ طاعةً وقُربةً حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لا بد أن يكون مبدؤه محضَ الإيمان، وغايتُه ثوابَ الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب»[(١)].

لأن الأصل في النفس التي بين جنبي العبد- أيها الأفاضل- أنها أمارةٌ بالسوء، مُحبة للكسل، محتاجة دائمًا إلى مُعاهَدة وتوجيه؛ لذا لا بد على صاحبها أن يجاهدها باستمرار ليُرَوِّضَها على طاعة العزيز الغفَّار، ويُجنبها معصيةَ الكبير الجبار، وهذا هو الجهاد الذي لا غنى للعبد عنه في كل وقت وحين إذا أراد أن ينال الأجر ورضا أرحم الراحمين بإذن رب العالمين، فعن فضالة بن عُبَيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال ﷺ: «**المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ الله عَزَّوَجَلَّ**»[(٢)].

يقول الشيخُ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ النفسَ مَيَّالَةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أمارةٌ بالسوء، سريعةُ التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعةَ الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، وردعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطاعات:

---

(١) «الرسالة التبوكية» (ص ١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

امتثال المأمور، واجتناب المَحظور، والصَّبر على المقدور، فالمجاهد حقيقةً: من جاهدها على هذه الأمور لتقوم بواجبها ووظيفتها»(١).

إنَّ من خصائص أهل الإيمان- أيها الأحبة والإخوان- احتسابَ الأعمال الصالحة- مهما كان حجمها- عند المنَّان كما أخبرنا عنهم العزيز الرحمن، حيث قال سبحانه: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].

يقول الإمامُ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ﴾ أي: أنتم وإياهم سواءٌ فيما يصيبكم وإياهم من الجراح والآلام، ولكن أنتم ترجون من الله المثوبةَ والنصرَ والتأييدَ كما وعدكم إياه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، وهو وعد حق وخبر صدق، وهم لا يرجون شيئًا من ذلك، فأنتم أولى بالجهاد منهم، وأشدُ رغبةً فيه وفي إقامة كلمة الله وإعلائها، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ أي: هو أعلم وأحكم فيما يُقَدِّرُه ويقضيه وينفذُه ويُمضيه من أحكامه الكونية والشرعية، وهو المحمود على كل حال»(٢).

فَيَا مَن تصدَّر لدعوة الأنام للعمل والتَّمسك بدين الإسلام:

اعلم- ثَبَّتك العَلاَّم- أنَّ مِن أهمِّ ما يُقَوِّي همتك، ويَشد من

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).
(٢) «تفسير ابن كثير» (١/٥٥١).

عزيمتك- بعد توفيق الباري جَلَّ وَعَلَا لك- أن تحتسب هذا العمل الكريم الذي فيه خيرٌ كثيرٌ وأجرٌ عظيمٌ عند العزيز الرحيم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**من دَعَا إلى هُدًى كان له من الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من أُجُورِهِمْ شيئًا، وَمَنْ دَعَا إلى ضَلَالَةٍ كان عليه من الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ من تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلك من آثَامِهِمْ شيئًا**»(١).

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أخبر أنَّ المتسببَ إلى الهدى بدعوته له مثلُ أجر من اهتدى به، والمتسببَ إلى الضلالة بدعوته عليه مثلُ إثم من ضل به؛ لأنَّ هذا بَذَلَ قدرته في هداية الناس، وهذا بَذَلَ قدرته في ضلالتهم، فنزل كلُّ واحد منهما بمنزلة الفاعل التام»(٢).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا الحديث- وما أشبهه من الأحاديث- فيه: الحث على الدعوة إلى الهدى والخير وفضل الداعي، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي، وعِظم جرم الداعي وعقوبته. والهُدَى: هو العلم النافع، والعمل الصالح، فكلُّ من عَلَّمِ علمًا، أو وَجَّه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم: فهو داعٍ إلى الهدى.

وكلُّ من دعا إلى عملٍ صالح يتعلق بحق الله أو بحقوق الخلق العامة والخاصة: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من أبدى نصيحةً دينيةً أو دُنيويةً

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) «مفتاح دار السعادة» (١/٦٢).

يتوسل بها إلى الدين: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من اهتدى في علمه أو عمله، فاقتدى به غيرُه: فهو داعٍ إلى الهدى، وكُلُّ من تقدم غيرَه بعمل خيري، أو مشروع عام النفع: فهو داخلٌ في هذا النص.

وعكسُ ذلك كله: الدَّاعي إلى الضَّلالة، فالدَّاعون إلى الهدى: هم أئمة المتقين، وخيار المؤمنين، والداعون إلى الضلالة: هم الأئمة الذين يدعون إلى النار، وكل من عاون غيرَه على البر والتقوى: فهو من الداعين إلى الهدى. وكلُّ من أعان غيره على الإثم والعدوان: فهو من الداعين إلى الضلالة»[(١)].

وتذكر أنك إذا احتسبتَ إرشادك للناس إلى فعل الخيرات، والحث على ملازمة الطاعات والتقرب إلى رب البريات، فإن لك نفسَ أجر من عمل بذلك بإذن رب الأرض والسموات، فعن أبي مَسعود البَدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «فيه فضيلةُ الدلالةِ على الخير والتنبيه عليه والمساعدة لفاعله، وفيه فضيلةُ تعليم العلم ووظائف العبادات، لا سيما لمن يعمل بها من المتعبدين وغيرهم، والمراد بمثلِ أجر فاعله أن له ثوابًا بذلك الفعل كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٦٢).
(٢) رواه مسلم (١٨٩٣).

يكون قدرُ ثوابهما سواءً»[(١)].

ويا أيُّها المُنفق على أهله:

اعلم كذلك- كتب اللهُ أجرَك- إذا أردت الثواب من المنَّان عليك أن تستحضر أن ما تقوم به هو عبادةٌ للرحمن، فعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ المُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ على أَهْلِهِ نَفَقَةً وهو يَحْتَسِبُهَا كانت له صَدَقَةً**»[(٢)].

يقول ابن الجَوْزِي رحمه الله: «معنى (**يَحْتَسِبُهَا**): ينوي بها طاعةَ الله، ويرجو ثوابها منه؛ فبذلك تجري نفقتُه مجرى الصدقةِ»[(٣)].

ويقول الإمامُ النَّوَوِي رحمه الله: «**الاحتسابُ**: أن يَتذكر أنه يجب عليه الإنفاقُ على الزوجة وأطفاله وأولاده والمملوك، وغيرهم ممن تجب نفقته على حسب أحوالهم»[(٤)].

ويا مَن فَقد في هذه الدنيا الفانية قريبًا أو حبيبًا له، اعلم كذلك- صَبَّرَكَ العليمُ القديرُ- أنك إذا أردت أن تنال الأجرَ الكبير والخيرَ الكثير عند العليم الخبير فعليك بالصبر على ما نزل بك والاحتساب، وإياك أن تجزع من هذا المصاب؛ لأن هذا منافٍ لما حثَّك عليه العزيزُ

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٣٩/١٣).
(٢) رواه البخاري (٥٠٣٦) ومسلم (١٠٠٢)، واللفظ له.
(٣) «كشف المشكل» (١٩٧/٢).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٨٩/٧).

الوهاب، وهو مانعٌ من تحصيل الأجر والثواب، فعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**يقول الله تَعَالَى: ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إذا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ من أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إلا الجَنَّةُ**»(١).

قال العَيْنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: صَبَرَ على فَقْدِ صَفِيِّه، وابتغى الأجر من الله تعالى، والاحتسابُ طلبُ الأجر من الله تعالى خالصًا، واحتسب بكذا أجرًا عند الله، أي: نوى به وجهَ الله»(٢).

وتَذَكَّر! يا من أنفقت شيئًا في سبيل رب العالمين من أجل نفع الفقراء وخدمة المساكين، ويا من فتح عليك الباري جَلَّوَعَلَا باب تعليم الناس، وحثهم على التمسك بسنة خير المرسلين، ويا من اعتنيت بتربية أولادك على وَفْق تعاليم الدين، وغرست في قلوبهم حب الإسلام والمسلمين-: أن هذه الأعمال الجليلة التي تقومون بها ستبقى لكم بشرط إخلاصكم واحتسابكم عند خالقكم صدقةً جارية، تنفعكم بعد موتكم وعند الوقوف بين يدي ربكم، فعن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا مِن ثَلَاثَةٍ، إلا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»(٣).

---

(١) رواه البخاري (٦٠٦٠).

(٢) «عمدة القاري» (٣٨/٢٣).

(٣) رواه مسلم (١٦٣١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قال العلماء**: معنى الحديث أن عمل الميت ينقطع بموته، وينقطع تجددَ الثواب له إلا في هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببَها؛ فإنَّ الولد من كسبه، وكذلك العلمُ الذي خَلَّفَهُ من تعليم أو تصنيف، وكذلك الصدقة الجارية وهي الوَقْفُ، وفيه فضيلةُ الزواج لرجاء ولد صالح»[(١)].

فالله اللهَ- أيُّها الأحبة الكرام- على استحضار النية في جميع ما نقوم به من عبادات وحتى العادات؛ لكي نُؤجَر على ذلك عند رب الأرض والسموات، فهذا الذي يُعيننا دائمًا على فعل الطاعات، ويشجعنا على الازدياد من الخيرات في كل الأوقات بإذن رب البريات.

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للعبد أن يقصد وجهَ الله تعالى، ويُخلص العمل لله في كل وقت، وفي كل جزءٍ من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجرُ العظيم وليتعود الإخلاصَ، فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر سواء تَمَّ مقصودُه أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»[(٢)].

ولنستحضر- حتى عند نومتنا وراحتنا- نيةَ التقوي بذلك على عبادة الله جَلَّ وَعَلَا كما كان يفعل أصحاب نبيِّنا ﷺ، فهذا معاذ بن

---

(١) «الشرح النووي على صحيح مسلم» (١١/٨٥).
(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٢٠٢).

جبل رضي الله عنه يقول: «أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي»[(١)].

يقول الحافظ ابن رَجَب رحمه الله: «يعني أنه ينوي بنومه التقوي على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثوابَ نومه كما يحتسب ثوابَ قيامه»[(٢)].

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وصواب، وأن يجعلنا دائمًا من أهل الاحتساب، وأن ييسر لنا تحقيق ما يُحبه ويرضاه، ويُجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه؛ فهو سبحانه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه البخاري (٤٠٨٦).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٩٥).

خلق الشجاعة

خلق الشجاعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الشجاعة- أيُّها الأفاضل- هي من أكرم الخصال التي يتصف بها الرجال، **يقول ابن حزم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حَدُّ الشجاعة بَذْلُ النفس للموت عن الدين والحريم، وعن الجار المضطهد وعن المتسجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال والعرض وفي سائر سبل الحق، سواء قَلَّ مَن يعارض أو كَثُر»(١).

فهي صفةٌ كريمةٌ تحمل على التحليِّ بمعالي الأخلاق، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشجاعة: تَحْمِلُهُ على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشِّيَم»(٢).

وتجعل صاحبها دائمًا- بإذن العزيز المقتدر- منشرحَ الصدر، **يقول**

---

(١) «مداواة النفوس» (ص ٣٢).
(٢) «مدارج السالكين» (٣٠٨/٢).

الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ الشُّجاعَ منشرحُ الصدر، واسع البِطان، مُتَّسع القلب»[(١)].

ويَقطف مَن تحلى بها- بإذن رب العالمين- ثمارًا نافعةً تعود بالنفع عليه وعلى المسلمين، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأهل الشجاعة والجود: هم أهل حسن الظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء والشجاعة؛ فإنهم أهل حسن الظن بالله»[(٢)].

لكن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الكرام- أنَّ مدح من تحلى بهذا الخلق النبيل إنما يكون إذا استعمله فيما يُرضي العزيز الجليل، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومما ينبغي أن يُعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت: إما وبالًا عليه- إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له- إن استعملها فيما لا يُقَرِّبه إلى الله تعالى»[(٣)].

وأن حُسْنَ الرأي- أيها الأحباب- هو من أهم الأسباب التي ينبغي أن تصحب الشجاعة عند استعمالها في طاعة العزيز الوهاب، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وصحةُ الرأي لقاحُ الشجاعة، فإذا اجتمعا كان

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٦٢).

(٢) «الفروسية» (ص ٤٩١).

(٣) «منهاج السنة النبوية» (٨/٨٦).

النصرُ والظَّفَرُ، وإن قعدا فالخذلانُ والخيبةُ، وإن وُجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز، وإن حصلت الشجاعةُ بلا رأي فالتهورُ والعَطَبُ»[(١)].

فالرجل الشجاع هو الذي يمتاز برجاحة العقل وحسن التدبير، وهو الذي يستفيد من الصفة الكريمة ويتعدى نفعه إلى غيره بإذن العزيز القدير، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا اجتمع في الرجل الرأيُ والشجاعةُ، فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب، والناس ثلاثةٌ: رجلٌ، ونصفُ رجل، ولا شيء، فالرجل من اجتمع له أصالةُ الرأي والشجاعةُ فهذا الرجلُ الكامل»[(٢)].

ولما كان لهذا الخلق النبيل هذه المكانةُ الرفيعةُ والدرجة العالية- أيها الكرام- تحلى به صفوةُ عبادِ العزيز العلام، وهم الأنبياءُ- عليهم الصلاة والسلام- حيث كانوا لا يخشون في تبليغ ما أرسلوا به أحدًا من الأنام، يقول عنهم سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾ [الأحزاب: ٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يتلون على العباد آياتِ الله، وحججَه وبراهينَه، ويدعونهم إلى الله ﴿وَيَخۡشَوۡنَهُۥ﴾: وحده لا شريك له ﴿وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ﴾: فإذا كان هذا سنةَ في الأنبياء المعصومين، الذين وظيفتهم قد أدوها وقاموا بها أتمَّ القيام، وهو: دعوة الخلق إلى الله،

---

(١) «الفوائد» (ص٢٠٠).

(٢) «الفروسية» (ص ٥٠٤).

والخشية منه وحده التي تقتضي فعل كل مأمور، وترك كل محظور»[(١)].

فهذا نبيُّنا ﷺ كان من أشجع الناس، يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ أَحْسَنَ الناس، وكان أَجْوَدَ الناس، وكان أَشْجَعَ الناس، وَلَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ المَدِينَةِ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ فَتَلَقَّاهُمْ رسول الله ﷺ رَاجِعًا وقد سَبَقَهُمْ إلى الصَّوْتِ، وهو على فَرَسٍ لِأَبِي طَلحَةَ عُرْيٍ في عُنُقِهِ السَّيْفُ وهو يقول: «لم تُرَاعُوا، لم تُرَاعُوا... »[(٢)].

يقول النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**لم تُرَاعُوا**) أي: رَوْعًا مستقرًّا، أو رَوْعًا يَضركم، وفيه فوائد منها: بيان شجاعته ﷺ من شدة عجلته في الخروج إلى العدو قبل الناس كلهم، بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس»[(٣)].

يقول القاضي عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما الشجاعة والنجدة: فالشجاعة فضيلة قوة الغضب وانقيادها للعقل، والنجدة: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت حيث يُحمد فعلها دون خوف، وكان ﷺ منهما بالمكان الذي لا يُجهل، قد حضر المواقف الصعبة، وفرَّ الكُمَاةُ والأبطالُ عنه غَيْرَ مَرَّة، وهو ثابتٌ لا يبرَح، ومُقْبِلٌ لا يُدبر ولا يَتَزَحْزَح، وما

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٦٦٦).

(٢) رواه البخاري (٢٨٧٥) ومسلم (٢٣٠٧)، واللفظ له.

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٥/٦٨).

شجاع إلا وقد أُحصيت له فَرَّةٌ، وحُفِظت عنه جولةٌ سواه»(١).

وكذلك ممن كان يتصف بهذه الخصلة الكريمة صحابةُ نبيِّنا- عليه الصلاة والسلام- حيث ضربوا لنا في سبيل نشر الإسلام أروعَ الأمثلة في الشجاعة والتضحية والإقدام، ومن بين هؤلاء الأبطال أبو بكر الصديق رضي الله عنه، **يقول الإمام ابن القيِّم رحمه الله**: «وكان الصدِّيق رضي الله عنه أشجعَ الأمة بعد رسول الله ﷺ... برز على الصحابة كُلِّهم بثبات قلبه في كل مَوْطِنٍ من المواطن التي تُزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابتُ القلب، رَبِيطُ الجأش، يلوذ به شجعانُ الصحابة وأبطالهم، فيُثَبِّتهم ويُشَجِّعهم»(٢).

وكذلك من جاء بعدهم من سلفنا الصالح- أيها الكرام- الذين كذلك كانوا من أشجع الأنام، حيث يشهد بذلك ما يُذكر في سيرهم وما يُروى من أخبارهم، وعلى سبيل المثال- لا الحصر- ما يُذكر عن الإمام المِقدام والبطل الهَمَّام ابن تيمية شيخ الإسلام رحمه الله، **حيث يقول عنه تلميذه أبو حَفْصٍ البَزَّارُ رحمه الله (ت ٧٤٩هـ)**: «كان من أشجع الناس وأقواهم قلبًا، ما رأيت أحدًا أثبتَ جَأْشًا منه، ولا أعظمَ عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه ولسانه ويده، ولا يخاف في الله لومةَ لائم».

وأخبر غيرُ واحد أن الشيخ رحمه الله كان إذا حضر مع عسكر المسلمين

---

(١) «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» (ص ٩٤).

(٢) «الفروسية» (ص ٥٠٠).

في جهادٍ يكون بينهم وَاقِيَتَهُمْ وقُطْبَ ثباتِهم، إن رأى مِن بعضهم هَلَعًا أو رِقَّةً أو جبانةً شَجَّعه وثَبَّتَه وبَشَّرَه، ووعَده بالنصر والظَّفَر والغنيمة، وبَيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة...»[(١)].

فعلى من رُزق هذه الخصلة الكريمة أن يحمد عليها الرحمن، وأن يستعملها فيما يرضي المنَّان؛ لأن هذا من الشكران، وأن يحذر أَشَدَّ الحذر من أن يصرفها في طاعةِ هوى نفسه والشيطان؛ لأن هذا من جحود النعم والكُفران.

وعلى كل من لم يتحلَّ بها أن يبذل ما يعينه على تحقيقها من أسباب، مع سؤاله العونَ والسدادَ من العزيز الوهاب، وليحذرْ- كذلك- من أن يكون ممن يتصف بخلق الجُبْنِ الذي هو عند جميع الناس قبيح ومذموم، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجُبْنُ خُلقٌ مذموم عند جميع الخَلق»[(٢)].

لأنَّ مَن ابْتُلي به أُصيب بضيق الصدر، وحُرم لذةَ الفرح والسرور، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والجبانُ: أضيق الناس صدرًا وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم، إلا من جنس ما للحيوان البهيمِي، وأما سرورُ الروح ولَذَّتُها ونعيمُها وابتهاجُها فمحرمٌ على كل جبان، كما هو محرمٌ على كل بخيل، وعلى كل مُعرض عن الله

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» (ص ٦٧).
(٢) «الفروسية» (ص٤٩١).

سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به، وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الكرام- حتى من كان مِنَّا مُتَّصفًا بالشجاعة والإقدام: أن نحرص على اجتناب هذا الخُلق المذموم، ونستعيذ منه دائمًا، كما كان يفعل نبيُّنا- عليه أفضل الصلاة والسلام- فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: **اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، وَالهَرَمِ، وَالبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ من عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «وأما استعاذته ﷺ من الجبن والبخل، فلِما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات، والقيام بحقوق الله تعالى وإزالة المنكر والإغلاظ على العصاة، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال وينبعث للإنفاق والجود ولمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطَّمَع فيما ليس له، قال العلماء: واستعاذتُه ﷺ من هذه الأشياء لِتَكْمُلَ صفاتُه في كل أحواله، وشَرَعَه أيضًا تعليمًا، وفي هذه الأحاديث دليلٌ لاستحباب الدعاء والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها، وهذا هو الصحيح الذي أجمع عليه العلماءُ وأهلُ الفتاوى

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٦).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٨) ومسلم (٢٧٠٦)، واللفظ له.

في الأمصار»[١].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم ممن يتحلى بكل خُلق يحبه سبحانه ويرضاه، ومن ذلك الشجاعة والكرم، وأن يُجنبنا كُلَّ خُلُقٍ يكرهه تعالى ويأباه، ومن ذلك الجبن والبخل؛ فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٣٠/١٧).

فلنحذر
من النفاق الأصغر!

فلنحذر من النفاق الأصغر!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ على كل مسلم- أيها الأحبة والإخوان- أن يخاف على نفسه من داءٍ عضال! ووباءٍ قتَّال! مرضٌ مَن أصيب به كان من أهل الحرمان! وبَاء في الدارين بالخسران! ألا وهو الوقوع في نفاق الأعمال! **يقول الحافظ ابن رَجَب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النِّفَاقُ الأصغرُ: وهو نفاقُ العمل، وهو أن يُظهِر الإنسان علانيةً صالحةً ويُبطن ما يُخالف ذلك»(١).

كيف لا يخاف العبد من هذا الداء الذي كان يخشاه الأتقياء؟!

يقول الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما خَافَهُ- أي النفاق- إلا مُؤْمِنٌ ولا أَمِنَهُ إلا مُنَافِقٌ»(٢).

ويخاف من الوقوع فيه أهلُ الصلاح الأصفياء، **يقول الإمام ابن**

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٣١).
(٢) «صحيح البخاري» (٢٦/١).

القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تالله لقد قَطَعَ خوفُ النفاق قلوبَ السابقين الأولين؛ لعلمهم بدقِّه وجِلِّه وتفاصيله وجمله، ساءت ظنونُهم بنفوسهم حتى خشوا أن يكونوا من جملة المنافقين»(١).

كيف لا يحذر المسلم من وباء خطير ومرض عسير وقد خاف منه أصحاب البشير النذير؟!

يقول الإمام عبد الله بن عُبَيْد ابن أبي مُلَيْكَةَ التَّيْمِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت ١١٧هـ): «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ من أَصْحَابِ النبي ﷺ كلهم يَخَافُ النِّفَاقَ على نَفْسِهِ»(٢).

يقول الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والصحابة الذين أدركهم بن أبي مُليكة مِن أَجَلِّهم عائشة، وأختها أسماء، وأم سَلَمَة والعبادلة الأربعة، وأبو هُرَيرة، وعُقْبة بن الحارث، والمِسْوَر بن مَخْرَمَة، فهؤلاء ممن سمع منهم، وقد أدرك بالسِّنِّ جماعةً أَجَلَّ مِن هؤلاء: كعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وَقَّاص، وقد جزم بأنهم كانوا يخافون النفاق في الأعمال ولم يُنقل عن غيرهم خلاف ذلك فكأنه إجماعٌ؛ وذلك لأن المؤمن قد يَعرِض عليه في عمله ما يشوبه مما يخالف الإخلاص، ولا يلزم من خوفهم من ذلك وقوعُه منهم، بل ذلك على سبيل المبالغة منهم في

---

(١) «مدارج السالكين» (١/٣٥٨).
(٢) «صحيح البخاري» (١/٢٦).

الورع والتقوى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(١).

ويقول الإمام الجَعْدُ بنُ دِينَارٍ البَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قلتُ لأبي رجاء العُطَارِدِي [عِمران بن مِلحان البصري (ت١٠٥ هـ)]: هل أدركتَ من أدركتَ من أصحاب النبي ﷺ يخشون النفاق؟ قال: نعم، إنِّي أدركتُ -بحمدِ اللهِ- منهم صدرًا حَسَنًا، نَعَمْ شديدًا! نَعَمْ شديدًا!»(٢).

يقول الحافظ ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولَمَّا تقرر عند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن النفاق هو اختلافُ السر والعلانية، خَشِي بعضهم على نفسه أن يكون إذا تغير عليه حضورُ قلبه ورقته وخشوعه عند سماع الذكر برجوعه إلى الدنيا والاشتغال بالأهل والأولاد والأموال، أن يكون ذلك منه نفاقًا»(٣).

ومن هؤلاء الأصحاب- أيها الأحباب- الصحابيُّ الجليل عُمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «دُعِي عُمَرُ لجنازة فخرج فيها- أو يريدها- فتعلقتُ بِهِ فقلتُ: اجلس يا أمير المؤمنين فإنه من أولئك، فقال: نَشدتُك بالله أنا منهم؟ قلت: لا، ولا أبرِّئُ أحدًا بعدك»(٤).

---

(١) «فتح الباري» (١/١١٠).

(٢) «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» لابن رجب (١/١٧٨).

(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٤).

(٤) رواه البزار كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٣/٤٢) وقال الهيثمي رَحِمَهُ اللَّهُ : «رجاله ثقات».

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: لا أفتح علي هذا الباب في تزكية الناس، وليس معناه أنه لم يبرَّأ من النفاقِ غيرَك»[(١)].

وعن أبي هلال محمد بن سُليم الرَّاسِبي البَصْري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «سأل أبان- أي: ابن يزيد العَطَّار البَصْري- الحَسَنَ البَصْرِيَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل تَخَافُ النِّفَاقَ؟ قَالَ: وَمَا يُؤْمِنُنِي مِنْهُ، وَقَدْ خَافَهُ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ!»[(٢)].

ومنهم كذلك- أيها الأفاضل- حَنْظَلَةُ بنُ الرَّبِيع الأُسَيْدِيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الذي كان من كُتَّابِ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث قال لأبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لَمَّا قال له حين لقيه: «كَيْفَ أنتَ يا حَنْظَلَةُ؟ فقال: نَافَقَ حَنْظَلَةُ!... »[(٣)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **(نَافَقَ حَنْظَلَةُ)** معناه: أنه خاف أنه منافق، حيث كان يحصل له الخوف في مجلس النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويظهر عليه ذلك مع المراقبة والفكر والإقبال على الآخرة، فإذا خرج اشتغل بالزوجة والأولاد ومعاش الدنيا، وأصلُ النفاق إظهارُ ما يُكتم خلافُه من الشر، فخاف أن يكون ذلك نفاقًا، فأعلمهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه ليس بنفاق، وأنهم لا يُكَلَّفون الدوامَ على ذلك»[(٤)].

اعلم أيُّها المسلم- وَفَّقك الله لكل خير- أنه كلما قوي إيمانُك

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٠٤).
(٢) «صفة المنافق» للفريابي (٨٤).
(٣) رواه مسلم (٢٧٥٠).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٦٦/١٧).

بالعزيز القدير زاد خوفُك من هذا المرض الخطير، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبحسب إيمان العبد ومعرفته يكون خوفُه أن يكون من أهل هذه الطبقة؛ ولهذا اشتد خوفُ سادة الأمة وسابقوها على أنفسهم أن يكونوا منهم»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الكرام- ما دمنا في هذه الدنيا الفانية أن نحذر دائمًا من هذا الداء العضال والمرض القتَّال، الذي لا يأمن منه عبدٌ مهما كثرت عبادته وارتفعت مكانته!

وقد سئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما تقول فيمن لا يخاف على نفسه النفاق؟ فقال: ومن يَأمَن على نفسه النفاق؟!»(٢).

ولنسعَ دوما- أيها الأحباب- إلى بذل الأسباب التي تقينا من هذا الوباء الخطير والشر المستطير بعون العزيز القدير، ومن ذلك:

١- **التَّعَوُّذ منه في كل وقت وحين**: كما كان يفعل أصحاب خاتم النبيين، فعن جُبَيْر بن نُفَيْر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه سمع أبا الدرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وهو في آخر صلاته- وقد فَرَغَ من التشهد- يتعوذ بالله من النفاق فأكثر من التعوذ منه، فقال جُبَيْر: «ومَا لَكَ يا أبا الدرداء أنتَ والنِّفاق؟ فقال: دعنا عنك، فوالله إن الرَّجل ليتقلَّبُ عن دينه في السَّاعة الواحدة فيُخلع منه»(٣).

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٦٠٤).
(٢) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٤).
(٣) «صفة المنافق» للفريابي (٧٣).

٢- أن نسأل دائمًا أرحم الراحمين أن يمنَّ علينا بالثبات في الدين:

لأن قلوب العباد أجمعين بيد رب العالمين، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ العبد إذا علم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هو مقلب القلوب، وأنه يحول بين المرء وقلبه، وأنه تعالى كل يوم هو في شأن يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويرفع من يشاء، ويَخفض من يشاء، فما يُؤمنه أن يُقَلِّبَ اللهُ قلبَه ويَحُول بينه وبينه، ويزيغه بعد إقامته، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران:٨]، فلولا خوف الإزاغة لما سألوه أن لَّا يزيغ قلوبهم»[(١)].

وهذا كان هدي سيد الأنبياء وأشرف المرسلين، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ كان يُكثِرُ أن يقول: «**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلبِي على دِينِكَ**»، فقلت: يا رسول الله آمَنَّا بك وبما جئت به فهل تَخَافُ علينا؟ قال: «**نعم إِنَّ القُلُوبَ بين إصبعين من أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»[(٢)].

يقول المُنَاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الحَلِيمي رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا تعليمٌ منه لأمته أن يكونوا ملازمين لمقام الخوف، مشفقين مِن سَلب التوفيق، غير آمنين

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص ٤٣١).
(٢) رواه الترمذي (٢١٤٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

من تضييع الطاعات، وتتبع الشهوات»[(١)].

٣- **أن نُكثر دومًا من الاستغفار وذكر العزيز الغفار**: لأن هذا من صفات الأخيار وعلامات الأبرار، فالذكر- أيها الكرام- من أهم الأسباب التي تحفظ العبد من الوقوع في النفاق بإذن العلام، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ كثرة ذكر الله عَزَّوَجَلَّ أمانٌ من النفاق؛ فإن المنافقين قليلو الذكر لله عَزَّوَجَلَّ، قال الله عَزَّوَجَلَّ في المنافقين: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]...، واللهُ عَزَّوَجَلَّ أكرم من أن يبتلي قلبًا ذاكرًا بالنفاق، وإنما ذلك لقلوبٍ غفلتْ عن ذكر الله عَزَّوَجَلَّ»[(٢)].

٤- **أن نحذر من الاتصاف بخصال المنافقين التي حذرنا منها رسول رب العالمين**؛ فعن عبد الله بن عَمْرٍو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كانت فيه خَلَّةٌ مِنْهُنَّ كانت فيه خَلَّةٌ من نِفَاقٍ حتى يَدَعَهَا: إذا حَدَّثَ كَذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا وَعَدَ أَخْلَفَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ»**[(٣)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا الحديث مما عَدَّهُ جماعةٌ من العلماء مشكلًا، من حيث إن هذه الخصال توجد في المسلم المصدِّق الذي ليس فيه شك، وقد أجمع العلماء على أن من كان مصدقًا بقلبه ولسانه، وفعل

---

(١) «فيض القدير» (١٣٩/٥).

(٢) «الوابل الصيب» (ص١١٠).

(٣) رواه البخاري (٣٤) ومسلم (٥٨)، واللفظ له.

هذه الخصال لا يُحكم عليه بكفر، ولا هو منافقٌ يُخلَّد في النار...؟

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا الحديثُ ليس فيه - بحمد الله تعالى - إشكالٌ، ولكن اختلف العلماء في معناه، فالذي قاله المحققون والأكثرون - وهو الصحيح المختار - أن معناه: أن هذه الخصالَ خصالُ نفاق، وصاحبها شبيهٌ بالمنافق في هذه الخصال، ومُتخلق بأخلاقهم»(١).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن اجتمعت فيه هذه الخصال الأربع فقد اجتمع فيه الشَّرُّ، وخلصت فيه نعوتُ المنافقين، فإن الصدق والقيام بالأمانات والوفاء بالعهود والورع عن حقوق الخلق هي جماعُ الخير، ومِن أَخَصِّ أوصاف المؤمنين، فمن فقد واحدةً منها فقد هَدَمَ فرضًا من فروض الإسلام والإيمان، فكيف بجميعها؟»(٢).

وعن أَبِي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»(٣).

يقول الحافظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ووجه الاقتصار على هذه العلامات الثلاث، أنها مُنَبِّهَةٌ على ما عداها؛ إذ أصل الديانة منحصر في ثلاث: القول، والفعل، والنية، فنبه على فساد القول بالكذب، وعلى فساد الفعل

---

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/٤٧).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢١).
(٣) رواه البخاري (٣٣) ومسلم (٥٩) واللفظ له.

بالخيانة، وعلى فساد النية بالخُلف»[١].

٥- **أن نجتنب كُلَّ سبب قد يوقعنا في النفاق**: ومن ذلك فعل المنكرات من المعاصي والبدع المحدثات، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «البِدَعُ مَظَانُّ النفاق، كما أنّ السُّنَنَ شعائرُ الإيمان»[٢].

فهذه- أيها الأحباب- هي أهم الأسباب التي تعيننا على اجتناب هذا الداء العُضَال والمرض القَتَّال بإذن الله الكبير المتعال، فعلينا جميعًا- إذا أردنا النجاة من هذا الوباء ولفلاح والنجاح في الدارين بعد الاعتصام بأرحم الراحمين- أن نَحرص على بذلها في كل وقتٍ وحين.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يحفظنا وإياكم من كل سوء، ومن ذلك الإصابة بهذا الداء الخطير والمرض العسير، وأن يوفقنا جميعًا لكل أنواع الخير، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز القدير.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «فتح الباري» (١/٩٠).
(٢) «مجموع الفتاوى» (٢/٢٦٩).

تذكير الأنام
بأن توقير الكبار
من تعاليم الإسلام

تذكير الأنام بأن توقير الكبار من تعاليم الإسلام

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المعاملة بين أهل الإسلام- أيها الأحبة الكرام- ينبغي أن تكون وفقَ ما جاء في تعاليم دين العزيز العلام، ومن ذلك أن يُعامل بعضُهم بعضًا بكل أدب واحترام، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأدبُ مع الخلق: فهو معاملتهم- على اختلاف مراتبهم- بما يليق بهم، فلكل مرتبةٍ أدبٌ، والمراتبُ فيها أدبٌ خاص، فمع الوالدين: أدب خاص، وللأب منهما: أدبٌ هو أخص به، ومع العالِم: أدبٌ آخر، ومع السلطان: أدبٌ يليق به، وله مع الأقران أدبٌ يليق بهم، ومع الأجانب: أدبٌ غير أدبه مع أصحابه وذوي أُنْسِه، ومع الضيف: أدبٌ غير أدبه مع أهل بيتِه»(١).

ومن ذلك- أيُّها الأفاضل الأخيار- أن يُوقر الصغارُ في السن منَّا

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٣٩٠).

الكبارَ، يقول الإمام الدَّهْلَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «السُّنَّةُ الفَاشِيَة في المَللِ جميعها توقيرُ الكبيرِ»(١).

وذلك عملًا بما أمرنا به رسولنا الكريم ﷺ، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**ليس مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**»(٢).

يقول الحافظ المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا**) الواو بمعنى: أو، فالتحذير من كل منهما وَحْدَهُ، فيتعين أن يعامل كُلًّا منهما بما يليق به، فيعطي الصغير حقَّه من الرفق به والرحمة والشفقة عليه، ويعطي الكبير حقه من الشَّرَفِ والتوقير»(٣).

ومن صور الإكرام وتوقير الصغير للكبير: أن يحترمه وينزله منزلتَه، وأن لَّا يُؤذيه بقوله ولا بفعله، وأن يُعينه ويقف معه إذا احتاج إليه ويبدأه بالسلام إذا لقيه، فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ على الكَبِيرِ، وَالمَارُّ على القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ على الكَثِيرِ**»(٤).

يقول ابنُ بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المُهَلَّبُ: هذه آدابٌ من النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأمَّا وَجْه تسليم الصغير على الكبير فمن أجل حق الكبير على الصغير بالتواضع له والتوقير، وتسليم المار على القاعد هو من باب الداخل على

---

(١) «حجة الله البالغة» (ص ٤٧٠).
(٢) رواه الترمذي (١٩١٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) «فيض القدير» (٥/٣٨٨).
(٤) رواه البخاري (٥٨٧٧).

القوم، فعليه أن يبدأهم بالسلام...، وتسليمُ القليل على الكثير من باب التواضع أيضًا؛ لأنَّ حَقَّ الكثير أعظم من حق القليل»[(١)].

ويقول الحافظُ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونقل ابنُ دقيقٍ العيدُ عن ابن رُشْدٍ أن محل الأمر في تسليم الصغير على الكبير إذا التقيا، فإن كان أحدهما راكبًا والآخر ماشيًا بدأ الراكب، وإن كانا راكبيْن، أو ماشيين بدأ الصغيرُ»[(٢)].

ولا بد أن يَعْلَم الصغار- أيها الأخيار- أن توقير واحترام الكبار هو من تعظيم العزيز الجبار، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ من إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فيه وَالجَافِي عنه، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلطَانِ المُقْسِطِ**»[(٣)].

قال العظيم آبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**إِنَّ من إِجْلَالِ اللَّه**): أي: تبجيله وتعظيمه (**إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ**): أي: تعظيم الشيخ الكبير في الإسلام بتوقيره في المجالس، والرفق به، والشفقة عليه، ونحو ذلك، كلُّ هذا من كمال تعظيم الله لحرمته عند الله»[(٤)].

ومما علينا أن نعلمه- أيها الكرام- في هذا المقام أن ممن يجب علينا

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١٥/٩).
(٢) «فتح الباري» (١٧/١١).
(٣) رواه أبو داود (٤٨٤٣)، وحسَّنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) «عون المعبود» (١٣٢/١٣).

أن نعاملهم بكل أدب واحترام وتوقير أُناسًا نَفعُهم كبير وخيرُهم على المسلمين- بعد فضل الله القدير كثير- ألا وهم: العلماءُ الرَّبَّانيون الذين هم مصابيح الدُّجَى ومنارات الهدى، **يقول الإمام طَاوُس بن كَيْسَان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مِن السُّنَّة أن يُوقَّر أربعةٌ: العالم، وذو الشَّيبة، والسُّلطان، والوالد»(١).

فتوقير العلماء هو- أيها الأفاضل- من توقير شريعتنا الإسلامية، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبتوقير العلماء تُوقَّر الشريعة؛ لأنهم حاملوها، وبإهانة العلماء تهان الشريعة؛ لأن العلماء إذا ذُلُّوا وسقطوا أمام أعين الناس ذَلَّتِ الشريعةُ التي يحملونها، ولم يبق لها قيمة عند الناس، وصار كلُّ إنسان يحتقرهم ويزدريهم فتضيعُ الشريعة»(٢).

لقد ضرب لنا أصحاب خير الأنام أروع الأمثلة في معاملة أهل العلم بالتوقير والاحترام، ومن هؤلاء الأعلام ابنُ عم نبيِّنا- عليه الصلاة والسلام- الصحابي الجليل ترجمان القرآن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، **فعن الإمام الشَّعْبِيِّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **قال**: «ذهب زيدُ بن ثابت ليركب ووضع رجليْه في الرِّكَاب؛ فأمسك ابنُ عباس بالرِّكاب، فقال: تنحَّ يابنَ عم رسول الله ﷺ، قال: لا، هكذا نفعل بالعلماء والكُبَرَاء»(٣).

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» (١/١٢٩).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).
(٣) «الفقيه والمتفقه» للخطيب البغدادي (٢/١٩٧).

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَنْ له عِلمٌ بالشَّرع والواقع يعلم قطعًا أن الرجل الجليل، الذي له في الإسلام قدمٌ صالحة، وآثارٌ حسنة وهو مِنَ الإسلام وأهلِه بمكانٍ، قد تكون منه الهفْوةُ والزَّلةُ، هو فيها معذور، بل مأجورٌ لاجتهادِه، فلا يجوز أن يُتبع فيها، ولا يجوز أن تُهدَرَ مكانتُه وإمامتُه في قلوب المسلمين»[(١)].

وكذلك ممن يجب على المسلم توقيرهم واحترامهم وإنزالهم منزلتهم- لما فيه ذلك من مصلحة يعود نفعها على العباد والبلاد- هم وُلاة الأمر، كما أمرنا بذلك رسول العزيز المقتدر، فعن أبي بَكْرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من أَكْرَمَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا أَكْرَمَهُ الله يوم القِيَامَةِ، وَمَنْ أَهَانَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا أَهَانَهُ الله يوم القِيَامَةِ»**[(٢)].

يقول الشيخُ ابن عُثَيمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كما أن ولاة الأمر والسلاطين يجب احترامُهم وتوقيرُهم وتعظيمُهم وطاعتُهم حسب ما جاءت به الشريعة؛ لأنهم إذا احتُقروا أمام الناس وأُذِلُّوا وهُوِّن أمرهم ضاع الأمنُ، وصارت البلادُ فوضى، ولم يكن للسُّلطان قوةٌ ولا نفوذٌ»[(٣)].

ولنحذرْ جميعًا أشد الحذر من الاستخفاف بهذين الصنفين من الناس؛ لأن أمره خطير وضرره على المسلمين كبير، **يقول الإمام عبدُ الله**

---

(١) «إعلام الموقعين» (٣/٢٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/٤٨)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (٢٢٩٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).

ابن المُبَارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن استَخَفَّ بالعلماء ذهبت آخرتُه، ومَن استَخَفَّ بالأمراء ذهبتْ دنياه»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذان الصنفان من الناس: العلماء والأمراء، إذا احتُقروا أمام أعين الناس فسدتِ الشريعة، وفسد الأمنُ وضاعت الأمور، وصار كل إنسان يرى أنه هو العالم، وكل إنسان يرى أنه هو الأمير، فضاعت الشريعةُ وضاعت البلادُ»(٢).

ولا ننسى- كذلك- أيها الإخوة والأخوات أن نُذَكِّرَ الأبناء والبنات بأنه يجب عليهم أن يحترموا ويوقروا من كانوا سببًا في وجودهم في هذه الحياة الدنيا، والذين بذلوا في تربيتهم الأوقات، وسهروا وتعبوا على تلبية ما كان يلزمهم من حاجيات؛ لأن هذا من البر والإحسان لهما الذي أمرنا وأوصانا به ربُّ البريات، قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ [العنكبوت: ٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: وأَمَرْنَا الإنسانَ ووصَّيْنَاهُ بوالديه حُسنًا، أي: ببرهما، والإحسان إليهما، بالقول والعمل، وأن يحافظ على ذلك، ولا يَعُقَّهُمَا، ويسيء إليهما في قوله وعمله»(٣).

ويقول ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بِرُّهُمَا يكون بطاعتهما فيما يأمران به

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٣٢/٤٤٤).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/٢٣١).
(٣) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٦٢٧).

ما لم يكن بمحظور، وتقديمُ أمرهما على فعل النافلة، والاجتناب لما نهيا عنه، والإنفاق عليهما، والتوخي لشهواتهما، والمبالغة في خدمتهما، واستعمال الأدب والهيبة لهما، فلا يرفع الولدُ صوتَه، ولا يحدقُ إليهما، ولا يدعوهما باسمهما، ويمشي وراءهما، ويصبر على ما يكره مما يصدر منهما»(١).

واعلموا- وفقكم الله- أنكم مهما اجتهدتم في بِرِّهِمَا وخدمتِهما، فلن ولن تقدروا على رَدِّ ما كان منهما من فضلٍ وإحسان.

يقول ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم البارُّ بالوالدين أنَّه مَهْمَا بالغ في بِرِّهِمَا لم يَفِ بشكرِهما»(٢).

يقول النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما بِرُّ الوالدين فهو الإحسانُ إليهما، وفعل الجميل معهما، وفعل ما يَسُرُّهُمَا»(٣).

وفي الختام علينا- أيها الكرام- أن نحرص أشد الحرص على العمل بتعاليم دين الإسلام، ومن ذلك أن نُعامل من يكبرنا سِنًا وقَدْرًا بكل أدبٍ واحترام؛ فإن في ذلك النجاحَ والفلاحَ في الدارين بإذن العزيز العلام، ولنحذرْ أشدَّ الحذر من التفريط في العمل بهذا الهدي القويم؛ لأنَّ في ذلك مخالفةً لما أَمَرَنَا به رسولنا الكريم- عليه أفضل الصلاة

---

(١) «بر الوالدين» (ص ٥).
(٢) «بر الوالدين» (ص ٥).
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٢/٧٦).

وأزكى التسليم- فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(١).

يقول الحافظ المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا)** أي: مَنْ لا يكون من أهل الرحمة لأطفالنا أيها المسلمون، **(وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا)** سنًّا أو علمًا **(فَلَيْسَ مِنَّا)** أي: ليس على طريقتنا وسنتنا»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يُحبه ويرضاه، وأن يجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه؛ فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٣)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) «فيض القدير» (٦/٢٢٤)

آفة المغالاة

في المهور

آفة المغالاة في المهور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الزَّواج- أيها الأحبة والإخوان- هو نعمةٌ من نِعم الواحد الديَّان، وآيةٌ من آيات الرحمن، يقول المنَّان: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على رحمته وعنايته بعباده وحكمته العظيمة وعلمه المحيط، ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ تُناسبكم وتُناسبونهن، وتشاكلكم وتشاكلونهن ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ بما رَتَّب على الزواج من الأسباب الجالبة للمودة والرحمة.

فحصل بالزوجة الاستمتاعُ واللذةُ والمنفعةُ بوجود الأولاد وتربيتهم، والسكون إليها، فلا تجد بين أحدٍ- في الغالب- مثل ما بين الزوجين من المودة والرحمة، ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يُعملون أفكارهم

ويتدبرون آيات الله وينتقلون من شيءٍ إلى شيءٍ»(١).

وإنَّ من حق المرأة على الرجل- أيها الكرام- إذا أراد أن يتزوجها أن يُقَدِّم لها مَهْرًا، يقول العزيز العلام: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحۡلَةً﴾ [النساء: ٤].

ويقول الإمام الطَّبَرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني بذلك- تعالى ذكرُه: وأعطوا النساء مهورَهن عطيَّة واجبة، وفريضةً لازمة»(٢).

وهذا المهرُ المفروض شرعًا يُسَمَّى- كذلك أيها الأفاضل- صَداقًا.

وسبب هذه التسمية: أنه يدل على صدق الرجل في طلب الزواج، يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُميَّ صداقًا؛ لأن بذله يدل على صدق طلب الزوج لهذه المرأة؛ إذ إن الإنسان لا يمكن أن يبذل المحبوب إلا لما هو مثله أو أحب، ولهذا سُمِّي بذلُ المال للفقير صدقةً؛ لأنه يدل على صدق باذله، وأن ما يرجوه من الثواب أحب إليه من هذا المال الذي بَذَلَهُ»(٣).

وإنَّ مما ينبغي أن نعلمه- أيها الكرام- أنه لا خلاف بين الفقهاء في أنه لا حدَّ لأكثر المهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ [النساء: ٢٠].

---

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٤٠٦).
(٢) «تفسير الطبري» (٤/٧٧).
(٣) «الشرح الممتع» (١٢/٢٥١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية دلالةٌ على عدم تحريم كثرة المهر، مع أن الأفضلَ واللائقَ الاقتداءُ بالنبي ﷺ في تخفيف المهر.

ووجه الدلالةِ: أن الله أخبر عن أمرٍ يقع منهم، ولم ينكرْه عليهم، فَدَلَّ على عدم تحريمِه»(١).

لكن يجب أن يعلم الآباء والبنات- أيها الإخوة والأخوات- أن عدم المغالاة في المهور هو من هدي رسول ربِّ البريَّات، فعن عمر ابن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «**ألا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ؛ فإنَّه لو كان مَكْرُمَةً في الدُّنْيَا، أو تَقْوَى عِنْدَ الله** عَزَّ وَجَلَّ **كان أَوْلَاكُمْ بِهِ النبيُّ** ﷺ»(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن دعتْه نفُسه إلى أن يزيد صداقَ ابنتِه على صداق بنات رسول الله ﷺ اللواتي هنَّ خيرُ خلق الله في كل فضيلة، وهنَّ أفضل نساء العالمين في كل صفة فهو جاهلٌ أحمق، وكذلك صداق أمهات المؤمنين، وهذا مع القدرة واليَسَار، فأما الفقير ونحوه فلا ينبغي له أن يُصدق المرأة إلا ما يَقدر على وفائه من غير مَشَقَّةٍ»(٣).

وأن التيسير في الصَداق هو من أسباب البركة في الزواج بإذن العزيز الرزاق؛ فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ**

---

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٨١).
(٢) رواه النسائي (٣٣٤٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٩٤/٣٢).

تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(إنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ) أي: بركتها، (تَيْسِيرَ خِطْبَتِهَا) بالكسر أي: سهولة سؤال الخاطب أولياءها نكاحها وإجابتهم بسهولة من غير توقفٍ، (وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا) أي: عدم التشديد في تكثيره ووجدانه بيد الخاطب من غير كد في تحصيله، (وَتَيْسِيرَ رَحِمِهَا) أي: للولادة بأن تكون سريعة الحمل كثيرة النسل»(٢).

وهو كذلك مما يُعين- بإذن أرحم الراحمين على انتشار الزواج في بلاد المسلمين، يقول الإمام الشَّوْكَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «الزواج بمهرٍ قليل مندوبٌ إليه؛ لأن المهر إذا كان قليلًا لم يَستصعب النكاحَ من يريده، فيَكْثُرُ الزواجُ المرغَّبُ فيه، ويَقدِرُ عليه الفقراءُ، ويَكثُرُ النسلُ الذي هو أهم مطالب النكاح، بخلاف ما إذا كان المهر كثيرًا، فإنه لا يتمكن منه إلا أرباب الأموال، فيكون الفقراءُ- الذين هم الأكثر في الغالب- غيرَ مُزَوَّجِينَ فلا تحصل المكاثرةُ التي أرشد إليها النبي ﷺ»(٣).

لكن نرى اليوم- وللأسف- أيها الأخوة والأخوات أن بعض أولياء أمور المسلمات قد خالفوا هدي رسول رب البريات، وأصبحوا عائقًا في زواج البنات وذلك بسبب مغالاتهم في المهور؛ فزادوا من إعراض

---

(١) رواه الإمام أحمد (٦/٧٧)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الجامع» (٣٩٩٨).
(٢) «فيض القدير» (٢/٧٧).
(٣) «نيل الأوطار» (٦/٣١٣).

الشباب على الزواج! وكانوا سببًا في انتشار العنوسة بين الفتيات!!

وكذلك بعض الأمهات وحتى البنات! فَبَدَلَ أن يَكُنَّ عونًا على الزواج الذي هو من الطاعات أصبحن كذلك من المعوقات بسبب ما يشترطن على الشاب من نفقات؛ يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المغالاة في المهور وفي الحفلات كل ذلك مخالف للشرع؛ فإن أعظم النكاح بركة أيسره مَؤُونَةً، وكُلَّمَا قَلَّتِ المؤونةُ عظمت البركةُ، وهذا أمر يرجع في أكثر الأحيان إلى النساء؛ لأن النساء هنَّ اللاتي يحملن أزواجهن على المغالاة في المهور، وإذا جاء المهر ميسرًا قالت المرأة: لا، إن بنتنا يجب لها كذا وكذا، وكذلك أيضًا المغالاة في الحفلات مما نهى عنه الشرع، وهو يدخل تحت قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف:٣١]، وكثيرٌ من النساء يحملن أزواجهن على ذلك أيضًا، ويقلن: إن حفل فلانٍ حدث به كذا وكذا، ولكن الواجب في مثل هذا الأمر أن يكون على الوجه المشروع، ولا يتعدى فيه الإنسانُ حَدَّهُ ولا يسرف؛ لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نهى عن الإسراف وقال: ﴿...إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾»(١).

بل تَعَدَّى الأمرُ عند بعض الأولياء- وكذلك البنات- بعدم الاكتفاء بما يطلبونه من أموال باهظة في المهور، بل بلغ بهم الأمر إلى إضافة شروط مالية قد تكون لكثير من الشباب تعجيزية، كتوفير

(١) «فتاوى إسلامية» (٣/٢٣٨).

سيارة خاصة، ووضع مبلغ معين في حساب المرأة، والسفر بعد الزواج لقضاء (شهر العَسَل) كما يُسَمَّى، يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما ما يقال عن شهر العسل فهو أخبث وأبغض؛ لأنه تقليد لغير المسلمين، وفيه إضاعةُ أموال كثيرة، وفيه أيضًا تضييعٌ لكثير من أمور الدين- خصوصًا إذا كان يُقضي في بلاد غير إسلامية- فإنهم يرجعون بعادات وتقاليد ضارَّةٍ لهم ولمجتمعهم، وهذه أمورٌ يُخشى منها على الأمة»(١).

ويقول العَلَّامة الشيخ صالح الفَوْزَان حفظه الله: «وما تُعورف عليه في هذا الزمان لدى كثير من المترفين من الشباب وذوي الثروة من السفر صبيحة الزواج إلى البلاد الخارجية الكافرة لإمضاء شهر العسل كما يسمونه، وهو في الواقع شهر السُّم؛ لأنه شهرٌ مُحَرَّمٌ، يُؤَدِّي إلى شرور كثيرة؛ من خلع الحجاب، والتزيِّ بزي الكفار، ومشاهدة أفعال الكفار وتقاليدهم السخيفة، وزيارة أمكنة اللهو، حتى ترجع المرأةُ متأثرةً بتلك الأخلاق الرذيلة، زاهدةً بأخلاق مجتمعها المسلم؛ فإن هذا السفرَ حرامٌ شديدُ التحريم، يجب الأخذُ على يد مرتكبيه، ومنعُهم منه، ويجب على أولياء المرأة منعُها من ذلك السفر»(٢).

أيها الأولياء اعلموا- وفقكم الله تعالى لمرضاته- أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا قد استرعاكم على بناتكم، وأنكم ستُسألون عنهن، فعن عبد الله بن

---

(١) «فتاوى إسلامية» (٣/٢٣٨).

(٢) «الملخص الفقهي» (٢/٥٨١).

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**أَلا كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسؤول عن رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الذي على الناس رَاعٍ وهو مسؤول عن رَعِيَّتِهِ**...»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: الراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاحَ ما قام عليه وما هو تحت نظره، ففيه أن كل من كان تحت نظرِه شيءٌ فهو مطالبٌ بالعدل فيه، والقيام بمصالحه في دينه ودنياه ومتعلقاته»(٢).

فلا يكن هَمُّكُمْ في الرجل الذي يتقدم لبناتكم المالَ أو الجاهَ أو النسبَ فقط! دون النظر إلى الأصل وهو الاستقامة في الدين والصلاح وحُسن الخلق؛ فتُخالفوا بذلك ما أمركم به نبيُّكم ﷺ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ في الأرض وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**»(٣).

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ**) أي: طلب منكم أن تُزوِّجوه امرأةً من أولادكم وأقاربكم (**من تَرْضَوْنَ**) أي: تستحسنون (**دِينَهُ**)، أي: ديانته، (**وَخُلُقَهُ**) أي: معاشرتَه؛ (**فَزَوِّجُوهُ**) أي: إياها (**إلا تَفْعَلُوا**) أي: لا تُزوِّجوه (**تَكُنْ**) أي: تقع (**فِتْنَةٌ في الأرض**

---

(١) رواه البخاري (٨٥٣)ومسلم (١٨٢٩)واللفظ له.
(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/٢١٣).
(٣) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَفَسَادٌ عَرِيضٌ) أي: ذو عَرْضٍ، أي: كثيرٌ لأنكم إن لم تزوّجوها إلا من ذي مال أو جاه ربما يبقى أكثرُ نسائكم بلا أزواج وأكثر رجالكم بلا نساء؛ فيكثر الافتتان بالزِّنا، وربما يلحق الأولياءَ عارٌ فتهيج الفتنُ والفسادُ ويترتب عليه قطعُ النسب وقلةُ الصلاح والعفَّة.

قال الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: وفي الحديث دليلٌ لمالك، فإنه يقول: لا يراعى في الكفاءة إلا الدينُ وحده، ومذهب الجمهور أنه يراعى أربعةُ أشياء: الدين، والحرية، والنسب، والصنعة، فلا تزوَّج المسلمةُ من كافر، ولا الصالحة من فاسق، ولا الحرةُ من عبدٍ، ولا المشهورة النسب من الخامل، ولا بنت تاجر أو من له حرفة طيبة ممن له حِرَفٌ خبيثة أو مكروهة، فإن رضيت المرأة أو وليها بغير كُفءٍ صح النكاحُ»(١).

واحذروا أشد الحذر أن يُؤَدِّي بكم ما تشترطونه من أموال لتزويج بناتكم إلى الوقوع في الإعضال؛ **يقول الإمام ابن قدامة** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى العَضْلُ: منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك، ورغب كل واحد منهما في صاحبه»(٢).

هذا الداء العضال الذي نهى عنه الكبير المتعال، حيث قال سبحانه: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

يقول الإمام البَغَوِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لا تمنعوهنَّ عن النكاح، والعَضْلُ:

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٦/٢٤٦).
(٢) «المغني» (٧/٢٤).

المنع، وأصله الضيقُ والشدة، يقال: عضلت المرأةُ إذا نشب ولدُها في بطنها فضاق عليه الخروج، والداء العُضال: الذي لا يطاق، وفي الآية دليلٌ على أن المرأة لا تلي عقد النكاح؛ إذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضلٌ، ولا لنهي الولي عن العضل معنًى»[١].

وفي الختام: علينا أن نعلم- أيها الأحبة الكرام- أنَّ مشكلة غلاء المهور قد شغلت بال كثير من الشباب وحالت بينهم وبين الزواج المبكر، وفي ذلك مخالفة لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ التي رَغَّبَتْ في الزواج المبكر وتيسير أسبابه، كما أن في ذلك تعريضَ الشباب والفتيات للخطر والفتنة والفساد، فعلينا جميعًا أن نسعى للقضاء على هذه الآفة الخطيرة التي انتشرت في البلدان الإسلامية، وذلك ببيان ضررها على الشباب والفتيات، وعلى المسلمات أن يحرصن على الزواج من صاحب الدين، المعروف بالحرص على الطاعات والتزود من الخيرات؛ لأنَّ السعادة الحقيقية ليست في الملذات الزائلة والشهوات! وإنما هي في التمسك بتعاليم دين رب الأرض والسموات.

وعلى أولياء الأمور: أن يتقوا العزيز الغفور في بناتهم، ولا يُغَالوا في المهور؛ يقول العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلى الأولياء أن يتقوا الله في مولياتهم؛ فإنهن أمانةٌ في أعناقهم، وأن الله سائلهم عن هذه الأمانة، فعليهم أن يبادروا إلى تزويج بناتهم وأخواتهم وأبنائهم؛ حتى

---

(١) «تفسير البغوي» (١/٢١٠)

يُؤَدِّي كلٌّ دورَه في هذه الحياة ويقل الفساد والجرائم.

ومن المعلوم: أن حبس النساء عن الزواج أو تأخيره سببٌ في فُشُوِّ الجرائم الأخلاقية وانتشارها التي هي من معاول الهدم والدمار.

فيا عباد الله:

اتقوا الله في أنفسكم وفيمن ولَّاكم الله عليهم من البنات والأخوات وغيرهن وفي إخوانكم المسلمين، واسْعَوْا جميعًا إلى تحقيق الخير والسعادة في المجتمع، وتيسير سُبُلِ نُمُوِّهِ وتكاثره وإزالة أسباب انتشار الجرائم.

واعلموا أنكم مَسؤولون ومحاسَبون ومَجْزِيُّونَ على أعمالكم، قال الله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢-٩٣] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾﴾ [النجم:٣١]، وبادِروا إلى تزويج بناتكم وأبنائكم مقتدين بنبيكم ﷺ وصحابته الكرام رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم والسائرين على هديهم وطريقتهم، وأوصيكم بتقليل مُؤَنِ الزواج وعدم المغالاة في المهور، واقتصِدُوا في تكاليف الزواج، واجتهدوا في اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء ذوي الأمانة والعِفَّةِ.

رَزَقَ اللهُ الجميعَ الفقهَ في الدين، والثباتَ عليه، وأعاذنا وإياكم

وسائرَ المسلمين من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا»[١].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَحفظ شباب وبنات المسلمين من شر الأشرار وكيد الفجَّار، وأن يُعينهم على الزواج والعِفَّة، وأن يجعلهم هُدَاةً مهتدين، وأن يوفقهم لخدمة ونصرة الدين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/١٠٥).

تذكير أهل الإسلام
أن الغيبة من كبار الآثام

تذكير أهل الإسلام أن الغيبة من كبار الآثام!

الحمدُ لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الغِيبة- أيها الأحبة والإخوان- هي مِن الخصال الذميمة التي تدل على ضعف الإيمان وقلة الخوف من العزيز الرحمن، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «**أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ؟** قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: «**ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ**». قيل: أَفَرَأَيْتَ إن كان في أَخِي ما أَقُولُ؟ قال: «**إن كان فيه ما تَقُولُ فَقَدْ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لم يَكُنْ فيه فَقَدْ بَهَتَّهُ**[1]»[2].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الغِيبة هي**: ذِكرك الإنسانَ بما فيه مما يَكره، سواء كان في بدنه، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خَلقه، أو خُلقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو خادمه، أو مملوكه، أو عمامته، أو

---

(١) **يقول المُلَّا عَلي قَارِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «بفتح الهاء المخففة وتشديد التاء على الخطاب، أي: «قُلْتَ عليه البهتان، وهو كذب عظيم». «مرقاة المفاتيح» (٩/٦٤)

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩).

ثوبه، أو مشيته، وحركته، وبشاشته، وخلاعته، وعُبوسه، وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرتَه بلفظك، أو كتابك، أو رمزت أو أشرت إليه بعينك، أو يدك أو رأسك، أو نحو ذلك... »[١].

فهي داءٌ قتَّال ومرض عُضال ينتشر بين الكثير من المسلمين إلا من عَصَمه أرحمُ الراحمين، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن هاتين الخصلتين- الغيبة والنميمة- من أقبح القبائح وأكثرها انتشارًا في الناس حتى ما يسلم منهما إلا القليل من الناس»[٢].

وهي ذنبٌ مُحَرَّمٌ بإجماع علماء الإسلام أيها الأحبة الكرام، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهما مُحَرَّمَتَانِ- أي: الغيبة والنميمة- بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمهما الدلائلُ»[٣].

ويقول الإمام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والغِيبة محرمةٌ بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحتْ مصلحتُه، كما في الجرح والتعديل والنصيحة»[٤].

وقد تضافرتِ الأدلةُ على أنها من كبائر الذنوب، **يقول الإمام القُرْطُبِيّ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا خِلَاف أن الغِيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدًا

---

(١) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٣) «الأذكار» (ص ٢٦٦).
(٤) «تفسير ابن كثير» (٤/٢١٥).

عليه أن يتوبَ إلى الله عَزَّوَجَلَّ»(١).

ومِن ذلك قولُ عَلَّام الغيوب: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

يقول الإمام الشَّوْكَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيه إشارةٌ إلى أن عِرض الإنسان كَلَحْمِهِ، وأنه كما يحرم أكلُ لحمه يَحْرُم الاستطالةُ في عِرضه، وفي هذا من التنفير عن الغِيبة، والتوبيخ لها، والتوبيخ لفاعلها، والتشنيع عليه ما لا يخفى؛ فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباعُ الإنسانيةُ، وتستكرهه الجِبِلَّةُ البشرية، فضلًا عن كونه محرَّمًا شرعًا»(٢).

لذا حذرَنا منها رسولُ العزيز العلام- عليه أفضل الصلاة والسلام- وأخبرنا أنها ليست من صفات أهل الإسلام، فعن أبي بَرْزَة الأَسْلَمِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا مَعْشَرَ من آمَنَ بِلِسَانِهِ ولم يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلبَهُ! لَا تَغْتَابُوا المُسْلِمِينَ، ولا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فإنه من اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ في بَيْتِهِ**»(٣).

يقول العَظيم آبَادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تنبيهٌ على أن غِيبة المسلم من شعار

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٦/٣٣٧).

(٢) «فتح القدير» (٥/٦٥).

(٣) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

المنافق، لا المؤمن»(١).

وبَيَّنَ لنا ﷺ أنَّ ضررَها كبيرٌ وأمرَها خطيرٌ، فعن سعِيدِ بن زَيْدٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ مِن أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ في عِرْضِ المُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**»(٢).

يقول المُنَاوِي رحمه الله: «(**إِنَّ من أَرْبَى الرِّبَا**) أي: أكثره وبالًا وأشده تحريمًا، (**الِاسْتِطَالَةَ في عِرْضِ المُسْلِمِ**) أي: احتقاره والترفع عليه والوقيعة فيه بنحو قذفٍ أو سَبٍّ؛ لأن العِرضَ شرعًا وعقلًا أعزُّ على النفس من المال، ونَبَّه بقوله: (**بِغَيْرِ حَقٍّ**) على حِل استباحة العِرض في مواضع مخصوصة كجرح الشاهد، وذكر مساوئ الخاطب»(٣).

ويَعظُم قُبْحُها ويزداد ضررُها- أيها الأحباب- بحسب مكانة من يُغتاب ويُعاب، يقول الشيخ ابن عُثَيْمين رحمه الله: «واعلم أن الغِيبةَ تزداد قُبحًا وإثمًا بحسب ما تُؤدي إليه، فغِيبة العامة من الناس ليست كغِيبة العالم، أو ليست كغِيبة الأمير، أو المدير، أو الوزير، أو ما أشبه ذلك؛ لأن غِيبة ولاة الأمور- صغيرًا كان الأمر أو كبيرًا- أشدُّ من غِيبة مَن ليس لهم إمرة وليس له أمر ولا ولاية.... »(٤).

---

(١) «عون المعبود» (١٥٣/١٣).
(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٨) وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٣٤٧/١).
(٤) «شرح رياض الصالحين» (١٠٤/٦).

فيا مَن ابتليتَ بهذا الداء الخطير والضرر الكبير! تُب منه قبل أن تقف بين يدي العزيز القدير، وتذكر دائمًا أنَّ المغتاب- إذا لم يرجع إلى الغفور التواب- فسيعاقَب على جُرمه بأنواع من العذاب، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهم أَظْفَارٌ من نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ**[1]، **فقلت: من هَؤُلَاءِ يا جِبْرِيلُ؟ قال: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ الناس، وَيَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِم**»[2].

يقول الإمام الطِّيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَمَّا كان خَمْشُ الوجه والصدر من صفات النساء النَّائحات جعلهما جزاءَ من يغتاب ويَفْري في أعراض المسلمين؛ إشعارًا بأنهما ليستا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أَقْبَحِ حالة وأَشْوَهِ صورة»[3].

ويا مَن أمامك طُعِنَ في عرض أَخيك المسلم بغير وجه حق دَافِع عنه ورُدَّ ما قيل فيه، وتذكَّر أن لك بهذا العمل الحميد الأجرَ العظيمَ عند العزيز المجيد، فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ الله عن وَجْهِهِ النَّارَ يوم القِيَامَةِ**»[4].

يقول المُناوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**مَنْ رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ**) أي: رَدَّ على مَنِ

---

(١) أي: يخدشونها. «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤٧).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٧)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤٧).

(٤) رواه الترمذي (١٩٣١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

اغتابه وشان من آذاه وعابه، (رَدَّ اللهُ عن وَجْهِهِ) أي: ذاته وشخصه؛ لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان (النَّارَ يوم القِيَامَةِ) جزاءً بما فعل؛ وذلك لأنَّ عِرض المؤمن كَدَمِهِ، فمن هَتَكَ عِرْضَهُ فكأنه سفكَ دمَه، ومَن عَمِلَ على صون عِرْضِهِ فكأنه صان دمه، فيجازَى على ذلك بصونه عن النار يوم القيامة»(١).

ومما علينا أن نَعلمه- أيها الأحبة- أن هناك بعضَ المواطن تجوز فيها الغِيبة لما في ذلك من مصلحة راجحة كما ذكر ذلك العلماء، **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنَّ الغِيبة تباح لغرضٍ صحيحٍ شرعي لا يمكن الوصول إليه إلا بها، **وهو ستة أسباب**:

الأول: **التَّظَلُّم**: فيجوز للمظلوم أن يتظلم إلى السلطان والقاضي وغيرهما ممن له ولاية، أو قدرة على إنصافه مِن ظالمه، فيقول: ظلمني فلانٌ بكذا.

الثاني: **الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي إلى الصواب**: فيقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر: فلانٌ يعمل كذا فازجره عنه، ونحو ذلك، ويكون مقصوده التوصل إلى إزالة المنكر، فإن لم يقصد ذلك كان حرامًا.

الثالث: **الاستفتاء**: فيقول للمفتي: ظلمني أبي، أو أخي أو زوجي، أو فلانٌ بكذا فهل له ذلك؟ وما طريقي في الخلاص منه، وتحصيل حقي،

---

(١) «فيض القدير» (٦/١٣٥).

ودفع الظلم؟ ونحو ذلك، فهذا جائز للحاجة، ولكن الأحوط والأفضل أن يقول: ما تقول في رجل أو شخص، أو زوج كان من أمره كذا؟ فإنه يحصل به الغرض من غير تعيين، ومع ذلك فالتعيين جائز.

الرابع: **تحذير المسلمين من الشر ونصيحتهم**: وذلك من وجوهٍ:

منها: جرح المجروحين من الرواة والشهود، وذلك جائز بإجماع المسلمين، بل واجبٌ للحاجة.

ومنها: المشاورة في مصاهرة إنسان أو مشاركته أو إيداعه أو معاملته أو غير ذلك، أو مجاورته، ويجب على المشاور أن لَّا يخفي حاله، بل يذكر المساوئ التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إذا رأى متفقهًا يتردد إلى مبتدع، أو فاسق يأخذ عنه العلم وخاف أن يتضرر المتفقه بذلك، فعليه نصيحته ببيان حاله، بشرط أن يقصد النصيحة، وهذا مما يغلط فيه، وقد يحمل المتكلمَ على ذلك الحسدُ، ويلبس الشيطانُ عليه ذلك، ويخيل إليه أنه نصيحة فليتفطن لذلك.

ومنها: أن يكون له ولايةٌ لا يقوم بها على وجهها: إما بأن لا يكون صالحًا لها، وإما بأن يكون فاسقًا، أو مغفلًا ونحو ذلك، فيجب ذكر ذلك لمن له عليه ولاية عامة ليزيله ويولي من يصلح، أو يعلم ذلك منه ليعامله بمقتضى حاله، ولا يغتر به، وأن يسعى في أن يحثه على الاستقامة أو يستبدل به.

الخامس: **أن يكون مجاهرًا بفسقه أو بدعته**: كالمجاهر بشرب

الخمر، ومُصادرة الناس، وأخذ المكس، وجباية الأموال ظلمًا، وتولي الأمور الباطلة، فيجوز ذكره بما يجاهر به ويحرم ذكره بغيره من العيوب، إلا أن يكون لجوازه سبب آخر مما ذكرناه.

السادس: **التعريف**: فإذا كان الإنسان معروفًا بلقب كالأعمش، والأعرج، والأصم، والأعمى، والأحول، وغيرهم جاز تعريفهم بذلك، ويحرم إطلاقهُ على جهة التنقص، ولو أمكن تعريفُه بغير ذلك كان أولى، فهذه ستة أسباب ذكرها العلماءُ، وأكثرُها مجمعٌ عليه، ودلائلها من الأحاديث الصحيحة مشهورة»(١).

ومما يَنبغي أن ننبه عليه- أيها الكرام- في هذا المقام أنَّ للغِيبة صُورًا عديدة، قد يقع فيها الكثير من الأنام دون أن يتفطنوا أن هذا من الآثام قد نبه عليها أحد الأئمة الأعلام، **حيث يقول ابن تيمية شيخ الإسلام- رحمه العزيز العلام**: «فمِن الناس من يغتاب موافقةً لجلسائه وأصحابه وعشائره، مع علمه أن المغتابَ بريءٌ مما يقولون، أو فيه بعضُ ما يقولون، لكن يرى أنه لو أنكر عليهم قطعَ المجلسَ واستثقله أهلُ المجلس، ونفروا عنه، فيرى موافقتَهم من حسن المعاشرة وطيب المصاحبة، وقد يغضبون فيغضب لغضبهم فيخوض معهم.

ومنهم: من يُخرج الغِيبة في قوالب شتى، تارةً في قالب ديانة وصلاح، فيقول: ليس لي عادة أن أذكر أحدًا إلا بخير ولا أحب الغِيبة، ولا

---

(١) «رياض الصالحين» (ص ٢٧٩).

الكذب، وإنما أخبركم بأحواله، ويقول: والله إنه مسكين، أو رجل جيد، ولكن فيه كيت وكيت، وربما يقول: دَعُونا منه، يغفر اللهُ لنا وله، وإنما قصْدُه استنقاصه وهضمُ لجَنَابِه، ويُخرجون الغِيبةَ في قوالب صلاح وديانة، يُخادعون اللهَ بذلك كما يخادعون مخلوقًا، وقد رأينا منهم ألوانًا كثيرة من هذا وأشباهه.

ومنهم: من يرفع غيرَه رياءً، فيرفع نفسه، فيقول: لو دعوتُ البارحةَ في صلاتي لفلان لما بلغني عنه كيت وكيت، ليرفعَ نفسَه ويضعه عند من يعتقده، أو يقول: فلانٌ بليد الذهن قليلُ الفهم، وقصْدُه مدح نفسه، وإثبات معرفته، وأنه أفضل منه.

ومنهم: من يحمله الحسدُ على الغيبة، فيجمع بين أمرَيْن قبيحين: الغِيبة، والحسد، وإذا أثني على شخص أزال ذلك عنه بما استطاع من تنقصه في قالب دين وصلاح، أو في قالب حسدٍ وفجورٍ وقَدْح؛ ليسقط ذلك عنه.

ومنهم: من يُخرج الغِيبة في قالب تَمَسْخُرٍ ولَعِبٍ ليضحك غيرَه، باستهزائه ومحاكاته واستصغار المستهزَأِ به.

ومنهم: من يُخرج الغيبة في قالب التعجبِ، فيقول: تعجبت من فلان كيف لا يفعل كيت وكيت؟! ومِن فلانٍ كيف وقع منه كيت وكيت؟! وكيف فعل كيت وكيت؟! فيخرج اسمَه في معرض تعجبه.

ومنهم: من يخرج الغِيبة في قالب الاغتمام، فيقول: مسكينٌ فلان،

غَمَّنِي ما جرى له، وما تَمَّ له، فيظن من يسمعه أنه يَغْتَمُّ له ويتأسف، وقلبُه مُنْطَوٍ على التَّشَفِّي به، ولو قدر لزاد على ما به، وربما يذكره عند أعدائه ليَشْتَفُّوا به، وهذا وغيره من أعظم أمراض القلوب والمخادعات لله ولخلقه.

ومنهم: من يُظهر الغيبة في قالب غضبٍ وإنكارِ منكر، فيظهر في هذا الباب أشياء من زخارف القول، وقصْدُه غير ما أظهر، والله المستعان»[(١)].

فيا أيها الأحبة والإخوان!

إنَّ مما يجب علينا جميعًا أن نستعمل ألسنتنا فيما يكون طاعةً للرحمن ويزيد من الإيمان، كذكر العزيز المنَّان في كل الأحيان، وقراءة القرآن، وعلينا أن نحفظها من العصيان، ولا نُطلق لها العنان في الغِيبة والنميمة والكذب والبهتان، فتجرنا إلى المهالك ونَبُوء بسببها بالنيران، فعن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**وَهَل يَكُبُّ الناس في النَّارِ على وُجُوهِهِمْ، أو على مَنَاخِرِهِمْ، إلا حَصَائِدُ أَلسِنَتِهِمْ**»[(٢)].

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمراد بحصائد الألسنة جزاءُ الكلام المحرم وعقوباته، فإن الإنسان يزرع بقوله وعمله الحسنات والسيئات، ثم يحصد يوم القيامة ما زرع، فمن زَرَعَ خيرًا من قولٍ أو عملٍ حصد

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٣٦).
(٢) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

الكرامةَ، ومن زَرَعَ شَرًّا من قولٍ أو عملٍ حصد غدًا الندامةَ، وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل الناس به النار النطقُ بألسنتهم، فإن معصيةَ النُّطْقِ يدخل فيها الشركُ وهو أعظم الذنوب عند الله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها القولُ على الله بغير علم، وهو قرين الشرك، ويدخل فيها شهادةُ الزُّور التي عَدَلَتِ الإشراك بالله عَزَّوَجَلَّ، ويدخل فيها السِّحْرُ، والقَذْفُ، وغير ذلك من الكبائر والصغائر، كالكذب والغِيبة والنميمة، وسائرُ المعاصي الفعلية لا يخلو غالبًا من قولٍ يقترن بها يكون مُعِينًا عليها»(١).

ويجب علينا أن نحفظها من كل سوء أو ما يجر إليه! إلا ما كان فيه نفعٌ في الدارين، يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلامُ وتركُه في المصلحة، فالسُّنَّةُ الإمساك عنه؛ لأنه قد يَنْجَرُّ الكلامُ المباح إلى حرامٍ أو مكروهٍ، بل هذا كثيرٌ أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيءٌ»(٢).

ولنتذكر- أيها الأفاضل- دائمًا أن المسلم الحقيقي هو من سَلِمَ الناسُ من أذاه، سواء الفعلي أو القولي، فعن عَبْدَ الله بن عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٢٧٤).
(٢) «الأذكار» (ص ٢٦٢).

أن النبي ﷺ قال: «**المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ**»(١).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذلك أن الإسلام الحقيقي: هو الاستسلام لله، وتكميل عبوديته والقيام بحقوقه، وحقوق المسلمين، ولا يتم الإسلام حتى يحب للمسلمين ما يحب لنفسه، ولا يتحقق ذلك إلا بسلامتهم من شَرِّ لسانه وشَرِّ يده، فإن هذا أصلُ هذا الفرض الذي عليه للمسلمين، فمن لم يَسْلَمِ المسلمون من لسانه أو يده كيف يكون قائمًا بالفرض الذي عليه لإخوانه المسلمين؟ فسلامتُهم من شَرِّه القولي والفعلي عنوانٌ على كمال إسلامه»(٢).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لفعل الطاعات والتزود من الخيرات، وأن يُجنبنا جميعًا ارتكاب المنكرات، ومن ذلك الغيبة التي هي من كبار المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) رواه البخاري (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٤٠).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ١٧).

تذكير أهل الإيمان
بأن الصدقة برهان

تذكير أهل الإيمان بأن الصدقة برهان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ المسلمَ- أيُّها الإخوة والأخوات- مطالبٌ في هذه الدنيا الفانية بالحرص على فعل الطاعات، والتزود من الخيرات، وصرف وقته فيما يُرضي رب البريات، يقول ابنُ الجَوْزِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ينبغي للإنسان أن يعرف شرفَ زمانه، وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظةٌ في غير قُرْبَة، ويقدم الأفضل فالأفضل من القول والعمل»(١).

ومن الأعمال الصالحة والقربات النافعة التي ينبغي للعبد- وبالأخص المقتدر- دائمًا أن يجتهد في تحقيقها ويسعى للإتيان بها لما فيها من أثر كبير ونفع جليل يعود عليه في الدارين بإذن رب العالمين: التصدقُ في سبيل أرحم الراحمين، يقول الرَّاغِبُ الأَصْبَهَانِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصدقة ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القُربة كالزكاة، لكن

(١) «صيد الخاطر» (ص٢).

الصدقة في الأصل تقال للمتطوع به، والزكاة للواجب، وقد يسمى الواجب صدقةً إذا تحرى صاحبُها الصِّدْقَ في فعله»[(١)].

إن مما يدل على صدق الإيمان وشدة الحرص على أنواع البر والإحسان، والرغبة فيما عند الله جَلَّوَعَلَا المنَّان- أيها الأحبة والإخوان- التطوع بالصدقة في سبيل الرحمن، فعن أبي مالك الأشعري رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ**»[(٢)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «الصدقةُ حُجَّةٌ على إيمان فاعلها؛ فإن المنافق يمتنع منها لكونه لا يعتقدها، فمن تصدق استدل بصَدَقته على صدق إيمانه، والله أعلم»[(٣)].

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُٱللَّهُ: «**بُرْهَانٌ**» أي: دليلٌ على صدق إيمان المتصدِّق.

وَجْهُ ذَلِكَ: أن المالَ محبوبٌ للنفوس، ولا يُبذل المحبوبُ إلا في طلب ما هو أحب، وهذا يدلّ على إيمان المتصدق، ولهذا سمى النبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الصدقةَ برهانًا»[(٤)].

فصدقة التطوع- أيها الكرام- هي من أسباب محو الذنوب، والتَّطَهر

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (ص ٢٧٨).
(٢) رواه مسلم (٢٢٣).
(٣) «شرح النووي على صحيح مسلم» (١٠١/٣).
(٤) «شرح الأربعين النووية» (ص٢٤٦).

من الآثام بإذن العزيز العلام، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ**»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رحمه الله: «الصدقة مطلقًا، سواء الزكاة الواجبة أو التطوع، وسواء كانت قليلة أو كثيرة، **(تُطفِئ الخَطيئَة)** أي: خطيئة بني آدم، وهي المعاصي.

(كَمَا يُطفِئ المَاءُ النَّارَ) والماءُ يطفئ النارَ بدون تردد، فشبَّه النبيُّ صلى الله عليه وسلم الأمرَ المعنوي بالأمر الحسِّي»(٢).

وهي كذلك من أسباب دعاء الملائكة للعبد بالخير والبركة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما من يَوْمٍ يُصْبحُ العِبَادُ فيه إلا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فيقول أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**»(٣).

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «قال العلماء: هذا في الإنفاق في الطاعات ومكارم الأخلاق، وعلى العيال والضيفان والصدقات ونحو ذلك، بحيث لا يُذَمّ ولا يُسمى سَرَفًا، والإمساكُ المذموم هو الإمساك عن هذا»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (٢٦١٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.
(٢) «شرح الأربعين النووية» (ص ٣٢٠).
(٣) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (١٠١٠)، واللفظ له.
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (٧/٩٥).

أيها المسلم اعلم-رحمك الله-أن النفقة في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا في الحقيقة لا تُنقصُ مالك ولا تُقلّله؛ فعن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَنْقُصُ مَالٌ من صَدَقَة، فَتَصَدَّقُوا»(١).

يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن قال قائلٌ: كيف لا تُنقِص- أي الصدقةُ- المالَ، والإنسان إذا كان عنده مائةٌ فتصدق بعشرة صار عنده تسعون؟! فيقال: هذا نقص كَمٍّ، ولكنها تزيد في الكَيْفِ، ثم يفتح الله للإنسان أبوابًا من الرزق تَردُّ عليه ما أنفق»(٢).

بل الصدقة تكون سببًا في زيادة مَالِك وطرح البركة فيه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ:٣٩].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ﴾ نفقة واجبة، أو مستحبة، على قريب، أو جار، أو مسكين، أو يتيم، أو غير ذلك، ﴿فَهُوَ﴾ تعالى ﴿يُخۡلِفُهُۥۖ﴾؛ فلا تتوهَّموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وَعَدَ بالخلف للمنفقِ، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾ [سبأ:٣٩] ؛ فاطلبوا الرزق منه، واسْعَوْا في الأسباب التي أمركم بها»(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (١٩٢/١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب» (٨١٤).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٥٢٤/٣).
(٣) «تفسيرالسّعْدِي» (ص٤٣٢).

فأنفِق- نفع اللهُ بك- على الفقراء والمساكين، ولا تَخْشَ إطلاقًا من الفقر الذي قد يُوهمك به الشيطانُ اللعين، واعلم أنَّ الجزاء من جنس العمل بإذن أرحم الراحمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»[١].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى: أَنْفِقِ الأموال الفانية في الدنيا لتدرك الأحوال العالية في العُقْبَى، وقيل: معناه أعطِ الناسَ ما رَزَقْتُك حتى أَن أرزقك، أي: في الدنيا»[٢].

وليكن دائمًا قدوتَك نبيُّك ﷺ، الذي كان جوادًا كريمًا يُكثر من التصدق في سبيل الله ولا يرد سائلًا، يسعى دائمًا لقضاء حوائج الناس، **يقول ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان ﷺ أعظمَ الناس صدقةً بما ملكت يده، وكان لا يستكثر شيئًا أعطاه لله تعالى ولا يستقِلُّه، وكان لا يسأله أحد شيئًا عنده إلا أعطاه قليلًا كان أو كثيرًا، وكان عطاؤه عطاءَ من لا يخاف الفقر، وكان العطاءُ والصدقةُ أحبَّ شيءٍ إليه، وكان سرورُه وَفَرَحُه بما يعطيه أعظمَ من سرور الآخذ بما يأخذه، وكان أجودَ الناس بالخير، يمينُه كالريح المرسلة، وكان إذا عرض له محتاجٌ آثره على نفسه، تارةً بطعامه وتارةً بلباسه، وكان يُنَوِّعُ في أصناف عطائه وصدقته، فتارةً بالهبة، وتارةً بالصدقة، وتارةً بالهدية، وتارةً بشراء الشيء ثم يعطي

---

(١) رواه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٩٩٣)، واللفظ له.

(٢) «مرقاة المفاتيح» (٤/٣١٨).

البائعَ الثمنَ والسلعةَ جميعًا»(١).

أيها المتصدِّق إنَّ أول ما ينبغي عليك أن تَحرص عليه هو أن تَمُدَّ يَدَ العون والإنفاق على ذي الرحم القريب؛ لأن في ذلك مضاعفةً للأجر عند العزيز الرقيب، فتبرعُك على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم صدقةٌ وصِلَةٌ، فعن سلمان بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**الصَّدَقَةُ على المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ على ذِي الرَّحِمِ اثنتان: صَدَقَةٌ، وَصِلَةٌ**»(٢).

يقول المُلَّا علي قاري رَحِمَهُٱللَّهُ: «يعني أن الصدقة على الأقارب أفضلُ؛ لأنه خَيْرَانِ، ولا شك أنهما أفضلُ من واحدٍ»(٣).

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُٱللَّهُ: «والقريب الذي يستحقها إذا كانت حاجته مثل حاجة الأجنبي فهو أحق بها منه، فإنَّ صدقتَك على المسكين صدقةٌ، وعلى ذي الرحم صدقةٌ وصِلَةٌ، والله أعلم»(٤).

واعلم- وفقك الله- أن أعظم أجر لك- أيها المنفق- أن تتصدق بطيب نفس وأنت صحيح الجسد مقتدر، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رَسُولَ الله أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟ قال: «**أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ، وَتَأْمُلُ الغِنَى، ولا تُمْهِلُ حتى**

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٢٢).

(٢) رواه الترمذي (١١٣٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤/٣٧٣).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٥/٦٩).

إذا بَلَغَتِ الحُلقُومَ قُلتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، وَلِفُلَانٍ كَذَا، وقد كان لِفُلَانٍ»[(١)].

يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه: أنَّ أعمال البر كلما صَعُبَتْ كان أجرُهَا أعظمَ؛ لأن الصحيحَ الشحيحَ إذا خشي الفقر، وأمَّل الغنى صَعُبَتْ عليه النفقة، وسوَّل له الشيطانُ طولَ العمر، وحُلول الفقر به، فمن تَصَدَّقَ في هذه الحال، فهو مُؤْثِرٌ لثواب الله على هوى نفسه»[(٢)].

ويقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «في الحديث دليلٌ على أن الإنسان ينبغي له أن يبادر بالصدقة قبل أن يأتيه الموت، وأنه إذا تصدق في حال حضور الأجل كان ذلك أقل فضلًا مما لو تصدق وهو صحيح شحيح»[(٣)].

واعلم- سدَّدَك الله- أن الأفضل أن تتصدق في السِّرِّ؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، وهي من علامات الأتقياء، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمْ اللهُ في ظِلِّهِ يوم لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في الله اجْتَمَعَا عليه وَتَفَرَّقَا عليه، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقال: إني أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حتى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله**

(١) رواه البخاري (١٣٥٣) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٢).

(٢) شرح «صحيح البخاري» لابن بطال (٣/٤١٧).

(٣) «شرح رياض الصالحين» (٢/٣٠).

خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(١)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وهذا في صدقة التطوع، فالسرُّ فيها أفضل؛ لأنه أقرب إلى الإخلاص، وأبعد من الرياء، وأما الزكاة الواجبة، فإعلانها أفضل، وهكذا حكم الصلاة، فإعلان فرائضها أفضل، وإسرار نوافلها أفضل، لقوله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**»[(٢)]، قال العلماء: وذِكر اليمين والشمال مبالغةٌ في الإخفاء والاستتار بالصدقة، وضَرْبُ المثل بهما لقُرب اليمين من الشمال وملازمتها لها»[(٣)].

وعليك- حفظك الله- أن تُكثر من الصدقات التي يكون نفعها مُتَعَدِّيًا ويبقى خيرها حتى بعد مماتك بإذن رب العالمين، كالإعانة على نشر الدين بالإنفاق على طلبة العلم الغير مقتدرين الذين عُرفوا بالتمسك بهدي خير المرسلين، وكذلك كن سببًا في طباعة الكتب المفيدة، وبناء المساجد، وحفر الآبار، وغير ذلك مما ينفع المسلمين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنه عَمَلُهُ إلا من ثَلَاثَةٍ: إلا من صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو له**»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٩) واللفظ له، ومسلم (١٠٣٠).
(٢) رواه البخاري (٦٩٨) ومسلم (٧٨١) من حديث زيد بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (٧/١٢٢).
(٤) رواه مسلم (١٦٣١).

يقول ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وخَصَّ النبيُّ ﷺ هذه الأشياء الثلاثة بوصول الثواب إلى الميت؛ لأنه سبب لحصولها، والعبد إذا باشر السبب الذي يتعلق به الأمر والنهي يترتب عليه مسببه، وإن كان خارجًا عن سعيه وكسبه، فلما كان هو السبب في حصول هذا الولد الصالح، والصدقة الجارية، والعلم النافع، جرى عليه ثوابُه وأجره لتسببه فيه، فالعبد إنما يثاب على ما باشره، أو على ما تولد منه»(١).

واحرص كذلك- كتب الله أجرك- على الإحسان لمن أحسن إليك وبالأخص لأبويك، وذلك بالتصدُّق عنهما إن ماتا، فهما أحوج للأعمال الصالحة كالصدقة التي تنفعهما بإذن الله جَلَّ وَعَلَا، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: إِنَّ أَبِي مَاتَ وَتَرَكَ مالًا ولم يُوصِ، فهل يُكَفِّرُ عنه أن أَتَصَدَّقَ عنه؟ قال: «**نعم**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «في هذا الحديث جواز الصدقة عن الميت واستحبابها، وأن ثوابها يصله وينفعه، وينفع المتصدق أيضًا، وهذا كله أجمع عليه المسلمون»(٣).

واحذر أشد الحذر من أن تُبطل نفقتك بالمنِّ والأذى؛ لأن هذا ليس من سمات الأخيار الذي يريدون بالصدقة وجه العزيز الغفار، قال تعالى:

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٧٥).
(٢) رواه مسلم (١٦٣٠).
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١١/٨٤).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن المنَّة والأذى مبطلان لأعمالكم، فتصير أعمالكم بمنزلة الذي يعمل لمراءاة الناس ولا يريد به الله والدار الآخرة، فهذا لا شك أن عمله من أصله مردود؛ لأن شرط العمل أن يكون لله وحده، وهذا في الحقيقة عملٌ للناس لا لله، فأعماله باطلة وسعيه غير مشكور»(١).

فاحرص- أيها المسلم- على النفقة في سبيل الله جَلَّ وَعَلَا، وعلى جميع أنواع البر والإحسان قبل أن تُقبض روحك بإذن الرحمن، فلا تنفعك بعدها الحسرةُ ولا يغني عنك الندمُ لفوات الأوان، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اشتر نفسك اليوم فإن السوقَ قائمةٌ، والثمن موجود، والبضائع رخيصة، وسيأتي على تلك السوق والبضائع يومٌ لا تصل فيها إلى قليل ولا كثير ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾ [التغابن: ٩] ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّـٰلِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾ [الفرقان: ٢٧]»(٢).

وأخلص في عملك للواحد المنَّان، ولا تستحقر من المعروف شيئًا مهما كان! فعن عَدِيِّ بن حَاتِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ١١٣).

(٢) «الفوائد» (٤٩).

بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لم يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[(١)].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث: أن من أعظم المنجيات من النار، الإحسانَ إلى الخلق بالمال والأقوال، وأن العبد لا ينبغي له أن يحتقر من المعروف ولو شيئًا قليلًا، والكلمة الطيبة تشمل النصيحة للخلق بتعليمهم ما يجهلون، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية.

وتشمل الكلام المُسِرَّ للقلوب، الشارح للصدور، المقارن للبشاشة والبشر، وتشمل الذكر لله والثناء عليه، وذكر أحكامه وشرائعه، فكلُّ كلامٍ يقرِّب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخلٌ في الكلمة الطيبة»[(٢)].

واعلم أيها المنفق- كتب اللهُ أجرَك-أن الباري جلال جلاله بفضله وجوده وكرمه قد يدفع عنك بتصدقك على المحتاجين الفقراء البلاءِ والوباء، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «للصدقة تأثير عجيب في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر؛ فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مُقِرُّون به؛ لأنهم جرَّبوه»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (١٣٤٧) ومسلم (١٠١٦)، واللفظ له.

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٢٥٧).

(٣) «الوابل الصيب» (ص ٤٩).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين، وفي سبيله من المنفقين، وعلى الفقراء والمساكين من المتصدقين، وأن يُعيننا جميعًا على خدمة الإسلام والمسلمين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تذكير البشر
بالواجب نحو نعمة البصر

تذكير البشر بالواجب نحو نعمة البصر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فلقد خَلَقَ ربُّ الأرض والسموات العبدَ في أحسن الهيئات وفَضَّلَهُ على غيره من المخلوقات، حيث يقول ربُّ البريَّات: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

يقول الإمامُ ابن العَرَبِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس لله تعالى خلقٌ هو أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًّا عالمًا قادرًا مريدًا، متكلمًا سميعًا بصيرًا، مدبرًا حكيمًا»(١).

وأَنعم العليمُ المنَّان على الإنسان- أيها الأحبة والإخوان- بنعم كثيرة ومنن غزيرة لا يمكن لأحد أن يَعدها ولا أن يحصيها مهما كان! يقول العزيز الرحمن: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨].

---

(١) «أحكام القرآن» لابن العربي (٤/٤١٥).

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ﴾ عددًا مجردًا عن الشكر ﴿لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ فضلًا عن كونكم تشكرونها؛ فإن نعمه الظاهرة والباطنة على العباد بعدد الأنفاس واللحظات، من جميع أصناف النعم مما يعرف العباد، ومما لا يعرفون، وما يدفع عنهم من النقم، فأكثرُ من أن تحصى، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ يرضى منكم باليسير من الشكر مع إنعامه الكثير»(١).

وإنَّ نِعْمَةَ البصر من المِنَن الغزيرة والآلاء الكثيرة التي أنعم بها العزيزُ المقتدر على البشر، يقول سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هو المنفرد بهذه النعم حيث ﴿أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ ولا تقدرون على شيءٍ، ثم إنه ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ﴾ خَصَّ هذه الأعضاء الثلاثة لشرفها وفضلها، ولأنها مفتاحُ لكل علم، فلا وَصَلَ للعبد علمٌ إلا من أحد هذه الأبواب الثلاثة، وإلا فسائر الأعضاء والقوى الظاهرة والباطنة هو الذي أعطاهم إياها، وجعل يُنَمِّيها فيهم شيئًا فشيئًا إلى أن يصل كلُّ أحد إلى الحالة اللائقة به؛ وذلك لأجل أن يشكروا الله باستعمال ما أعطاهم من هذه الجوارح في طاعة الله، فمَن

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٣٧).

استعملها في غير ذلك كانت حُجةً عليه، وقَابَلَ النعمة بأقبح المعاملة»(١).

أيها الإخوة والأخوات:

إنَّ مما يجب علينا جميعًا هو الامتثال لأوامر ربِّ البريَّات، وذلك بحفظ هذه النعمة من النظر إلى المحرمات والمنكرات، يقول تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

يقول الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا أمرٌ من الله تعالى لعباده المؤمنين أن يَغُضُّوا أبصارهم عما حُرم عليهم، فلا ينظروا إلا إلى ما أباح لهم النظرَ إليه، وأن يُغمضوا أبصارهم عن المحارم، فإن اتفق أن وقع بصرٌ على محرم من غير قصدٍ فليصرف بصرَه عنه سريعًا»(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والله -سبحانه- قد أمر في كتابه بغض البصر، وهو نوعان: غضُّ البصر عن العورة، وغضُّه عن محل الشهوة.

فالأول: كغضِّ الرجل بصرَه عن عورة غيره.

وأما النوع الثاني من النظر: كالنظر إلى الزينة الباطنة من المرأة

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٤٤٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٨٢).

الأجنبية، فهذا أشد من الأول... »[١].

فالأبصار- أيها الأحبة الأخيار- إذا لم تُحفظ من المعاصي والذنوب تأثرت بسببها القلوب؛ لأن العين هي من أقوى الحواس المؤثرة على قلوب الناس، يقول الإمام القُرْطُبِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب وأعمر طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوطُ من جهته، ووجب التحذيرُ منه، وغَضُّه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله»[٢].

وعلى العبد أن يعلم جيدًا أن في غَض بصره عما يُغضب رب العالمين منافعَ عديدة وفوائدَ عظيمة يُحصلها في الدارين بإذن رب العالمين، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي غض البصر عِدة منافع:

أحدها: أنه امتثالٌ لأمر الله الذي هو غاية سعادة العبد في معاشه ومعاده، وليس للعبد في دنياه وآخرته أنفع من امتثال أوامر ربه- تبارك وتعالى-، وما سَعِد من سَعِد في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامره، وما شقي من شقي في الدنيا والآخرة إلا بتضييع أوامره.

الثاني: أنه يمنع من وصول أثر السُّم المسموم الذي لعل فيه هلاكه إلى قلبه.

الثالث: أنه يُورِثُ القلب أُنسًا بالله وجمعيَّةً على الله، فإن إطلاق

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٥/٤١٤).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٢/٢٢٢).

البصر يُفرق القلب ويُشتِّته ويُبعده من الله، وليس على العبد شيء أضر من إطلاق البصر؛ فإنه يُوقع الوَحشة بين العبد وبين ربه.

الرابع: أنه يُقوِّي القلب ويُفرحه، كما أن إطلاق البصر يُضعفه ويُحزنه.

الخامس: أنه يُكسب القلب نورًا، كما أن إطلاقه يُكسبه ظلمةً.

السادس: أنه يُورث الفِراسة الصادقة التي يميز بها بين المحق والمبطل، والصادق والكاذب، وكان شاه بن شُجاع الكرماني يقول: «من عَمَّرَ ظاهره باتباع السنة، وباطِنَه بدوام المراقبة، وغَضَّ بصره عن المحارم، وكف نفسه عن الشهوات، واعتاد أكل الحلال لم تخطئ له فِراسة»، وكان شُجاعٌ هذا لا تخطئ له فِرَاسةٌ، والله سبحانه يجزي العبد على عمله بما هو من جنس عمله، ومن ترك شيئًا عوضه الله خيرًا منه، فإذا غض بصره عن محارم الله عَوَّضَهُ اللهُ بأن يطلق نورَ بصيرته عوضًا عن حبسه بصره لله، ويفتح له باب العلم والإيمان والمعرفة والفِراسة الصادقة المصيبة التي إنما تنال ببصيرة القلب.

السابع: إنه يُورث القلب ثباتًا وشجاعة وقوة، ويجمع الله له بين سلطان البصيرة والحُجة وسلطان القدرة والقوة.

الثامن: أنه يَسدُّ على الشيطان مدخَلَه من القلب، فإنه يدخل مع النظرة ويَنفذ معها إلى القلب أسرع من نفوذ الهواء في المكان الخالي.

التاسع: أنه يُفرغ القلب للفكرة في مصالحه والاشتغال بها، وإطلاق

البصر يشتت عليه ذلك ويَحول عليه بينه وبينها فتنفرط عليه أموره، ويقع في اتباع هواه، وفي الغفلة عن ذكر ربه قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] وإطلاق النظر يوجب هذه الأمور الثلاثة بحسبه.

العاشر: أنَّ بين العين والقلب منفذًا أو طريقًا يوجب اشتغال أحدهما عن الآخر، وأن يَصلُح بصلاحه ويفسد بفساده، فإذا فسد القلبُ فسد النظر، وإذا فسد النظر فسد القلب، وكذلك في جانب الصلاح فإذا خَرِبَت العين وفَسدت خَرِب القلب وفسد وصار كالمزبلة التي هي محل النجاسات والقاذورات والأوساخ، فلا يصلح لسكنى معرفة الله ومحبته والإنابة إليه، والأنس به والسرور بقربه فيه، وإنما يسكن فيه أضداد ذلك.

فهذه إشارة إلى بعض فوائد غض البصر تطلعك على ما وراءها»[(١)].

وليعلم كذلك كلُّ من وقعت عينه- فجأة- على شيء من الحرام أن النظرة الأولى معفوٌّ عنها بإذن الغفور العلام، فعن بُرَيْدَةَ بن الحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: «**يا عَلِيُّ؛ لَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ، فإنَّ لك الأُولَى وَلَيْسَتْ لك الآخِرَةُ**»[(٢)].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ**) من الإِتْبَاع،

---

(١) «الجواب الكافي» (ص ١٢٥).

(٢) رواه أبو داود (٢١٤٩)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أي: لا تعقُبها إياها ولا تجعل أخرى بعد الأولى **(فإن لك الأُولَى)** أي: النظرة الأولى إذا كانت من غير قصد **(وَلَيْسَتْ لك الآخِرَةُ)** أي: النظرة الآخرة لأنها باختيارك، فتكون عليك»(١).

أما إذا لم يصرف بصره واستمر يُقلبه في ذلك الحرام على الدوام! فإنه قد وقع في الآثام، فعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «سألتُ ﷺ عن نَظَرِ الفُجَاءَةِ ؟ **فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومعنى **(نَظَر الفُجَاءَة)** أن يقع بصرُه على الأجنبية من غير قصدٍ، فلا إثم عليه في أول ذلك، ويجب عليه أن يصرف بصرَه في الحال، فإن صرف في الحال فلا إثم عليه، وإن استدام النظر أَثِم؛ لهذا الحديث، فإنه ﷺ أمره بأن يصرف بصره»(٣).

ويقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ونظرة الفجأة هي النظرة الأولى التي تقع بغير قصد من الناظر، فما لم يعتمدْه القلبُ لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثانية تَعَمُّدًا أَثِم»(٤).

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- أن نشكر على هذه النعمة العظيمة العزيزَ المنَّانَ، وأن نحرص أشدَّ الحرص في استعمالها دائمًا في

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٦/٢٧٥).
(٢) رواه مسلم (٢١٥٩).
(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤/١٣٩).
(٤) «روضة المحبين» (ص ٩٦).

طاعة المنَّان؛ **يقول الشيخ الشِّنْقِيطي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وبهذه المناسبة إنَّ على كُلِّ مُسلم؛ أفرادًا وجماعات: أن يُقابلوا نعمَ الله بالشكر، وأن يشكروها بالطاعة والعبادة لله، وأن يحذروا كفران النعم»[(١)].

ولنحذر أشدَّ الحذر من أن نجعلها فيما يُغضب الرحمن، ويُفرح الشيطان! مهما كان حجم العصيان؛ **يقول الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فاحذر- يا أخي وفقك الله- من شر النَّظَر، فكم قد أهلك من عابدٍ وفَسَخَ عَزْمَ زاهدٍ»[(٢)].

ولا ننسى في هذا المقام- أيها الأحباب- أن نُذَكِّر من ابتلاه العزيز الوهاب بفقد بصره بأن عليه الصبر والاحتساب؛ لما في ذلك من أجرٍ عظيم عند ربٍّ عظيم كريم، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **من أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ لم أَرْضَ له بِثَوَابٍ دُونَ الجَنَّةِ**»[(٣)].

يقول الحافظ ابن حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «لأنهما أَحَبُّ أعضاء الإنسان إليه؛ لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيتَه من خير فيُسَرُّ به، أو شر فيجتنبه»[(٤)].

---

(١) «أضواء البيان» (٩/١١٢).
(٢) «ذم الهوى» (ص٩٤).
(٣) رواه الترمذي (٢٧٩٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٤) «فتح الباري» (١٠/١١٦).

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا أعظم العِوض؛ لأن الالتذاذ بالبصر يَفنى بفناء الدنيا، والالتذاذ بالجنة باقٍ ببقائها، وهو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك استغلال ما أنعم به علينا في فعل الطاعات والتزود من الخيرات، وأن يجنبنا جميعًا ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك النظر في المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «فتح الباري» (١٠/١١٦).

فلنحذر
من خشوع النفاق!

فلنحذر من خشوع النفاق!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ الخشوع في الصلاة- أيها الأفاضل الكرام- عظيمٌ شأنه، كثيرةٌ فوائده، قليلٌ -خاصة في زماننا هذا- أهلُه، ليس بالأمر السهل تحصيله! فهو سريع فقده! فعن أبي الدرداء رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**أولُّ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ، حَتَّى لَا يُرَى فِيهَا خَاشِعًا**»(١).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «يصيرُ الواحدُ منهم ساكنَ الجوارح تصنُّعًا ورياءً، وقلبُه مملوءٌ بالشهوات»(٢).

فمن وَفَّقَهُ العزيزُ الوهاب- أيها الأحباب- رزَقه الخشوع في الصلاة، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُٱللَّهُ: «والخشوع: يتضمن معنيين:

---

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٢/٤٠٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ في «صحيح الجامع» (٤٣٣٤).

(٢) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٣٩١).

أحدهما: التواضع والذل.

والثاني: السكون والطمأنينة.

وذلك مستلزمٌ للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديتَه لله وطمأنينتَه أيضًا؛ ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا: التواضعُ، والسكون»(١).

فهو درجةٌ عظيمةٌ ومكانةٌ رفيعةٌ لا يَنال شرفَها ولا يصل منزلتَها إلا من وَفَّقَهُ لها ربُّ البرية، ولم يعلق قلبَه بالأمور الدنيوية الفانية، **يقول الإمام ابن كَثِير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فَرَّغَ قلبَه لها، واشتغل بها عَمَّا عداها، وآثَرَهَا على غيرها، وحينئذ تكون راحةً له وقرةَ عَيْنٍ»(٢).

فلا يحصل عليه العبدُ بمجرد التظاهر به! بل لا بد من حضور القلب أثناء تأدية الصلاة، **يقول الشيخ السّعْدِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والخشوع في الصلاة هو حضور القلب بين يدي الله تعالى، مستحضرًا لقربه، فيسكن لذلك قلبُه، وتطمئن نفسُه، وتسكن حركاتُه ويقل التِفَاتُه، متأدبًا بين يدي ربه، مستحضرًا جميع ما يقوله ويفعله في صلاته، من أول صلاته إلى آخرها، فتنتفي بذلك الوساوسُ والأفكارُ الرَّدِيَّة، وهذا رُوحُ الصلاة، والمقصود منها، وهو الذي يُكتب للعبد، فالصلاة التي لا

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/٢٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/٢٣٩).

خشوع فيها ولا حضور قلب- وإن كانت مُجْزِيَةً مُثَابًا عليها- فإن الثواب حسب ما يَعْقِل القلبُ منها»[(١)].

إنَّ مما ينبغي أن يعلمه كل مسلم أن الجوارح هي عنوان القلب والمعبرة عما فيه، فما في القلب لا بد أن يظهر على الأعضاء! فصلاحها هو بسبب صلاح القلب! وفسادها بسبب فساده! فعن النعمان بن بشير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ القَلْبُ**»[(٢)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبُه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دلَّ على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمالُ الظاهرةُ من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهى تصديقٌ لما في القلب ودليلٌ عليه، وشاهد له، وهي شعبةٌ من مجموع الإيمان المطلق وبعضٌ له، لكن ما في القلب هو الأصل لِمَا على الجوارح»[(٣)].

لذا- أيها الكرام- كان ظهور أثر الخشوع في الصلاة على الجوارح من العلامات الدالة على أنه قد حصَّل هذه المنزلة الرفيعة بفضل العزيز

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص ٥٤٧).
(٢) رواه البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩)، واللفظ له.
(٣) «مجموع الفتاوى» (٧/٦٤٤).

العلام، **فعن الإمام سُفْيَان الثَّوْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رجل قال**: رآني ابنُ المسيِّب أعبث بالحصى في الصلاة، فقال: «لو خشع قلبُ هذا خشعتْ جوارحُه»[(١)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن الرَّعِيَّة بحكم الراعي، وقد جعل اللهُ بين الأجساد والأرواح رابطةً ربانيةً وعلاقةً روحانيةً، فلكل منهما ارتباطٌ بصاحبه وتعلقٌ به يتأثر بتأثره، فإذا خشع القلبُ أَثَّرَ ذلك في الجوارح، فخشعت وصَفَت الروحُ وزَكَتِ النَّفسُ، وإذا أخلص القلبُ بالطاعة استعمل الجوارحَ في مصالحه»[(٢)].

فالخاشع في الصلاة حقيقةً هو مَن كان قلبُه حاضرًا فيها مع جوارحه، لا أعضاؤه الظاهرة فقط! لأنه إذا ظهرت آثارُ الخشوع على الجوارح فقط ولم يكن في القلب شيء منه فهذا هو خشوع النفاق؛ **قال الإمام الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «من النفاق اختلافُ القلب واللسان، واختلافُ السِّرِّ والعلانية»[(٣)].

وهذا المرض العُضال والداء القتَّال كان أصحاب النبي ﷺ أيها الأفاضل يُبينون للناس ضررَه ويحذرون منه لِخَطره، ويتعوذون منه، فعن أبي الدَّرداء رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «تعوذوا بالله من خشوع النفاق»، فقيل له: يا

---

(١) «مصنف عبد الرزاق» (٢/٢٦٦).

(٢) «فيض القدير» (٥/٣١٩).

(٣) «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٤٣٣).

أبا الدرداء! وما خشوع النفاق؟ قال: «أن ترى الجسد خاشعًا، والقلبَ ليس بخاشع»[(١)].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «خشوع النفاق: فهو حال عند تكلف إسكان الجوارح تصنعًا ومراءاةً، ونفسُه في الباطن شَابَّةٌ طَرِيَّةٌ ذات شهواتٍ وإراداتٍ، فهو يخشع في الظاهر وحَيَّةُ الوادي وأَسَدُ الغابة رابضٌ بين جنبيه ينتظر الفريسةَ»[(٢)].

ومن علاماته- أيها الكرام- أن تَدمع عينُ العبد فقط! وقلبُه لاهٍ قاسٍ؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ**: «بكاء النفاق وهو أن تدمع العين والقلب قاسٍ، فيُظهر صاحبُه الخشوعَ وهو من أقسى الناس قلبًا»[(٣)].

فعلينا أن نحذر أشدَّ الحذر من هذا المرض الخطير، وذلك بأن نسأل العزيز القدير أن يصرف عنا هذا الداء العسير، وأن نعلم- أيها الأحبة والإخوان- الفرق بينه وبين خشوع الإيمان؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ**: «والفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق أن خشوع الإيمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والإجلال والوقار والمهابة والحياء، فينكسر القلبُ لله كسرةً ملتئمة من الوَجَل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو، فيخشع القلب لا محالة، فيتبعه

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/٢٤٣).
(٢) «الروح» (ص ٢٣٢).
(٣) «زاد المعاد» (١/١٨٥).

خشوعُ الجوارح، وأمَّا خُشوع النفاق فيبدو على الجوارح تَصَنُّعًا وتَكَلُّفًا، والقلبُ غيرُ خَاشع»(١).

وعلينا أن نعلم جيدًا أنَّ العبد- مهما علت منزلته وارتفعت درجته- عليه أن لَّا يَأمَن على نفسه التي بين جنبيه أن تُبتلى بما يُغضب الكبير المتعال، ومن ذلك الوقوع في نفاق الأعمال، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما النفاق: فالداءُ العُضَالُ الباطن الذي يكون الرجل ممتلئًا منه وهو لا يشعر، فإنه أمرٌ خفيٌّ على الناس، وكثيرًا ما يخفى على من تَلَبَّسَ به، فيزعم أنه مصلحٌ وهو مفسدٌ»(٢).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَرزقنا وإياكم الخشوع في الصلاة، ويجعلنا من عباده الذاكرين الشاكرين في كل وقت وحين، وأن يُطَهِّرَ قلوبَنا من النفاق والرياء، وأن يُجنبنا الاتصاف بخصال المنافقين، فهو سبحانه ولي ذلك وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «الروح» (ص ٢٣٢).

(٢) «مدارج السالكين» (١/٣٤٧).

مدح النفس

مدح النفس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من المعاصي والآثام- أيها الأحبة الكرام- أن يحرص العبدُ على مدح نفسه دون حاجةٍ بين الأنام! يقول العزيز العلام: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا تشهدوا لأنفسكم بأنها زَكِيَّةٌ، بريئةٌ من الذنوب والمعاصي»(١).

يقول الشَّوْكَاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: لا تمدحوها، ولا تُبرئوها عن الآثام، ولا تُثْنوا عليها؛ فإنَّ ترك تزكية النفس أبعدُ من الرياء، وأقربُ إلى الخشوع»(٢).

ويَزداد الذم- أيها الإخوة والأخوات- إذا مدح نفسه بما ليس فيه من الصفات! لأنه متشبعٌ بما لم يرزقه به رب الأرض والسموات، فعن

(١) «تفسير الطبري» (٢٢/٥٤٠).

(٢) «فتح القدير» (٥/١٣٦).

أسماء رَضِوَٱللَّهُعَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «قال العلماء: معناه المُتَكَثِّرُ بما ليس عنده، بأن يُظهر أن عنده ما ليس عنده يَتَكَثَّرُ بذلك عند الناس، ويتزين بالباطل، فهو مذموم كما يذم من لبس ثوبي زور؛ **قال أبو عبيد وآخرون**: هو الذي يلبس ثيابَ أهل الزهد والعبادة والورع. **ومقصوده**: أن يظهر للناس أنه مُتَّصف بتلك الصفة، ويُظهر من التخشع والزهد أكثر مما في قلبه، فهذه ثياب زورٍ ورياءٍ.

وقيل: هو كمن لبس ثوبين لغيره وأوهم أنهما له، وقيل: هو من يلبس قميصًا واحدًا ويصل بِكُمَّيْهِ كُمَّيْنِ آخرين فيظهر أن عليه قميصين.

وحكى الخطابي قولًا آخر: أن المراد هنا بالثوب الحالة، والمذهب والعرب تُكَنِّي بالثوب عن حال لابسه، ومعناه أنه كالكاذب القائل ما لم يكن، وقولًا آخر أن المرادَ الرَّجلُ الذي تُطلب منه شهادة زور فيلبس ثوبين يتجَمَّل بهما، فلا ترد شهادته لحسن هيئته، والله أعلم»(٢).

فَيَا مَن تمدح نفسك بدون سبب ألا تعلم أن نفسك التي بين جنبيك هي من أشد الأعداء عليك! وهي من أسباب البلاء والشقاء؛

---

(١) رواه البخاري (٤٩٢١) ومسلم (٢١٢٩)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (١١٠/١٤).

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تأمر صاحبها- أي النفس-بما تهواه من شهوات الغي واتباع الباطل، فهي مأوى كل سوء، وإن أطاعها- أي صاحبها- قَادَتْهُ إلى كل قبيح وكل مكروه»(١).

وأنها تبعدك عن الخيرات، وتأمرك بالسوء والمنكرات، قال رب البريات: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نفوس العباد تأمرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله»(٢).

ألا تعلم- هداك المنَّان- أن فعلك هذا لن يرجع عليك إلا بالحرمان والخسران، يقول الإمام الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أفلح- واللهِ- من زكى نفسه، أو أعجبته»(٣).

وأنه يقدح في إخلاصك للعزيز الرحمن، يقول الإمامُ ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يجتمع الإخلاص في القلب ومحبة المدح والثناء والطمع فيما عند الناس، إلا كما يجتمع الماء والنار»(٤).

وأنه أَضَرُّ عليك من مدحك لغيرك؛ يقول العِز بن عَبد السَّلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومدحُك نفسَك أقبح من مدحك غيرك؛ فإنَّ غلطةَ الإنسان في

---

(١) «إغاثة اللهفان» (ص٧٧).

(٢) «تفسير الطبري» (٣/١٣).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٩٠/٤).

(٤) «الفوائد» (ص ١٤٩).

حق نفسه أكثر من غلطه في حق غيره؛ فإن حبك الشيءَ يُعْمي ويُصِم، ولا شيء أحب إلى الإنسان من نفسه؛ ولذلك يرى عيوب غيره ولا يرى عيوب نفسه، ويعذر به نفسَه بما لا يعذر به غيره»(١).

وأنَّ تكرار مدحك لنفسك قد يصيبك بمرض عضال وداء قتال ألا وهو العُجب الذي بدوره قد يَجُرُّك إلى داء هو أكثر منه ضررًا وأعظم خطرًا، وهو الكِبْر؛ **يقول الإمام القرطبي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إعجاب المرء بنفسه، هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نِسيان نعمة الله، فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكِبْر المذموم»(٢).

فعليك أن تتوب إلى العزيز الغفار وتترك هذه الخصلة الذميمة التي هي مصدر كل بلاء وطريق كل شقاء! وهي معصيةٌ للواحد الجبار؛ لأنها تؤدي إلى العُجب والافتخار- إلا إذا كان هناك ما يدعو إليها- **يقول الإمام النَّوَوي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن ذكرَ محاسن نفسِه ضربان: مذموم ومحبوب، فالمذموم: أن يذكره للافتخار وإظهار الارتفاع والتميز على الأقران وشبه ذلك، والمحبوب: أن يكون فيه مصلحة دينية، وذلك بأن يكون آمرًا بمعروف أو ناهيًا عن منكر، أو ناصحًا، أو مشيرًا بمصلحة، أو معلمًا، أو مؤدِّبا، أو واعظًا، أو مُذكرًا، أو مُصلحًا بين اثنين، أو يدفع عن نفسه شَرًّا، أو نحو ذلك، فيذكر محاسنَه ناويًا بذلك أن يكون هذا

---

(١) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (٢/١٧٧).
(٢) «فتح الباري» (١٠/٢٦١).

أقربَ إلى قبول قوله واعتماد ما يذكره، أو أن هذا الكلام الذي أقوله لا تجدونه عند غيري فاحتفظوا به، أو نحو ذلك»(١).

ومن الأسباب التي تدعو العبد لمدح نفسه- بشرط الإخلاص للعزيز الوهاب أيها الأحباب- أن تكون هناك مصلحةٌ تتعلق بالأنام، كما فعل يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال للمَلك- كما أخبر عنه العزيز العلام: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٥].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ أي: حفيظ للذي أتولاه، فلا يضيع منه شيء في غير محله، وضابط للداخل والخارج، عليم بكيفية التدبير والإعطاء والمنع، والتصرف في جميع أنواع التصرفات، وليس ذلك حرصًا من يوسف على الولاية، وإنما هو رغبةٌ منه في النفع العام، وقد عَرَفَ من نفسه من الكفاءة والأمانة والحفظ ما لم يكونوا يعرفونه.

فلذلك طلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فجعله الملك على خزائن الأرض وولّاه إياها»(٢).

يقول الإمام ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإن قيل: كيف مَدَحَ نَفْسَه بهذا القول ومن شأن الأنبياء والصالحين التواضع؟

فالجواب: أنه لما خلا مدحُه لنفسه من بغيٍ وتكبرٍ، وكان مراده به

---

(١) «الأذكار» (ص ٢١٨).

(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٤٠١).

الوصول إلى حقٍّ يقيمه وعدل يحييه وجور يُبطله- كان ذلك جميلًا جائزًا»[(١)].

ومن ذلك الإخبارُ عن نفسه إذا احتاج إلى ذلك، **فعن عبد الله بن مسعود** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال**: «والله الذي لا إله غيره ما أُنزلت سورة من كتاب الله إلا وأنا أعلم أين نزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبتُ إليه»[(٢)].

يقول الحافظ ابنُ حَجَر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الحديث جواز ذكر الإنسان نفسَه بما فيه من الفضيلة بقدر الحاجة، ويحمل ما ورد من ذم ذلك على من وقع ذلك منه فخرًا أو إعجابًا»[(٣)].

والأولى- أيها الأفاضل الكرام- لمن احتاج أن يخبر عن نفسه في بعض المواطن- كمن يريد الزواج- أن يُوكل من ينوب عنه من الأنام ممن يكون عارفًا بحاله؛ لأن المخبر عن نفسه قد لا يسلم من الوقوع في الفخر والتعاظم الذي هو من الآثام؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمن أخبر عن نفسه بمثل ذلك ليُكَثِّرَ به ما يحبه اللهُ ورسولُه من الخير فهو محمود، وهذا غير من أخبر بذلك لِيتَكَثَّرَ به عند الناس ويتعظم، وهذا يجازيه اللهُ بمقت الناس له وصِغَرِهِ في عيونهم، والأول يُكَثِّرُهُ في قلوبهم

---

(١) «زاد المسير» (٤/٢٤٤).

(٢) رواه البخاري (٥٠٠٢).

(٣) «فتح الباري» (٩/٥١).

وعيونهم، وإنما الأعمال بالنيات!

وكذلك إذا أثنى الرجل على نفسه ليخلص بذلك من مظلمةٍ وشَرٍّ، أو ليستوفي بذلك حقًّا له يحتاج فيه إلى التعريف بحاله، أو ليقطع عنه أطماعَ السفلةِ فيه، أو عند خِطبته إلى من لا يعرف حاله، والأحسن في هذا أن يُوَكِّلَ من يعرف به وبحاله؛ فإن لسان ثناء المرء على نفسه قصيرٌ، وهو في الغالب مذمومٌ لما يقترن به من الفخر والتعاظم»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- أن نمتثل لأوامر الرحمن، ونعمل بتعاليم دين الإسلام، وبما أوصانا به نبيِّنا عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ذلك أن نتواضع للأنام، ونبتعد عن مدح النفس دون حاجة؛ لأن ذلك من الآثام! عن عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ الله أَوْحَى إلي أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ**»(٢).

قال المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللهُ: «(**حَتَّى لَا يَفْخَرَ**) بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف، أي: كي لا يتعاظم (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِي**) بكسر الغين أي: ولا يظلم، (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**) وفي الجمع بينهما إشعارٌ بأن الفخر والبغي نتيجتا الكبر؛ لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسه فوق كل أحد، ولا ينقاد لأحد»(٣).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٣٩).
(٢) رواه مسلم (٢٨٦٥).
(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/١٢١).

ولنحذر من أن نقع في هذا الداء الخطير، أو نسلك المسالك التي قد تجرنا إليه، ومن ذلك الحرص على ذم النفس دائمًا أمام الناس الذي قد يكون في الحقيقة مِن مَدْحها، أو أن تَعتاد ألسنتنا على قول: (أنا)، و(عندي)، و(لي)؛ يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليحذر- أي العبد- كُلَّ الحذر من طغيان (أنا، ولي، وعندي)، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابْتُلي بها إبليسُ وفِرعونُ وقَارونُ، فـ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ [الأعراف:١٢] لإبليس، و﴿لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ [الزخرف:٥١] لفرعون، و﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص: ٧٨] لقارون»[1].

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة الكرام- أن نُلزم أنفسنا على تنفيذ ما حَثَّ عليه الباري جَلَّ وَعَلَا وأَمَر، ونبعدها عما نهى عنه وزجر، ونستحضر أن تكون أعمالنا دائمًا خالصة لوجه العزيز المقتدر.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما يحبه ويرضاه، ومن ذلك التواضع وسائر أنواع الطاعات، وأن يُجنبنا كل ما يُبغضه ويأباه، ومن ذلك العجب والرياء وكل الذنوب والمنكرات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «زاد المعاد» (٢/٤٧٥).

داء الأمم

داء الأمم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ من أخطر الأمراض التي تُصيب قلب العبد- إذا لم يَعصمه العزيز الصمد- داءَ الحسد، **يقول الإمام ابن الجوزي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو تَمَنِّي زوال النعمة عن المحسود وإن لم تصر للحاسد»(١).

وهذا الداء -أيها الأحبة الكرام- من أوائل الآثام التي عُصي بها العزيز العلام، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد، فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قَتَلَ هابيل»(٢).

فهو داءٌ عضال لا يَسلم منه إلا من رَحِمَهُ الكبير المتعال، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**الحسد**: مرضٌ من أمراض النفس، وهو

---

(١) «كشف المشكل» (١/٢٨٨).

(٢) «أمراض القلوب» (ص ٢٢).

مرضٌ غالبٌ فلا يخلص منه إلا القليل من الناس، ولهذا يقال: ما خلا جسدٌ من حسدٍ، لكن اللئيم يُبديه والكريم يُخفيه»[(١)].

لذا سُمِّي- أيها الأفاضل- بداء الأمم، فعن الزُّبَيْرَ بن العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ**»[(٢)].

يقول الملا عَلِي قاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(دَبَّ)** بفتح الدال المهملة وتشديد المُوَحَّدَة أي: نُقِلَ وسَرَى ومشى بخفية **(إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ)** أي: في الباطن، **(وَالبَغْضَاءُ)** أي: العداوة في الظاهر، ورَفَعَهُمَا على أنهما بيانٌ للداء أو بَدَلٌ، وسُمِّيَا داءً لأنهما داءُ القلب، **(هي)** أي: البغضاء، وهو أقرب مبنًى ومعنًى، أو كل واحدة منهما **(الحَالِقَةُ)** أي: القاطعة للمحبة والأُلفة والصلة والجمعية، والخصلة الأولى هي المؤدية إلى الثانية، ولذا قُدمت **(لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ)** أي: تقطع ظاهر البدن فإنه أمر سهل **(وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ)** وضرره عظيم في الدنيا والآخرة»[(٣)].

وهو مرضٌ يدل على خِسَّةٍ في النفس، وعدم سلامة في القلب؛ **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والحسدُ**: خُلق نفسٍ ذميمة، وضِيعة، سَاقِطة، ليس فيها حرصٌ على الخير، فلِعجزها ومهانتها تحسُد من يكسب الخير

---

(١) «أمراض القلوب» (ص ٢١).

(٢) رواه الترمذي (٢٥١٠)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٩/٢٤١).

والمحامد ويفوز بها دونها، وتتمنى أن لو فاته كسبُها حتى يساويها في العدم»[١].

لذا هو من أخلاق اللئام، وليس من شِيَمِ الكرام! **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحسد من أخلاق اللئام، وتركه من أفعال الكرام، ولكل حريق مُطْفِئٌ، ونارُ الحسد لا تُطفَأ»[٢].

أيُّها الحاسد!

أين أنت من العمل بوصية رسول العزيز الخبير الذي حَذَّرَك من هذا المرض الخطير، فعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تَحَاسَدُوا، ولا تَبَاغَضُوا، ولا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[٣].

يقول الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يعني: لا يحسد بعضُكم بعضًا، والحسد مركوز في طباع البشر، وهو أن الإنسان يكره أن يفوقه أحدٌ من جنسه في شيء من الفضائل، ثم ينقسم الناس بعد هذا إلى أقسام: فمنهم من يسعى في زوال نعمة المحسود بالبغي عليه بالقول والفعل، ثم منهم من يسعى في نقل ذلك إلى نفسه، ومنهم من يسعى في إزالته عن المحسود فقط من غير نقل إلى نفسه، وهو شَرُّهُم وأخبثهم، وهذا هو

---

(١) «الروح» (ص٢٥٢).
(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).
(٣) رواه مسلم (٢٥٥٩).

الحسدُ المذمومُ المنهيُّ عنه»(١).

ألا تعلم أنه أهلك الكثير إلا من رحمه العزيز الكبير، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكبر والحسد هما داءان أهلكا الأولين والآخرين، وهما أعظم الذنوب التي بها عُصي الله أولًا، فإن إبليس استكبر وحسد آدم، وكذلك ابنُ آدم الذي قَتَلَ أخاه، حسد أخاه»(٢).

ألم يبلغك- هداك الرحمن- أن الحسد هو من صفات اليهود الذين هم أعداء أهل الإيمان؛ يقول سبحانه: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[البقرة:١٠٩].

يقول الشيخ ابن عُثَيْمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «والآية تدلُّ على تحريم الحسد؛ لأنَّ مشابهة الكفار بأخلاقهم محرمة....، ولو لم يكن من خُلق الحسد إلا أنه من صفات اليهود لكان كافيًا في النفور منه»(٣).

ألا تدري أن من هذا المرض العضال يتولد داء قتال؛ **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن الحسد يتولد الحِقْد، والحِقْدُ أصل الشر، ومَن أَضْمَرَ الشَّرَّ في قلبه أنبت له نباتًا مُرًّا مذاقُه، نماؤه الغيظ، وثمرته

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص ٣٢٧).
(٢) «جامع الرسائل» (١/ ٢٣٣).
(٣) «تفسير سورة البقرة» (١/ ٣٥٩).

الندم»(١).

ألا تدري يا هذا: أن الناس في خير، والحاسد في شر، **يقول الشيخ ابن عُثَيْمين** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والحاسد لا يزداد بحسده إلا نارًا تتلظى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمةُ الله على عباده ازداد حسرةً؛ فهو مع كونه كارهًا لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنَّه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود، ثم إنَّ الحاسد أو الحسود- مهما أعطاه الله من نعمة- لا يرى لله فضلًا فيها؛ لأنَّه لابدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة»(٢).

وأنَّ الحاسد عدو النعم؛ **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالحاسد عَدُوُّ النعم»(٣).

فيا من أصابك هذا الوباء!

اعلم- هداك الله- أنَّ حسدَك لغيرك هو من سوء الأدب مع خالقك! وفيه اعتراضٌ على ما قضى العزيز المقتدر لغيرك من النعم وأنواع الخير؛ **وصدق الشاعر إذ قال** رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ألا قُل لمن كان لي حاسدًا: أتدري على من أسأتَ الأدب؟!

أَسَأتَ على الله في فِعله لأنَّك لَمْ تَرْضَ لي مَا وَهَب

(١) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).
(٢) «تفسير سورة البقرة» (٣٥٩/١).
(٣) «بدائع الفوائد» (٤٥٨/٢).

فجـــازاك عنـــه بـــأن زادني وسـدَّ عليـك وُجُـوهَ الطلـب»(١)

يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على العاقل مجانبةُ الحَسَدِ على الأحوال كلِّها، فإنَّ أهون خصال الحسد هو ترك الرضا بالقضاء، وإرادة ضِدَّ ما حكم الله جَلَّ وَعَلَا لعباده، ثم انطواء الضمير على إرادة زوال النعم عن المسلم، والحاسد لا تهدأ روحُه، ولا يستريح بدنُه إلا عند رؤية زوال النعمة عن أخيه، وهيهات أن يساعد القضاءُ ما للحُسَّادِ في الأحشاء»(٢).

فعلى كل من أصيب بهذا الداء الخطير والمرض العسير أيها الأحبة الكرام: أن يُبادر بالتوبة والرجوع إلى الغفور القدير، وأن يَكره أن يكون هذا المرضُ فيه، يقول ابن الجَوْزِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينبغي للإنسان إذا وَجد الحسد من نفسه أن يكره كَوْنَ ذلك فيه»(٣).

وأن يُعالج هذه البَلِيَّة بتقوى رب البرية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمَن وجد في نفسه حَسَدًا لغيره فعليه أن يستعمل معه التقوى والصبر، فيكره ذلك من نفسه»(٤).

وعليه أن يبذل في دفعه الوسائلَ الإيمانيةَ والطرقَ الشرعية، يقول

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٣/٢٣٠).
(٢) «روضة العقلاء» (ص١٣٣).
(٣) «كشف المشكل» (١/٢٨٨).
(٤) «أمراض القلوب» (ص ٢١).

ابن حَجَرٍ الهَيْتَمِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحسدُ من أمراض القلوب العظيمة، وأمراضُ القلوب لا تُداوى إلا بالعلم، فالعلم النافع لمرض الحسد أن تعرف أنه يضر دينًا ودنيا، ولا يضر المحسود لا دينًا ولا دنيا؛ إذ لا تزول نعمةٌ بحسد قط، وإلا لم يبقَ لله نعمةٌ على أحد حتى الإيمان؛ لأن الكفار يحبون زواله عن أهله، بل المحسود منتفعٌ بحسدك دينًا؛ لأنه مظلومٌ من جهتك، سيما إن أبرزتَ حَسَدك إلى الخارج بالغِيبة، وهتك الستر وغيرهما من أنواع الإيذاء.

فهذه هدايا تُهْدي إليه حسناتك بسببها حتى تلقى الله يوم القيامة مُفلسًا محرومًا من النعم، كما حُرمتَ منها في الدنيا، ودينًا لسلامته من غَمِّك وحزنك وغيرهما مما يأتي، ومتى انكشف غشاءُ بصيرتك ورين قلبِك وتأملتَ ذلك، ولم تكن عَدُوَّ نفسك، ولا صديقَ عَدُوِّك، أعرضت عن الحسد أصلًا ورأسًا حذرًا من أن تكون قد وقعت به في ورطة عظيمة، وهي أنك قد سخطتَ قضاءَ الله وكرهتَ قسمةَ الله وعدله، وهذه جناية، أي: جنايةٌ على حضرة التوحيد، وناهيك بها جناية على الدين، وكيف لا؟! وأنت قد فارقتَ بذلك الأنبياء والأولياء والعلماء العاملين في حُبِّهِم وُصُولَ الخير لعباد الله، وشاركتَ إبليس والشياطين في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم، وهذه خبائث في القلب تأكل حسناتك كما تأكل النارُ الحطب»[(١)].

(١) «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (١/١١٢).

وفي الختام:

مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة الكرام- أن من تمنى مثل النعمة التي يراها على الأنام أو شيئًا منها أو الزيادة عليها فهذا ليس من الحسد المذموم الذي هو من الآثام، بل ذلك لا بأس به بإذن العزيز العلام، فعن عبد الله بن مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ الله مَالًا فَسَلَّطَهُ على هَلَكَتِهِ في الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ الله حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بها وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

يقول الإمام النَّوَوِي رحمه الله: «والمراد بالحديث: لا غِبْطَةَ محبوبة إلا في هاتين الخصلتين، وما في معناهما»(٢).

ويقول الإمام ابن القَيِّم رحمه الله: «يعني: أنه لا ينبغي لأحد أن يغبط أحدًا على نعمة ويتمنى مثلها إلا أحد هذين، وذلك لما فيهما من منافع النفع العام والإحسان المتعدي إلى الخلق، فهذا ينفعهم بعلمه، وهذا ينفعهم بماله، والخلق كلهم عيالُ الله، وأحبُّهم إليه أنفعُهم لعياله، ولا ريب أن هذين الصنفين من أنفع الناس لعيال الله، ولا يقوم أمر الناس إلا بهذين الصنفين، ولا يعمُر العالم إلا بهما»(٣).

ويقول الشيخ السّعْدِي رحمه الله: «الحسد نوعان: نوع محرم مذموم على كل حال، وهو أن يتمنى زوال نعمة الله عن العبد- دينية أو دنيوية-

---

(١) رواه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦)، واللفظ له.

(٢) «الشرح على صحيح مسلم» (٦/٩٧).

(٣) «طريق الهجرتين» (ص ٥٣٧).

وسواء أحب ذلك محبةً استقرت في قلبه، ولم يجاهد نفسه عنها، أو سعى مع ذلك في إزالتها وإخفائها، وهذا أقبح، فإنه ظلم متكرر.

وهذا النوع هو الذي يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

والنوع الثاني: أن لَّا يتمنى زوال نعمة الله عن الغير، ولكن يتمنى حصول مثلها له، أو فوقها أو دونها.

وهذا نوعان: محمود، وغير محمود.

فالمحمود من ذلك: أن يرى نعمةَ الله الدينية على عبده، فيتمنى أن يكون له مثلها، فهذا من باب تمني الخير، فإن قارَنَ ذلك سعيٌ وعملٌ لتحصيل ذلك، فهو نورٌ على نورٍ.

وأعظم من يُغْبَط: من كان عنده مالٌ قد حصل له من حِلِّه، ثم سلط ووفق على إنفاقه في الحق، في الحقوق الواجبة والمستحبة، فإن هذا من أعظم البرهان على الإيمان، ومن أعظم أنواع الإحسان»(١).

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يطهِّر قلوبنا جميعًا من كل ما يكرهه ويأباه، ومن ذلك الحسد والبغضاء وسائر المحرمات، وأن يجعلها عامرة بكل ما يحبه ويرضاه من الطاعات والخيرات، فهو سبحانه رب الأرض والسموات.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «بهجة قلوب الأبرار» (ص ٥٥٩).

صلاة الفجر

صلاة الفجر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

إنَّ الصلاة- أيها الأحبة الكرام- هي من أعظم شعائر الإسلام وأقوى مبانيه العظام، فمن حافظ عليها وأَدَّاهَا في وقتها كان من أهل الإيمان، ونال بذلك رضا الرحمن، وسيفوز بإذن المنَّان يوم القيامة بالجنان!

وأمَّا مَن ضيَّعها وفرَّط فيها فهو من أهل العصيان، وسيبوء- إن لم يتب ويرجع إلى المنَّان- بالحرمان والخسران!

ومن صور المحافظة عليها أيها الإخوة والأخوات: أن تؤدى في الأوقات التي حددها لنا رسول رب البريات، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: مفروضًا في وقته، فدل ذلك على فرضيتها، وأن لها وقتًا لا تصح إلا به، وهو هذه الأوقات التي قد تقررت

عند المسلمين صغيرهم وكبيرهم، عالمهم وجاهلهم، وأخذوا ذلك عن نبيهم محمد ﷺ بقوله: (صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[(١)]، ودل قوله: (عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ): على أن الصلاة ميزانُ الإيمان، وعلى حسب إيمان العبد تكون صلاتُه، وتتم وتَكْمُل»[(٢)].

وإنَّ من الصلوات المكتوبات- التي ينبغي أن يَحرص كل مسلم مقتدر على أدائها مع الجماعة؛ لما جاء في فضلها من أجر، واشتملت عليه من خير- هي صلاة الفجر!!

كيف لا يحرص المسلم- أيها الأحبة والإخوان- على صلاة تجتمع فيها ملائكة العزيز المنَّان! فعن سعيد بن المُسَيَّبِ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**تجتمع مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الفَجْرِ**»، قال أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: اقرأوا إن شِئْتُمْ ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]»[(٣)].

يقول الشيخ السّعْدِي رحمه الله: «(وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ) أي: صلاة الفجر، وسميت قرآنًا لمشروعية إطالة القرآن فيها أطولَ من غيرها، ولفضل القراءة فيها، حيث شهدها اللهُ، وملائكةُ الليل والنهار»[(٤)].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥) واللفظ له، ومسلم (٦٧٤) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.
(٢) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ١٩٩).
(٣) رواه البخاري (٦٢١) ومسلم (٦٤٩)، واللفظ له.
(٤) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٤٦٤).

كيف لا يَعتني العبد بصلاةٍ مَن صلاَّها كان في حفظ وذمة الرحمن؟! فعن جُنْدب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ فلا يَطْلُبَنَّكُمْ اللهُ من ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدْرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

يقول ابن الجَوْزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «معنى الحديث: أن من صلى الفجر فقد أخذ من الله ذِمَامًا، فلا ينبغي لأحد أن يؤذيه بظلم، فَمَنْ ظَلَمَهُ فإن الله يطالبه بِذِمَّتِهِ»(٢).

كيف لعاقل أن يضيع صلاة هي من أسباب رضا الرحمن والفوز بالجنان! فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٣).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**(مَنْ صَلَّى الْبَرْدَيْنِ)** بفتح الموحدة وسكون الراء صلاة الفجر والعصر؛ لأنهما في بردي النهار أي: طرفيه، والمراد أداؤهما وقت الاختيار **(دَخَلَ الْجَنَّةَ)** مفهومه أن من لم يصلهما لا يدخلها، وهو محمولٌ على المستحل، أو أراد دخولَها ابتداء من غير عذاب، وعبر بالماضي عن المضارع لمزيد التأكيد بجعل مُتَحَقِّق الوقوع كالواقع، وخصهما لزيادة شرفهما، أو لأنهما مشهودتان تشهدهما

---

(١) رواه مسلم (٦٥٧).
(٢) «كشف المشكل» (٢/٤٩).
(٣) رواه البخاري (٥٤٨) ومسلم (٦٣٥)، واللفظ له.

ملائكة الليل والنهار، أو لكونهما ثقيلتان مُشقتَّان على النفوس لكونهما وقت التشاغل والتثاقل، ومن راعاهما راعى غيرَهما بالأولى، ومن حافظ عليهما فهو على غيرهما أَشَدُّ محافظةً»(١).

كيف يَمنع نفسَه- أيها الإخوة والأخوات- من صلاة هي من أفضل الصلوات عند رب البريات! وبالأخص في يوم الجمعة الذي هو من أفضل الأيام عند العزيز العلام، فعن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ الله صَلاَةُ الصُّبحِ يَوْمَ الجُمُعَةِ فِي جَمَاعَةٍ**»(٢).

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنّ يومَ الجمعة أفضلُ أيام الأسبوع...»(٣).

كيف له أن يُفرط في صلاة رَاتِبَتُهَا خير من الدنيا وما فيها! فعن عَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها**»(٤).

يقول المُلّا علي قاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(**خَيْرٌ من الدُّنْيَا وما فيها**) أي: ما في الدنيا من المال والجاه، وما هو دنيويٌّ، لا الأعمال الصالحة الصادرة من عباده، **وقال الطِّيبي**: إن حَمَلَ الدنيا على أعراضها وزَهرتها، فالخيرُ إما

---

(١) «فيض القدير» (٦/٤٤٠).

(٢) رواه البيهقي في «شُعب الإيمان» (٣/١١٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (١٥٦٦).

(٣) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/١٨٥)

(٤) رواه مسلم (٧٢٥).

مُجرى على زعم مَن يَرى فيها خيرًا، أو يكون من باب: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا﴾، وإن حَمل على الإنفاق في سبيل الله؛ فتكون هاتان الركعتان أكثرَ ثوابًا منهما»(١).

كيف له- أيها الأحباب- أن يَحرِم نفسه من صلاة المشيُ إليها يكون نُورًا له يوم القيامة بإذن الوهاب، فعن بُرَيْدَةَ بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**بَشِّرِ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يوم القِيَامَةِ**»(٢).

يقول العَظِيم آبَادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**بَشِّرِ المَشَّائِينَ**) جمع المَشَّاء، وهو كثير المشي (**فِي الظُّلَمِ**) جمع ظُلمَة (**بِالنُّورِ**) متعلق بِبَشِّر (**التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ**)»(٣).

فهل يُحب المتكاسل عن هذه الصلاة العظيمة والعبادة الكريمة أن تكون فيه خَصلةٌ من صفات المنافقين؟! فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ على المُنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ وَصَلَاةُ الفَجْرِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ ما فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا**»(٤).

يقول الإمام ابن رَجَب رَحِمَهُ اللَّهُ: «وإنما ثَقُلَتْ هاتان الصلاتان فِي

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (٣/٢٢٠).
(٢) رواه أبو داود (٥٦١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٣) «عون المعبود» (٢/١٨٨).
(٤) رواه ابن ماجه (٧٩٧)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

المساجد عَلَى المنافقين أكثر من غيرهما من الصلوات؛ لأن المنافقين- كما وصفهم الله فِي القرآن ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢]، والمرائي إنما يَنْشَطُ للعمل إذا رآه النَّاس، فإذا لَمْ يشاهدوه ثقل عَلَيهِ العمل»[(١)].

هل يُريد أن يُساء به الظن؟! فعن ابن عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال: «كنا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاَةِ العِشَاءِ وَصَلاَةِ الفَجْرِ أَسَأْنَا بِهِ الظَّنَّ»[(٢)].

يقول المُنَاوِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «لأن العشاء وقت استراحة، والصبح وقت لذة النوم صيفًا وشدة البرد شتاءً، وأما المتمكنون فِي إيمانهم فتطيب لهم هذه المشقاتُ لنيل الدرجات؛ لأن نفوسَهم مرتاضةٌ بأمثالهما، متوقعةٌ فِي مقابلة ذلك ما تستخف لأجله المشاق، وتستلذُّ بسببه المتاعب لما تعتقده فِي ذلك من الفوز العظيم بالنعيم المقيم والخلاص من العذاب الأليم، ومن ثَمَّ كانت قرةُ عين المصطفى فِي الصلاة، ومن طاب له شيءٌ ورغب فيه حَقَّ رغبته احتمل شِدَّتَهُ، بل تصير لَذَّتَهُ، ولم يبال بما يلقى من مؤنته، ومن أحب شيئًا حق محبته أحب احتمال مِحْنَتِهِ حتى إنه ليجد بتلك المحنة ضروبًا من اللَّذَّةِ.

ألا ترى أن جَانِيَ العَسَل لا يُبالي بِلَسْعِ النَّحل لما يتذكر من حلاوة العسل؟!

---

(١) «فتح الباري فِي شرح صحيح البخاري» لابن رجب (٤/٤٨).

(٢) رواه ابن أبي شيبة فِي «مصنفه» (١/٢٩٢).

والأجير لا يعبأ بارتقاء السُّلَّم الطويل مع الحمل الثقيل طول النهار لما يتذكر من أخذ الأجرة بالعشيِّ؟!

والفَلَّاح لا يتكدر بمقاساة الحر والبرد ومباشرة المشاق والكدِّ طول السنة لما يتذكر من أوان الغَلَّة؟!

فكذا المؤمنُ المُخلص إذا تذكر الجنة في طيب مقيلها وأنواع نعيمها هان عليه ما يحتمله من مشقة هاتين الصلاتين وحَرَص عليهما، بخلاف المنافق!»(١).

وهل يرضى أن يُصبح خبيثَ النفس كسلان؟! فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلَاثَ عُقَدٍ إذا نَامَ، بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلًا طَوِيلًا، فإذا اسْتَيْقَظَ فذكر الله انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، وإذا تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عنه عُقْدَتَانِ، فإذا صلى انْحَلَّتِ العُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللهُ: «وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (**وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ**) معناه: لما عليه من عُقَد الشيطان وآثار تثبيطه واستيلائه مع أنه لم يزل ذلك عنه، وظاهر الحديث أن من لم يجمع بين الأمور الثلاثة: وهي الذكر، والوضوء، والصلاة، فهو داخلٌ فيمن

---

(١) «فيض القدير» (٦٤/١).

(٢) رواه البخاري (١٠٩١) ومسلم (٧٧٦)، واللفظ له.

يصبح خبيثَ النفس كسلان»(١).

فإذًا عليك- أيها المذنب- أن تبادر بالتوبة والغفران والرجوع إلى العزيز المنَّان؛ لأن أبواب التوبة- ولله الحمد- مفتوحةٌ قبل فوات الأوان.

يقول ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلامُك مكتوبٌ، وقولُك محسوبٌ، وأنت يا هذا مطلوبٌ، ولك ذنوبٌ وما تتوب، وشمسُ الحياة قد أخذت في الغروب، فما أقسى قلبُك من بين القلوب»(٢).

وكن- رعاك الرحمن- من الذين قال عنهم المنَّان: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: صَدَرَ منهم أعمالُ سيئةٌ كبيرةٌ أو ما دون ذلك، بادَروا إلى التوبة والاستغفار، وذكروا رَبَّهُم، وما توعد به العاصين ووعد به المتقين، فسألوه المغفرة لذنوبهم والستر لعيوبهم مع إقلاعهم عنها وندمهم عليها؛ فلهذا قال: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾»(٣).

وعليك أن تَبذل الأسباب التي تعينك- بإذن العزيز المقتدر- على

---

(١) الشرح على صحيح مسلم (٦/٦٧).

(٢) «التبصرة» (٢/٢٧٢).

(٣) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ١٤٩).

الاستيقاظ لصلاة الفجر؛ ومن ذلك أن تحرص على فعل الطاعات، والتزود من الخيرات التي تُقربك من رب البريات، وأن تجتنب المعاصي والذنوب التي هي سبب في قسوة القلوب، والبعد عن علاّم الغيوب، يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ضُرب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب، والبعد عن الله»(١).

ومن ذلك أيضًا أن تضع مُنَبِّهًا أو أن توصي من يُوقظك للصلاة! وعليك أن تحذر أشد الحذر من داء خطير ومرض عسير ابتلي به- وللأسف- الكثير، ألا وهو السهر فيما لا فائدة فيه، مع أن في ذلك مخالفةً لهدي خير المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، فعن أبي بَرْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ **كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ، وَالحَدِيثَ بَعْدَهَا**»(٢).

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال العلماء: وسبب كراهة النوم قبلها: أنه يُعَرِّضُهَا- أي الصلاة- لفوات وقتها باستغراق النوم أو لفوات وقتها المختار والأفضل، ولئلا يتساهل الناسُ في ذلك فيناموا عن صلاتها جماعةً، وسببُ كراهة الحديث بعدها: أنه يُؤَدِّي إلى السهر، ويخاف منه غلبة النوم عن قيام الليل، أو الذكر فيه، أو عن صلاة الصبح في وقتها الجائز أو في وقتها المختار أو الأفضل، ولأنَّ السهر في الليل سببٌ

(١) «الفوائد» (ص٩٧).
(٢) رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (٦٤٧).

للكسل في النهار عما يتوجه من حقوق الدين والطاعات ومصالح الدنيا»(١).

فاللهَ اللهَ- أيها العبد المسلم- في المحافظة على هذه الصلاة العظيمة والعبادة الكريمة وعلى جميع الصلوات، احرص- رعاك الله- أشدَّ الحرص على إتيان ما يَتعلق بها من شروط وواجبات ومستحبات- تنل بذلك الخيرَ الكثيرَ والأجرَ الكبيرَ بإذن الله العزيز القدير.

فأسألُ اللهَ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا جميعًا لفعل الطاعات، ومن ذلك المحافظة على الصلوات والحرص على العبادات، وأن يُجَنِّبَنَا وإياكم فعلَ المنكرات، ومن ذلك التكاسل وتضييع الصلوات وسائر المحرمات، فهو سبحانه ولي ذلك ورب الأرض والسموات.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(١) «الشرح على صحيح مسلم» (١٤٦/٥).

تحذير المسلمين
من مجالسة المضلين

تحذير المسلمين من مجالسة المضلين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ أهل البدع والشبهات- أيها الإخوة والأخوات- هم أعظم ضررًا وأشد خطرًا على أمة خير البريات من أصحاب المعاصي والشهوات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي الشهوانية بالسنة والإجماع، فإن النبي ﷺ أمر بقتال الخوارج ونهى عن قتال أئمة الظلم...»[(١)].

لأن فسادهم وإفسادهم- أيها الكرام- يكون متعلقًا بدين العزيز العلَّام، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهم- أي المبتدعة- أعظم ضررًا على الإسلام وأهله من أولئك- أي أهل المعاصي- لأنهم انتسبوا إليه وأخذوا في هَدْمِ قواعده وقَلع أساسه، وهم يَتَوَهَّمُونَ

(١) «الصواعق المرسلة» (٣/٢٨١).

ويُوهِمُونَ أنهم ينصرونه»(١).

فهم يزعمون أن ما يقومون به هو من خدمة الدين! وفي الحقيقة هم فيه من المفسدين؛ لذا كانوا أحبَّ إلى إبليس اللعين من الآخرين؛ **يقول الإمام سفيان الثوري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البِدعةُ أَحَبُّ إلى الشيطان من المعصية، المعصيةُ يُتاب منها، والبدعةُ لا يُتاب منها»(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومعنى قولهم (**إِنَّ البِدْعَةَ لَا يُتَابُ مِنْهَا**): أن المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرعْه اللهُ ولا رسوله، قد زُيِّن له سوءُ عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأن أول التوبة العلم بأن فعله سيءٌ ليتوب منه، أو بأنه ترك حَسَنًا مأمورًا به أمر إيجاب أو استحباب ليتوب ويفعله، فما دام يرى فِعْلَهُ حَسَنًا وهو سيءٌ في نفس الأمر، فإنه لا يتوب.

ولكنَّ التوبةَ منه ممكنةٌ وواقعةٌ بأن يهديه الله ويرشده حتى يتبين له الحق، كما هدى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مَن هدى من الكفار والمنافقين وطوائف من أهل البدع والضلال، وهذا يكون بأن يتبع من الحق ما علمه، فمَن عَمِلَ بما عَلِمَ أورثه اللهُ عِلمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»(٣).

ولشدة ضررهم وعظيم خطرهم نُهينا عن مجالستهم، يقول الله

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/١٠٣).

(٢) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/١٣٢).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/٩).

جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

يقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية موعظةٌ عظيمةٌ لمن يتسمَّح بمجالسة المبتدعة الذين يُحَرِّفُون كلام الله، ويتلاعبون بكتابه وسنة رسوله، ويَرُدُّونَ ذلك إلى أهوائهم المضلة وبدعهم الفاسدة، فإنه إذا لم يُنْكِرْ عليهم ويُغَيِّرْ ما هم فيه فأقلُّ الأحوال أن يترك مجالستَهم، وذلك يسيرٌ عليه غير عسيرٍ، وقد يجعلون حضورَه معهم- مع تَنَزُّهِهِ عما يتلبسون به- شبهةً يُشَبِّهُونَ بها على العامة، فيكون في حضوره مفسدةٌ زائدةٌ على مجرد سماع المنكر»(١).

ومن ذلك أيضًا ما جاءنا من الآثار عن سلفنا الأخيار الذين حَذَّرُونَا أشد التحذير من مجالسة ومُصاحبة أهل البدع الأشرار؛ لما في ذلك من مَضَارٍّ! يقول الإمام ابن قُدَامَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كان السَّلَفُ يَنْهَوْنَ عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم»(٢).

يقول الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا أحب لأحدٍ أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يَأْنَسُ بهم»(٣).

---

(١) «فتح القدير» (١٢٨/٢).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢٥١/١).

(٣) «الإبانة» لابن بطة (٤٩٥).

فمن الأوباء والأدواء التي تنتج عن مُجالسة ومؤانسة أهل الأهواء أنَّ مُصَاحِبَهُمْ قد ارتكب فعلًا من المحظورات عصى به رب الأرض والسموات، **سُئِلَ الشيخ العلامة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «هل يجوز مجالسة أهل البدع في دروسهم ومشاركتهم؟

فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يجوز مجالستُهم ولا اتخاذُهم أصحابًا، ويجب الإنكار عليهم وتحذيرهم من البدع، نسأل الله العافية»[(١)].

وهو لا يَأمنُ على نفسه- أيها الإخوة والأخوات- من الوقوع في المُحْدَثَات وتَعلق قلبه بشيء من الشبهات، **يقول عبد الله بن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا (ت: ٦٨هـ)**: «لا تُجَالِسْ أهلَ الأهواء؛ فإن مجالستَهم مَرِضَةٌ للقلب»[(٢)].

ويقول الإمام مُسْلِم بن يَسَار البَصْرِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٠هـ): «لا تُمكِّنْ صاحبَ البدعة من سمعك، فَيَصُبُّ فيه ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك»[(٣)].

ويقول الإمام أبو قلابة- عبد الله بن زيد الجرمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٤هـ): «لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تخالطوهم، فإني لا آمن أن يَغْمِسُوكُمْ في

---

(١) «مجموع فتاوى الشيخ» (٢٦٦/٢٨).
(٢) «الإبانة» لابن بطة (٤٣٨/٢).
(٣) «الإبانة» لابن بطة (٤٣٦).

ضلالتهم، ويُلَبِّسُوا عليكم في الدين بعض ما لُبِّسَ عليهم»[(١)].

إنَّ في مصاحبتهم التوقيرَ لهم، وهذا مما يُوهمهم أنهم على حقٍّ فيما يدعون إليه من بِدَعِهِمْ، وكل ذلك يُؤَدِّي إلى زيادة شَرِّهِمْ وخطرهم؛ لأن بعض عامة المسلمين سيغتر بهم؛ **يقول الإمام الشَّاطِبِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ توقيرَ صاحب البدعة مَظِنَّةٌ لمفسدتين تعودان على الإسلام بالهدم:

إحداهما: التِفَاتُ الجُهَّالِ والعَامَّةِ إلى ذلك التوقير، فيعتقدون في المبتدع أنه أفضل الناس، وأن ما هو عليه خيرٌ مما عليه غيرُه، فيُؤَدِّي ذلك إلى اتِّبَاعِهِ على بدعته، دون اتباع أهل السُّنَّة على سنتهم.

والثانية: أنه إذا وُقِّر مِن أَجْلِ بدعته صار ذلك كالحادي المُحَرِّض له على إنشاء الابتداع في كل شيء وعلى كُلِّ حالٍ؛ فتحيا البدعُ وتموت السننُ، وهو هدم الإسلامِ بعينه»[(٢)].

لذا كانت مجالسةُ أهل الشبهات أضرَّ من مجالسة أصحاب الشهوات، **يقول الإمام الشَّوْكَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «مجالسة أهل البدع المضلة فيها من المفسدة أضعاف أضعاف ما في مجالسة من يعصي الله بفعل شيء من المحرمات، ولا سِيَّمَا لمن كان غيرَ راسخ القدم في علم الكتاب والسنة، فإنه ربما يُنفق عليه من كذباتهم وهَذَيَانِهِمْ ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يصعب علاجُه ويَعْسُرُ دفعُه، فيعمل بذلك

(١) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» للالكائي (١/١٣٣).
(٢) «الاعتصام» (١/١١٤).

مُدَّةَ عُمرِه، ويلقى اللهَ به معتقدًا أنه من الحق- وهو من أَبْطَلِ الباطل وأَنْكَرِ المنكر»[(١)].

أيُّها المُسلم!

إنَّ مما يجب عليك عِلمُهُ أنَّ الصُحبة مُؤَثِّرَةٌ في إصلاح الحال وفساده، فمعاشرةُ الأخيار تُورث النجاحَ والفلاحَ، وخُلطة الأشرار تُورث الحرمان والخسران، فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ: «مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ كَحَامِلِ المِسْكِ وَنَافِخِ الكِيرِ، فَحَامِلُ المِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ[(٢)]، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ منه، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»[(٣)].

يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه تمثيلُه ﷺ الجليسَ الصالحَ بحامل المسك والجليس السوء بنافخ الكير، وفيه فضيلةُ مجالسة الصالحين وأهل الخير والمروءة ومكارم الأخلاق والورع والعلم والأدب، والنهي عن مجالسة أهل الشر وأهل البدع، ومن يغتاب الناس، أو يكثر فُجره وبطالته، ونحو ذلك من الأنواع المذمومة»[(٤)].

---

(١) «فتح القدير» (١٢٨/٢).
(٢) «يُحْذِيك»: يُعطيك. «الشرح على صحيح مسلم» (١٧٨/١٦).
(٣) رواه البخاري (٥٢١٤)، ومسلم (٢٦٢٨).
(٤) «الشرح على صحيح مسلم» (١٧٨/١٦).

فعلينا جميعًا- أيها الإخوة والأخوات- أن نَجتنب صُحبة أهل المنكرات خاصةً أهل البدع والمحدثات؛ فلا نُخالطهم، ولا نجالسهم، ولا نأنس بهم؛ لأن الشُّبَهَ خَطَّافَةٌ والقلوب ضعيفة، والمرء لا يَأمن على نفسه- مهما كانت مكانتُه وارتفعت درجتُه- من الوقوع في المخالفات؛ **يقول الإمام البَغَوِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «على المرء المسلم إذا رأى رجلًا يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن أن يهجره، ويتبرأ منه، ويتركه حيًّا وميتًا، فلا يُسَلِّم عليه إذا لقيه، ولا يجيبه إذا ابتدأ، إلى أن يترك بدعته ويراجع الحق، والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدين؛ فإن هجرةَ أهل الأهواء والبدع دائمةٌ إلى أن يتوبوا»(١).

ولنعلم أيضًا أن ديننَا هو رأس مالنا وأغلى ما نملك! فلنحافظ عليه في جميع الأوقات مما قد يقدح فيه من الشبهات والشهوات، **يقول الإمام الحسن البصري** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١١٠ هـ)**: «رأسُ مال المؤمن دينُه، فلا يُخلِّفُه في الرِّحال، ولا يَأتمِن عليه الرِّجَال»(٢).

ولنتبع- أيها الأحباب- هدي سلفنا الصالح في هذا الباب إذا أردنا النجاة والتوفيق للصواب بإذن العزيز الوهاب، **يقول الإمام الأَوْزَاعِي**-

---

(١) «شرح السنة» (١/٢٢٤).

(٢) «الاستذكار» لابن عبد البر (١/٣٢٤).

عبد الرحمن بن عمرو الشامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ **(ت: ١٥٧هـ):** «اتقوا الله- معشرَ المسلمين- واقبلوا نصح الناصحين، وعِظَة الواعظين، واعلموا أن هذا العلمَ دينٌ فانظروا ما تصنعون، وعن من تأخذون، وبمن تقتدون، ومن على دينكم تأمنون؟

فإن أهل البدع كلهم مُبطلون، أَفَّاكُونَ آثمون، لا يَرعَوُون، ولا ينظرُون، ولا يَتَّقُون، ولا مع ذلك يُؤمَنُون على تحريف ما تسمعون، ويقولون ما لا يعلمون في سرد ما يُنْكِرُون، وتسديد ما يفترون، والله محيط بما يعملون، فكونوا لهم حَذِرِينَ مُتَّهِمِينَ، رافضين مُجانبين.

فإنَّ علماءكم الأولين ومَن صلح من الآخرين كذلك كانوا يفعلون ويَأمرون، واحذروا أن تكونوا على الله مُظَاهِرِين، ولدينه هادمين، ولِعُرَاهُ ناقضين موهنين بتوقير المبتدعين والمحدثين؛ فإنه قد جاء في توقيرهم ما تعلمون، وأيُّ توقير لهم أو تعظيم أشدُّ من أن تأخذوا عنهم الدين، وتكونوا بهم مقتدين، ولهم مُصدقين موادِعين مؤالِفين مُعينين لهم بما يصنعون على استهواء من يستهوون، وتأليف من يَتَأَلَّفُونَ من ضعفاء المسلمين لرأيهم الذي يَرون ودينهم الذي يدينون، وكفى بذلك مشاركةً لهم فيما يعملون»(١).

---

(١) «تاريخ مدينة دمشق» (٣٦١/٦).

فاللهَ أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يَحفظ لنا ديننا العظيم الذي هو عصمة أمرنا ونجاحنا وفلاحنا في الدارين، وأن يُجنبنا وإياكم مجالسةَ ومصاحبةَ المفسدين المضلين، فهو سبحانه ولي ذلك ورب العالمين.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

إكرام الضيف

إكرام الضيف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ من الأخلاق الحميدة والخصال الكريمة التي عُرف بها العرب قبل بعثة خير الأنام هي إكرام الضيف وإطعام الطعام، حتى قال شاعرهم:

يا ضيفنا لو زُرْتَنَا لوجدتنا نحنُ الضيوفُ وأنت رَبُّ المنزلِ[(١)]

لذا كان- أيها الأحبة الكرام- يُضرب المَثَلُ بمن اشتهر منهم بذلك بين الأنام، يقول الإمام ابن حِبَّانَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كُلُّ من ساد في الجاهلية والإسلام حتى عُرف بالسُّؤْدَدِ وانقاد له قومُه ورحل إليه القريب والقاصي، لم يكن كمالُ سُؤْدَدِهِ إلا بإطعام الطعام وإكرام الضيف، والعربُ لم تكن تَعُدُّ الجودَ إلا قِرى الضيف وإطعام الطعام، ولا تَعُدُّ السَّخِيَّ مَنْ لم يكن فيه ذلك، حتى إن أحدهم ربما سار في طلب الضيف المِيلَ والمِيلَيْن»[(٢)].

---

(١) «المُسْتَطْرَف في كل فَنٍّ مُسْتَظْرَف» (٣٩٥/١).

(٢) «روضة العقلاء» (ص ٢٥٩).

وإنَّ من أفضل وأكرم من يُمثل به ويُذكر في هذا المقام خليلَ الرحمن ورسولَ المنَّان إبراهيم- عليه الصلاة والسلام- حيث أخبرنا عنه العزيزُ العلَّام فقال: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٧].

يقول الإمام ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذا الثناءُ على إبراهيم مِن وُجُوهٍ متعددة:

أحدها: أنه وَصَفَ ضَيْفَهُ بأنهم مُكْرَمُونَ، وهذا على أحد القولين أنه إكرام إبراهيم لهم أنهم المكرمون عند الله، ولا تَنَافي بين القولين؛ فالآية تدل على المعنيين.

الثاني: قوله تعالى: ﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ﴾ فلم يذكر استئذانهم، ففي هذا دليلٌ على أنه عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان قد عُرف بإكرام الضيفان، واعتياد قِراهم، فبقي مَنْزِلُهُ مَضْيَفَةً مطروقًا لمن ورده لا يحتاج إلى الاستئذان، بل استئذانُ الداخل دخولُه، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

الثالث: قوله لهم: ﴿سَلَٰمٞ﴾ بالرفع وهم سَلَّمُوا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكمل؛ فإنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والتجدد، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على الحدوث والتجدد، فإبراهيم حيَّاهم أحسن من تحيتهم، فإن قولهم: ﴿سَلَٰمٗاۖ﴾ يدل على سَلَّمْنَا سَلَامًا وقوله: ﴿سَلَٰمٞ﴾ أي: سلامٌ عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾ فإنه لما أنكرهم

ولم يعرفهم احتشم من مواجهتهم بلفظٍ يُنَفِّرُ الضيف لو قال: «أنتم قوم منكرون»، فحذف المبتدأ هنا من ألطف الكلام.

الخامس: أنه بنى الفعل للمفعول وحذف فاعلَه فقال: ﴿مُّنكَرُونَ﴾ ولم يقل: «إني أُنكركم»، وهو أحسن في هذا المقام وأبعد من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه راغَ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم، **والرَّوغَانُ**: هو الذهاب في اختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف، وهذا من كرم ربِّ المنزل المضيف أن يذهب في اختفاء بحيث لا يشعر به الضيف فيشق عليه ويستحي، فلا يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام بخلاف من يُسمع ضيفَه، ويقول له أو لمن حضر: مكانَكم حتى آتيكم بالطعام ونحو ذلك مما يوجب حياءَ الضيف واحتشامه.

السابع: أنه ذهب إلى أهله فجاء بالضيافة، فدل على أن ذلك كان مُعَدًّا عندهم مهيئًا للضيفان، ولم يحتج أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه، أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

الثامن: قوله تعالى: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ دلَّ على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: «فَأَمَرَ لهم»، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجلٍ كامل ولم يأت ببضعة منه، وهذا من تمام كرمه عليه الصلاة والسلام.

العاشر: أنه سمين لا هزيل، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم،

ومثله يتخذ للاقتناء والتربية فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قَرَّبَهُ إليهم بنفسه، ولم يأمر خادمَه بذلك.

الثاني عشر: أنه قَرَّبَهُ ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغ في الكرامة أن يجلس الضيف ثم يقرب الطعام إليه ويحمله إلى حضرته، ولا يضع الطعامَ في ناحية ثم يأمر الضيف بأن يتقرب إليه.

الثالث عشر: أنه قال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، وهذا عَرْضٌ وتَلَطُّفٌ في القول وهو أحسن من قوله: «كلوا، أو مُدُّوا أيديكم»، وهذا مما يعلم الناسُ بعقولهم حُسنَه ولُطفَه، ولهذا يقولون: بسم الله، أو ألا تتصدق! أو ألا تجبر!، ونحو ذلك.

الرابع عشر: أنه إنما عَرَضَ عليهم الأكلَ؛ لأنه رآهم لا يأكلون، ولم يكن ضيوفُه يحتاجون معه إلى الإذن في الأكل، بل كان إذا قُدِّم إليهم الطعام أَكلوا، وهؤلاء الضيوف لما امتنعوا من الأكل قال لهم: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ؟ ولهذا ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ أي: أَحَسَّهَا وأضمرها في نفسه ولم يُبْدِهَا لهم.

وهو الوجه **الخامس عشر:** فإنهم لما امتنعوا من أكل طعامه خاف منهم ولم يُظهر لهم ذلك، فلما علمت الملائكةُ منه ذلك ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾ [الذاريات:٢٨].

فقد جمعت هذه الآيةُ آدابَ الضيافة التي هي أشرفُ الآداب، وما عَدَاها من التَّكَلُّفاتِ التي هي تَخَلُّف وتَكَلُّف- إنما هي من أوضاع الناس وعوائدهم، وكفى بهذه الآداب شرفًا وفخرًا! فصلى الله على نبيِّنا

وعلى إبراهيم وعلى آلهما وعلى سائر النبيين»[(١)].

ولمكانة إطعام الطعام، وإكرام الضيفان بين الأنام- أيها الأفاضل- أقرَّه الإسلام وحثَّ عليه، ورَغَّبَ فيه؛ **يقول الشيخ الأَلبَانِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إطعام الطعام: وهو من العادات الجميلة التي امتاز بها العرب على غيرهم من الأمم، ثم جاء الإسلامُ وأَكَّدَ ذلك أَيَّمَا توكيد»[(٢)].

فبَعث أرحمُ الراحمين سيدَ ولد آدم أجمعين لإتمام الأخلاق الصالحة والخصال الحميدة وكل ما فيه نفعهم في الدارين، فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ**[(٣)] **الأَخْلاَقِ**»[(٤)].

قال الإمام البَاجِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانت العربُ أحسنَ الناس أخلاقًا بما بقي عندهم من شريعة إبراهيم، وكانوا ضَلُّوا بالكفر عن كثيرٍ منها، فبُعث ﷺ لِيُتَمِّمَ محاسن الأخلاق ببيان ما ضَلُّوا عنه، وبما خص به في شريعته»[(٥)].

ويقول الإمام ابن عبد البَرِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا حديثٌ مَدَنِيٌّ صحيحٌ، ويدخل في هذا المعنى الصلاحُ، والخير كله، والدين، والفضل، والمروءة،

---

(١) «جلاء الأفهام» (ص ٢٧١).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (١/٤٣).

(٣) عند البيهقي في «السنن» (١٠/١٩١) بلفظ «مكارم الأخلاق»، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد (٢/٣٨١)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٤٥).

(٥) «تنوير الحوالك» للسيوطي (٢/٢١١).

والإحسان، والعدل، فبذلك بُعثَ ليتممه ﷺ»(١).

وإنَّ من الخصال الحميدة والعادات القويمة التي حثَّ عليها رسول العزيز الرحمن- أيها الأحبة والإخوان- إطعام الطعام وإكرام الضيفان، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد جاء عن النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إكرامُ الضيف وبِرُّهُ، وذلك من سنن المرسلين»(٢).

ويقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأحاديث متظاهرةٌ على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظيم موقعها، وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام»(٣).

بل إنَّ أداء هذا الخُلق الكريم مما يجب على المسلمين، كما أخبر بذلك سيد المرسلين، فعن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**»(٤).

يقول الإمام العَيْنِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأمر بالإكرام يختلف بحسب المقامات، وربما يكون فرضَ عين أو فرضَ كفاية، وأَقَلُّهُ أنه من باب مكارم الأخلاق، ولا شك أن الضيافة من سنن المرسلين، وقال الدَّاوُدِي: يزيد في إكرامه على ما كان يفعل في عياله»(٥).

---

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/٣٣٤).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٤/١١٨).

(٣) «الشرح على صحيح مسلم» (١٢/٣٠).

(٤) رواه أبو داود (١٣٥٦٩)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٥) «عمدة القاري» (٢٢/١١٠).

يقول العَلَّامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإكرام الضيف مأمورٌ به شرعًا ولو كان غيرَ مسلم، وفي إكرامه دعوةٌ إلى الإسلام، وتوجيهٌ له إلى الخير ليعرف محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق»(١).

لذا جُعل إكرام الضيف- أيها الأحباب- من العلامات الدالة على إيمان العبد بالعزيز الوهاب، فعن أبي شريح العدويرَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**من كان يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ**». قالوا: وما جَائِزَتُهُ يا رَسُولَ الله؟ قال: «**يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فما كان وَرَاءَ ذلك فَهُوَ صَدَقَةٌ عليه**»(٢).

قال الإمام أبو دَاوُد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَسُئِلَ مَالِكٌ عن قَوْلِ النبي ﷺ: «**جَائِزَتُهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ**»؟ فقال: يُكْرِمُهُ، وَيُتْحِفُهُ، وَيَحْفَظُهُ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ضِيَافَةً»(٣).

يقول الإمام الخَطَّابِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يريد أنه يتكلَّف له في اليوم الأول بما اتسع له من بِرٍّ وإلطاف، ويُقدِّم له في اليوم الثاني والثالث ما كان بحضرته، ولا يزيد على عادته، وما كان بعد الثلاث فهو صدقة ومعروف، إن شاء فعل، وإن شاء ترك»(٤).

---

(١) منقول من موقع الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٢) رواه البخاري (٥٣٧٦) ومسلم (١٧٢٦) واللفظ له.
(٣) «سنن أبي داود» (٣/٣٤٢).
(٤) «معالم السنن» (٤/٢٣٨).

وإن مما ينبغي أن نعلمه- أيها الأحبة- أنَّ لإكرام الضيف آدابًا ينبغي أن نحرص عليها، ونجتهد في تحقيقها، ومن ذلك أن نُشاركه في الطعام؛ لأن هذا- في الغالب- مما يُفرحه ويَدفع الحرج عنه، **يقول الإمام ابن بَطَّال** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن إكرام الضيف أن تأكل معه، ولا تُوحشه بأن يأكل وحده»(١).

وعلينا أيضًا أن نعلم- أيها الكرام- أن إكرام الأنام ليس فقط في الإطعام! بل كذلك في طلاقة الوجه وحسن الكلام، **فقد سُئل الإمام الأَوْزَاعِي** رَحِمَهُ اللَّهُ؛ **فقيل له**: ما إكرام الضيف؟ فقال: «طَلَاقَةُ الوجهِ، وطِيبُ الكلام»(٢).

يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن إكرام الضيف: طيب الكلام، وطلاقة الوجه، والخدمة بالنفس، فإنه لا يُذَلُّ من خدم أضيافَه، كما لا يُعَزُّ من استخدمهم، أو طلب لقِراه أجرًا»(٣).

وعلى العبد أن يتذكر أنه إذا أراد الثواب والأجر على هذا العمل الخيِّر عليه أن يُخلص فيه للعزيز المقتدر، وأن يبتعد عن التبذير الذي هو من المنكرات، وأن يَحذر من أن يُطعم نفسه وضَيفه من المحرمات، **يقول الإمام ابن الجَوْزِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكرامته- أي الضيف- أن يكرمه لوجه الله، وتكون ضيافتُه من حلال، وأما من أنفق على ضيفه من

---

(١) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (١١٨/٤).
(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٦١).
(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٦١).

حرام فإنه لا ثواب له»[١].

وعلى المسلمين أن يحرصوا أشد الحرص في كل وقت وحين على هذا الخلق القويم والعمل الكريم؛ لما في ذلك من مصالح دينيه ودنيوية ترجع عليهم بإذن رب البرية، **يقول الإمام ابن حِبَّان** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إني لأستحب للعاقل المداومةَ على إطعام الطعام، والمواظبة على قِرى[٢] الضيف؛ لأن إطعام الطعام من أشرف أركان النَّدَى، ومن أعظم مراتب ذوي الحِجَى، ومن أحسن خصال أولى النُّهَى، ومن عُرِفَ بإطعام الطعام شَرُفَ عند الشاهد والغائب، وقَصده الراضي والعاتب، وقِرى الضيف يَرفع المرءَ، وإن رقَّ نسبُه إلى منتهى بُغيته ونهاية محبته، ويُشرِّفه برفيع الذكر، وكمال الذُّخر»[٣].

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُوفقنا وإياكم لكل ما فيه خير وسرور، ومن ذلك إطعام الطعام وإكرام الضيفان، وأن يُجنبنا جميعًا كل أنواع الشرور والعصيان، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز المنَّان.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «بستان الواعظين ورياض السامعين» (ص ٦٠).
(٢) بكسر القاف، بمعنى: الإحسان للضيف. «مختار الصحاح» (ص٢٢٣).
(٣) «روضة العقلاء» (ص ٢٥٨).

أين نحن من تدبر
هذه السورة العظيمة؟!

أين نحن من تدبر هذه السورة العظيمة؟!

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد: فإنَّ ربَّ البريات له أن يُقسم بما شاء من المخلوقات، **يقول الإمام القُرْطُبِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوانٍ وجمادٍ، وإن لم يُعلم وجهُ الحكمة في ذلك»(١).

وهذا مما يَدل- أيها الإخوة والأخوات- على ربوبية وعظمة وقُدرة وكمال خالق الأرض والسموات، **يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الله يُقسم بما يقسم به من مخلوقاته؛ لأنها آياتُه ومخلوقاته، فهي دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وعلمه، وقدرته، ومشيئته، ورحمته، وحكمته، وعظمته، وعزَّته، فهو سبحانه يُقسم بها لأنَّ إقسامه بها تعظيمٌ له سبحانه، ونحن المخلوقون ليس لنا أن نُقسم بها بالنصِّ والإجماع، بل ذَكَرَ غيرُ واحدٍ الإجماعَ على أنه لا يُقسم بشيء من المخلوقات»(٢).

ومما ينبغي أن نعلمه- أيها الأفاضل- أن قَسَمَ رب العالمين بشيء من

---

(١) «تفسير القرطبي» (١٩/٢٣٧).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/٢٩٠).

مخلوقاته يدل على شرف المُقسَم به ومكانته بين سائر خلقه، **يقول الشيخ ابن عثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَسَمُ الله بهذه الآيات دليلٌ على عظمته وكمال قدرته وحكمته، فيكون القَسَمُ به الدالُّ على تعظيمها ورفع شأنها متضمنًا للثناء على الله عَزَّوَجَلَّ، بما تقتضيه من الدلالة على عظمتِه، وأما نحن، فلا نُقسم بغير الله أو صفاته؛ لأننا منهيون عن ذلك»(١).

وإنَّ مما أَقسم به العزيز المقتدر من بين سائر ما خَلَق وقَدَّر: **العَصْر**؛ **يقول الإمام ابن كَثِير** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العَصْرُ**: الزمانُ الذي يقع فيه حركاتُ بني آدم، من خيرٍ وشَرٍّ»(٢).

ويقول الإمام الشَّوْكَانِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقسم سبحانه بالعصر، وهو الدَّهْرُ؛ لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار على تقدير الأدوار، وتعاقب الظلام والضياء، فإن في ذلك دلالةً بينةً على الصانع عَزَّوَجَلَّ، وعلى توحيده، ويقال لليلِ عصرٌ، وللنهار عصرٌ»(٣).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محلُّ أفعال العباد وأعمالهم»(٤).

أقسم به ربُّ البرية في سورة حَوت في طياتها على الكثير من المعاني الإيمانية والفوائد التربوية، **يقول الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهذه السورة-

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين» (١٠/٧٩٨).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٤٨).
(٣) «فتح القدير» (٥/٤٩١).
(٤) «تفسيرالسّعْدِي» (١/٩٣٤).

على اختصارها- هي من أجمع سور القرآن للخير بحذافيره، والحمد لله الذي جعل كتابه كافيًا عن كل ما سواه، شافيًا من كل داء، هاديًا إلى كل خير»(١).

سُورةٌ -أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- مع اختصارها إلَّا أنَّ القَليل مِن أبناء الإسلام مَن يَتدبرها، ويَقف عند مَعانيها العِظَام؛ **يقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّ النَّاس- أو أكثرهم- في غَفلة عَن تَدبر هذه السُّورة»(٢).

يقول العَلَّامَةُ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حَسَن آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«اعلم أن قول الشافعي- رحمه الله تعالى- فيه دلالةٌ ظاهرة على وجوب طلب العلم مع القدرة في أي مكان، ومن استدل به على ترك الرحلة والاكتفاء بمجرد التفكر في هذه السورة، فهو خَلِيُّ الذهن من الفهم والعلم والفكرة- إن كان في قلبه أدنى حياة، ونهمة للخير- لأن الله افتتحها بالإقسام بالعصر الذي هو زمن تحصيل الأرباح للمؤمنين، وزمن الشقاء والخسران للمعرضين الضالين، وطَلَبُ العلم ومعرفةُ ما قصد به العبد من الخطاب الشرعي أفضلُ الأرباح، وعنوانُ الفلاح، والإعراضُ عن ذلك علامةُ الإفلاس والإبلاس؛ فلا ينبغي للعاقل العارف أن يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع، والميراث المحمود»(٣).

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٥٦/١).

(٢) «رياض الصالحين» للنووي (ص ٤٩).

(٣) «الدرر السنية في الأجوبة النجدية» (٣٤٩/٥).

سورةٌ مَن تدبرها حَقَّ التدبر وَفَّقَهُ العزيزُ المقتدر لنيل كل خير، **يقول الإمام الشافعي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو فَكَّرَ الناسُ كُلُّهُم في سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ لكَفَتْهُمْ»(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو كما قال، فإن الله تعالى أخبر أن جميع الناس خاسرون إلا من كان في نفسه مؤمنًا صالحًا، ومع غيره موصيًا بالحق مُوصيًا بالصبر»(٢).

لقد أحببتُ أن أقف معكم- أيها الأحبة والإخوان- في هذا المقال المختصر على معاني سورة العصر، وحرصت فيه على نقل شيء مما قاله فيها بعض الأئمة الأعلام، فلعل العزيز المنَّان أن يجعلنا وإياكم ممن يتدبر كلام الرحمن وممن ينتفع بالقرآن، فهو سبحانه قدير وبالإجابة جدير.

سورة العصر: عدد آياتها: ثلاث، وهي من السور المكية عند أكثر العلماء(٣).

١- قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر:١]؛ **يقول الإمام ابن الجَوْزِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه الدَّهْرُ؛ قاله ابنُ عباس، وزيدُ بن أسلم، والفَرَّاء، وابن قُتَيْبَة، وإنما أقسم بالدهر؛ لأن فيه عبرةً للناظر من مرور الليل والنهار على تقدير لا يَنْخَرِم.

---

(١) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٥٢/٢٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥٢/٢٨).

(٣) تفسير البغوي (٥٢٣/٤)، تفسير القرطبي (١٧٩/٢٠).

والثاني: أنه العَشِيُّ: وهو ما بين زوال الشمس وغروبها؛ قاله الحسن وقتادة.

والثالث: صلاةُ العصر؛ قاله مُقاتل»[(١)].

يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأكثر المفسرين على أنه الدَّهر، وهذا هو الرَّاجح»[(٢)].

٢-وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢]؛ **يقول الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر، أي: في خسارةٍ وهلاك»[(٣)].

ويقول الإمام البَغَوِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الخسران**: ذهاب رأس مال الإنسان في هلاك نفسه وعُمره بالمعاصي، وهما أكبر رأس ماله»[(٤)].

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخاسر ضد الرابح، والخَسَارُ مراتب متعددة متفاوته: قد يكون خسارًا مطلقًا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحقَّ الجحيم، وقد يكون خاسرًا من بعض الوجوه دون بعض»[(٥)].

٣- وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟

---

(١) «زاد المسير» (٩/٢٢٤).
(٢) «التبيان في أَيْمَان القرآن» (ص ١٢٣).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٤٨).
(٤) «تفسير البَغوِي» (٤/٥٢٣).
(٥) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٩٣٤).

بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣]؛ **يقول الإمام الشَّوْكَانِي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ أي: جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح؛ فإنهم في ربح لا في خسر؛ لأنهم عملوا للآخرة، ولم تشغلهم أعمالُ الدنيا عنها»[(١)].

ويقول الإمام ابنُ كَثِير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا الصالحات بجوارحهم، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ وهو أداء الطاعات، وترك المحرمات، ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ على المصائب والأقدار، وأذى من يؤذي ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر»[(٢)].

ويقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتواصي بالحق يدخل فيه: الحق الذي يجب، والحق الذي يُستحب، والصبر يدخل فيه: الصبر الذي يجب، والصبر الذي يُستحب.

فهؤلاء إذا تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر حصل لهم من الربح ما خسره أولئك الذين قاموا بما يجب عليهم في أنفسهم ولم يأمروا غيرهم به، وإن كان أولئك لم يكونوا من الذين خسروا أنفسهم وأهليهم»[(٣)].

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ **أيضا: «المراتب أربعة، وباستكمالها يحصل للشخص غاية كماله:**

---

(١) «فتح القدير» (٥/٤٩٢).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/٥٤٨).
(٣) «التبيان في أيمان القرآن» (ص ١٣٥).

إحداها: معرفة الحق.

الثانية: عمله به.

الثالثة: تعليمه من لا يحسنه.

الرابعة: صبره على تعلمه والعمل به وتعليمه.

فذَكَر تعالى المراتب الأربعة في هذه السورة، وأقسم سبحانه في هذه السورة بالعصر أن كُلَّ أحد في خُسْرٍ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وهم الذين عَرفوا الحق وصَدَّقُوا به، **فهذه مرتبة**، ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وهم الذين عملوا بما علموه من الحق فهذه **مرتبة أخرى**، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾ وصَّى به بعضُهم بعضًا تعليمًا وإرشادًا فهذه **مرتبة ثالثة**، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ صبروا على الحق، ووصَّى بعضُهم بعضًا بالصبر عليه والثبات، فهذه **مرتبة رابعة**، وهذا نهاية الكمال؛ فإن الكمال أن يكون الشخصُ كاملًا في نفسه مُكَمِّلًا لغيره، وكمالُه بإصلاح قُوَّتَيْهِ العلمية والعملية، فصلاحُ القوة العلمية بالإيمان، وصلاحُ القوة العملية بعمل الصالحات، وتكميلُه غيرَه بتعليمه إياه وصبره عليه وتوصيته بالصبر على العلم والعمل...»[(١)].

ويقول الإمام الشَّوْكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي جَعْلِ التواصي بالصبر قرينًا للتواصي بالحق دليلٌ على عظيم قدره، وفَخَامَةِ شَرَفِه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبرُ عليه»[(٢)].

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (٥٦/١).

(٢) «فتح القدير» (٤٩٢/٥).

ويقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «عَمَّمَ اللهُ الخسارَ لكل إنسان إلا من اتصف بأربع صفات:

الإيمان بما أمر اللهُ بالإيمان به: ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه، لا يتم إلا به.

والعمل الصالح: وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة، والباطنة، المتعلقة بحقوق الله، وحقوق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق: الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضًا بذلك، ويَحُثُّه عليه، ويُرَغِّبُه فيه.

والتواصي بالصبر: على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأَوَّلَيْنِ يُكمل العبدُ نفسَه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة يكون العبدُ قد سَلِمَ من الخَسار، وفاز بالربح العظيم»(١).

وفي الختام:

أريد أن أذكر نفسي وإياكم- أيها الأحبة الكرام- في هذا المقام بهدي نبويٍّ ثابتٍ عن رسول العزيز العلام، وكان يحرص عليه صحابةُ خير الأنام، ألا وهو قراءة هذه السورة العظيمة عند الافتراق، فعن أبي

---

(١) «تفسيرالسّعْدِي» (ص ٩٣٤).

مَدينة الدَّارِمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(١) قال: كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيَا لم يفترقا حتى يقرأ أحدُهما على الآخَر: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ ثم يُسلمُ أحدهما على الآخر»(٢).

يقول الشيخ الأَلْبَاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذا الحديث فائدتان مما جرى عليه عمل سلفنا- رضي الله عنهم جميعًا:

إحداهما: التسليم عند الافتراق، وقد جاء النصُّ بذلك صريحًا من قوله ﷺ: «**إذا انْتَهَى أحدُكم إلى المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فإذا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولى بِأَحَقَّ من الآخِرَةِ**»(٣).

والأخرى: نستفيدها من التزام الصحابة لها، وهي قراءة سورة (**العَصْر**) لأننا نعتقد أنهم أبعدُ الناس عن أن يُحدثوا في الدين عبادةً يتقربون بها إلى الله، إلا أن يكون ذلك بتوقيفٍ من رسول الله ﷺ قولًا أو فعلًا أو تقريرًا، ولِمَ لا وقد أثنى اللهُ تبارك وتعالى عليهم أحسنَ الثناء، فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

---

(١) هو عبد الله بن مِحصَن وقيل: حِصن، الأنصاري، **قال الإمام ابن الأَثِير** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكانت له صحبةٌ». «أُسد الغابة» (٣/٢١٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥/٢١٥)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٢٦٤٨).

(٣) رواه أبو داود (٥٢٠٨)من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «من كان منكم مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أَبَرَّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تَكَلُّفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم[(١)]»[(٢)].

ولنحذر أشدَّ الحذر- أيها الأحبة والإخوان- من أن يكون همُّنا الاعتناءَ بحروف القرآن دون تدبره والعمل بحدوده؛ لأن هذا من الخذلان والحرمان.

وأنصح نفسي وإياكم بالاهتمام بكتاب رب العالمين، حفظًا ومراجعةً، وتفسيرًا، وتَدبرًا، فإن في ذلك- بإذن أرحم الراحمين- النجاحَ والفلاحَ في الدارين، يقول الإمام ابن القَيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلو عَلِمَ النَاسُ ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها، فإذا قرأه بتفكر حتى مَرَّ بآيةٍ وهو محتاجٌ إليها في شفاء قلبه كَرَّرَهَا ولو مائة مرة، ولو ليلة! فقراءةُ آيةٍ بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن، وهذه كانت عادة السلف: يردد أحدُهم الآيةَ إلى الصباح، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قام بآية يُرَدِّدُها حتى الصَّبَاح، وهي قوله: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ

---

(١) أثر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- ذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/٩٧)، وأثر الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ- ذكره بنحوه الإمام الشاطبي في «الموافقات» (٤/٨٧).

(٢) «السلسلة الصحيحة» (٦/١٤٧).

فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب»(١).

والله - أيها الأفاضل - في معرفة شرف وقدر أوقاتنا، فلا نَصرفها إلا فيما ينفعنا، ولنتجنبْ إضاعتَها فيما يضرنا! ولنتذكر دائمًا أننا سنُسأل عن ذلك كله يوم نقف بين يدي خالقنا ورازقنا، يقول الشيخ ابن عُثَيْمِين رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالوقتُ هو أغلى شيء، لكن هو أرخصُ شيء عندنا الآن، نمضي أوقاتًا كثيرة بغير فائدة، بل نمضي أوقاتًا كثيرة فيما يضر، ولست أتحدث عن رجل واحد، بل عن عموم المسلمين؛ اليوم - مع الأسف الشديد - أنهم في سهو ولهو وغفلة، ليسوا جادين في أمور دينهم، أكثرهم في غفلةٍ وفي تَرَفٍ، ينظرون ما يترف به أبدانهم، وإن أتلفوا أديانهم»(٢).

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه، ومن ذلك الاعتناء بالقرآن، وأن يُجنبنا كُلَّ ما فيه حرمان، ويُؤَدِّي إلى الخسران، فهو سبحانه ولي ذلك والعزيز الرحمن.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «مفتاح دار السعادة» (١/١٨٧).
(٢) «شرح رياض الصالحين» (٦/ ٢٠).

داء الحقد

داء الحقد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبيِّنا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإنَّ قلوب العباد- أيها الإخوة والأخوات- قد تُصاب بانتكاسات وتتأَثر بآفات! ومن هذه الأمراض الخطيرة والأدواء العسيرة التي قد يُصاب بها قلبُ العبد- إذا لم يحفظه منه العزيزُ الصمدُ- داء الحِقْد، **يقول أبو البقاء الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (ت: ١٠٩٤ هـ)**: «الحقد: هو سوء الظن في القلب على الخلق؛ لأجل العداوة»[(١)].

هذا الوباء يُبعد من يُبتلى به عن كل ما فيه صلاح وخير؛ لأنه أصل ومفتاح كل شر؛ **يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ**: «والحقد أصل الشر، ومَن أَضْمَرَ الشر في قلبه أنبت له نباتًا مُرًّا مذاقه، نماؤه الغيظ وثمرته الندم»[(٢)].

---

(١) «الكليات» (ص ٤٠٨).
(٢) «روضة العقلاء» (ص ١٣٤).

ويُتعِب حامِلَه، ويُفسد فِكْرَهُ ويُشغل بالَه ويَزيد من غَمِّهِ وألمه! بحيث يكون همَّه الانتقامُ والتشفي من الأنام، ويُنسيه أن السعادة والطمأنينة الحقيقية هي في العفو والصفح عمن آذاه من البرية، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الصفح والعفو والحلم- من الحلاوة والطمأنينة والسكينة وشرف النفس وعزها ورفعتها عن تشفيها بالانتقام- ما ليس شيءٌ منه في المقابلة والانتقام»(١).

من أسبابه أيُّها الأحباب:

قسوة القلوب وبُعدها عن علام الغيوب، **يقول الإمام ابن القيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما ضُرِب عبدٌ بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله»(٢).

ومن ذلك- أيها الأفاضل الكرام- كثرة وقوع الخصام بين الأنام؛ **يقول الإمام النَّوَوِي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «والخصومة توغرُ الصدور، وتُهَيِّج الغضب، وإذا هاج الغضبُ حصل الحقدُ بينهما، حتى يفرح كلُّ واحد بمساءة الآخر، ويحزن بِمَسَرَّتِهِ، ويطلق اللسان في عرضه»(٣).

وأيضًا من أسباب هذا الداء الخطير المزاح الكثير الذي يُورث الشحناء والبغضاء بين المسلمين، ويُشغل ويصرف عن عبادة أرحم

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/٣١٩).
(٢) «الفوائد» (ص٩٧).
(٣) «الأذكار» (ص٢٩٦).

الراحمين، يقول الإمام النَّوَوِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال العلماء: المزاح المنهي عنه هو الذي فيه إفراطٌ ويُداوم عليه؛ فإنه يُورث الضحكَ وقسوةَ القلب، ويُشغل عن ذكر الله تعالى، والفكر في مهمات الدين، ويَؤُول في كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويُورث الأحقاد، ويُسقط المهابة والوقار، فأما ما سَلِم من هذه الأمور فهو المباحُ الذي كان رسول الله ﷺ يفعله، فإنه ﷺ إنما كان يفعله في نادرٍ من الأحوال، لمصلحةٍ وتطييب نفسِ المخاطب ومؤانستِه، وهذا لا مانع منه قطعًا، بل هو سُنَّةٌ مستحبةٌ إذا كان بهذه الصفة»(١).

ومما ساهم أيضًا في انتشار هذا الداء المشين سوء الظن بالآخرين، الذي يقطع المحبةَ والألفةَ، ويُفسد الإخاءَ، وينشر بين المسلمين الحقدَ والحسدَ والبغضاء؛ يقول ابن بَطَّال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال المُهَلَّبُ: فالجواب أنَّ التباغضَ والتحاسدَ أصلُهما سوءُ الظن؛ وذلك أن المباغِض والمحاسِد يتأول أفعال مَن يُبغضه ويَحْسُده على أسوأ التأويل»(٢).

أيها الحاقد!

اعلم- هداك الله- أنَّك في الحقيقة لا تؤثر على غيرك! وإنما تَضُرُّ نفسك! فبادر- وفقك أرحمُ الراحمين- بالتخلص من هذا المرض الدفين! وذلك بالتوبة والرجوع إلى الله رب العالمين، واسلك في القضاء عليه

---

(١) «الأذكار» (ص٢٥٨).

(٢) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/٢٦١).

الطرقَ الشرعيةَ والوسائل الإيمانية، ومن ذلك السعي في تطهير قلبك مِن كل ما يُغضب خالقك، وتَذَكَّرْ أن سلامةَ القلبِ وتَخَلُّصَهُ من الأمراض الرَدِيَّة هو معيارُ الخيرية بين البرية، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قيل لرسول الله ﷺ أَيُّ الناس أَفْضَلُ؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**»، قالوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فما مَخْمُومُ القَلبِ؟ قال: «**هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فيه، ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ، ولا حَسَدَ**»[(١)].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُ اللَّهُ: «(**كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ**) بالخاء المعجمة أي: سليم القلب؛ لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩]. مِنْ خَممتُ البيت إذا كَنَسْتُهُ- على ما في القاموس وغيره.

فالمعنى: أن يكون قلبُه مكنوسًا من غُبار الأغيار، ومُنَظَّفًا من أخلاق الأقذار.

(**صَدُوقِ اللِّسَانِ**) بالجَرِّ، أي: كل مبُالِغٍ للصدق في لسانه فيحصل به المطابقةُ بين تحسين لسانه وبيانه، فيخرج عن كونه منافقًا، أو مرائيًا مخالفًا.

(**قالوا: صَدُوقِ اللِّسَانِ**) بالجر على الحكاية، ويجوز رفعه على إعراب الابتدائية، والخبر قوله: (**نَعْرِفُهُ**).

(**فَمَا مَخْمُومُ القَلبِ**). قَالَ: (**هُوَ النَّقِي**) أي: نَقِيُّ القَلبِ وطاهر الباطن

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

عن مَحَبَّةِ غير المولى.

(التَّقِي) أي: المُجتنب عن خُطُور السِّوى.

(لَا إِثْمَ عَلَيْهِ) فإنه محفوظٌ، وبالغفرانِ محظوظٌ، وبعين العناية ملحوظ، ومن المعلوم أَنَّ (لا): لنفي الجنس؛ فقوله: (وَلَا بَغْيَ) أي: لا ظُلم له، (وَلَا غِل) أي: لا حِقد، (ولا حَسَدَ) أي: لا تمني زوال نعمة الغير- من باب التخصيص والتعميم على سبيل التكميل والتعميم- لئلا يتوهم اختصاص الإثم بحق الله، فَصَرَّحَ بأنه لا مطالبة عليه لا من الخلق ولا من جهة الخالق، والله تعالى أعلم بالحقائق»[(١)].

ومن ذلك: أَنَّ تتواضع للآخرين، كما أمرك بذلك رب العالمين، فعن عِيَاض بن حِمَار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ، ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ**»[(٢)].

يقول المُلَّا عَلِي قَارِي رَحِمَهُٱللَّهُ: «(**حَتَّى لَا يَفْخَرَ**) بفتح الخاء من الفخر وهو ادعاء العظمة والكبرياء والشرف، أي: كي لا يتعاظم (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**)، (**ولَا يَبْغِي**) بكسر الغين أي: ولا يظلم (**أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ**)، وفي الجمع بينهما إشعارٌ بأن الفخر والبغي نتيجتا الكِبْرِ؛ لأن المتكبر هو الذي يرفع نفسَه فوق كُلِّ أَحَدٍ، ولا يَنْقَادُ لِأَحَدٍ»[(٣)].

---

(١) «مرقاة المفاتيح» (١٤٠٩/٩).

(٢) «رواه مسلم» (٢٨٦٥).

(٣) «مرقاة المفاتيح» (١٢١/٩).

فالتواضعُ- أيها الأحباب- من أهم الأسباب التي- بإذن العزيز الوهاب- تَدفع وتُزيل الأحقاد بين العباد، **يقول الإمام ابن حِبَّان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:** «والتواضعُ يُكسب السلامةَ، ويورث الألفةَ، ويرفع الحقد، ويُذهب الصَّدَّ، وثمرةُ التواضعِ المحبةُ»(١).

فعلينا جميعًا- أيها الأحبة والإخوان- المبادرة دائمًا قبل فوات الأوان بعلاج قلوبنا مما يحلّ بها من ضعف وهوان، قبل أن تُصبح منقادةً للهوى وللشيطان، ولا تتأثر بذكر الرحمن، والله المستعان.

ولنَقْتَدِ بأصحاب النفوس الزكية، وليكن دعاؤنا لرب البرية في السر والعلانية: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠].

يقول الشيخ السّعْدِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا من فضائل الإيمان أن المؤمنين ينتفع بعضُهم ببعض، ويدعو بعضُهم لبعض، بسبب المشاركة في الإيمان المقتضي لعقد الأُخُوَّةِ بين المؤمنين، التي من فروعها أن يَدْعُوَ بعضُهم لبعض، وأن يُحَبّ بعضُهم بعضًا.

ولهذا ذكر اللهُ في الدعاء نفيَ الغِلِّ عن القلب، الشامل لقليل الغِلِّ وكثيره، الذي إذا انتفى ثبت ضِدُّهُ، وهو المحبةُ بين المؤمنين والموالاة

---

(١) «روضة العقلاء» (ص ٦١).

والنصح، ونحو ذلك مما هو من حقوق المؤمنين»[(١)].

فالله أسألُ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا أن يُطَهِّرَ قلوبَنا جميعًا من جميع الأمراض والآفات، ومن ذلك الحقد الذي هو من المحرمات، وأن يجعلها سَبَّاقَةً للطاعات وعامرةً بالخيرات؛ فهو سبحانه رب الأرض والسموات.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير السّعْدِي» (ص٥٤٧).

داء الكسل

داء الكسل

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين؛ نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد:

إنَّ من الأمراض والآفات التي لا تُؤثر فقط على الأفراد، بل يتعدَّى ضررُها حتى إلى المجتمعات: داء خطيرٌ، وبلاء عسير؛ ألا وهو- أيُّها الأَفَاضل- داء الكَسَل.

يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والكسل**: التثاقل والتَّراخي عمَّا يَنبغي مع القدرة»(١).

فهذا المرضُ يُثَبِّط النَّفس على فِعل الطاعات، ويمنعها من عمل الخيرات؛ **يقول الفضيل بن عياض** رَحِمَهُ اللَّهُ: «الكسلُ فَترةٌ تَقع بالنَّفس، وتُثبط عن العمل»(٢).

---

(١) «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/٢١٤).

(٢) «مشارق الأنوار» (١/٣٤٧).

لذا؛ مَن ابْتُلي بهذا الدَّاء الخطيرُ حُرم من الخير الكثير ؛ **يقولُ الإمام ابن القَيِّم** رَحِمَهُ اللَّهُ: «العجزُ شَريك الحِرمان»(١).

ولِضَرَره وخَطره- أيُّها الأَحِبَّة الكِرام- استعاذ بالله مِنه سَيِّدُ الأَنام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن العَجْزِ وَالكَسَلِ...**»(٢).

قال ابن بَطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: «أمَّا الكَسل، فهم مُجمعون على أنَّه ضُعف النِّية، وإيثار الرَّاحة للبَدن على التَّعب، وإنَّما استُعِيذ منه؛ لأنَّه يُبعد عن الأفعال الصَّالحة للدُّنيا والآخرة»(٣).

يقول المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من العَجْز**»- بسكون الجيم-: سَلْبُ القوَّة، وتَخلُّف التوفيق، إذ صِفةُ العَبد العجز، وإنما يَقوى بقوَّة يُحدثها اللهُ فيه، فكأنَّه استعاذَ به أن يَكله إلى أوصافه، فإنَّ كلَّ من رُدَّ إليها فقد خُذِل.

«**والكسل**»: التَّثاقلُ والتراخي مما ينبغي مع القدرة، أو هو عدم انبعاث النَّفس لِفعل الخَير، والعاجز مَعذور، والكَسلان لا، ومع ذلك هو حالة

---

(١) «بدائع الفوائد» (٣/٧٤٩).

(٢) رواه البخاري (٢٦٦٨)، ومسلم (٢٧٠٦)، واللفظ له.

(٣) «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٥/٣٦).

رؤية، ولو مع عُذر؛ فَلِذا تَعَوَّذ منه»(١).

ويقول الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفَرق بين العجز والكسل: أنَّ الكسلَ تركُ الشيء مع القُدرة على الأخذ في عَمله، والعجز: عدمُ القُدرة»(٢).

إنَّ مما يُعين ويَحفظ العبدَ من الابتلاءِ بهذا المرضِ العُضال والدَّاء القتال أسبابٌ، منها **أيُّها الأحبابُ**:

- **اللجوء إلى مولانا العزيز القدير**، وذلك بسؤاله -سبحانه- دَومًا أن يحفظنا، ويُعيذنا مِن هذا البَلاء العَسير اتِّباعًا لِهَدْي البَشير النذير؛ **يقول الإمامُ ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإنسانُ مندوبٌ إلى استعاذته بالله- تعالى- من العَجز والكسل، فالعَجز: عدمُ القُدرة على الحِيلة النَّافعة، والكَسل: عدم الإرادة لِفعلها، فالعاجزُ لا يستطيع الحِيلة، والكَسلان لا يريدُها»(٣).

- **عدم طاعة النَّفس** التي إذا لم يُجاهدها العبدُ أبعدته عن الخَيرات، وأَمرته بالسُّوء والمُنكرات؛ يقول ربُّ البريَّات: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [يوسف: ٥٣].

---

(١) «فيض القدير» (٢/٣٤٧).

(٢) «فتح الباري» (٦/٣٦).

(٣) «إعلام الموقعين» (٣/٣٣٦).

يقولُ الشيخُ السّعديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾، أي: لَكثيرة الأمر لصاحبها بالسُّوء، أي: الفاحشة، وسائر الذنوب، فإنَّها مَركب الشيطان، ومنها يدخل على الإنسان؛ ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ﴾؛ فنَجّاه من نفسه الأَمَّارة، حتى صارت نفسُه مُطمئنة إلى ربِّها، مُنقادة لداعي الهدى، مُتعاصية عن داعي الرَّدى، فذلك ليس من النفس، بل من فضل الله ورحمته بعبده. ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ أي: هو غفورٌ لمن تَجَرَّأَ على الذنوب والمعاصي، إذا تاب وأناب، ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ بقبول توبته، وتوفيقه للأعمال الصَّالحة»[(١)].

ومِن الأمور التي تَدعو لها النَّفس- أيُّها الأفاضل- وتُحِبُّها، وتَميل إليها: داء الكسل؛ يقول الشيخُ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإنَّ النَّفس ميَّالةٌ إلى الكسل عن الخيرات، أمَّارة بالسوء، سريعة التأثر عند المصائب، وتحتاج إلى صبر وجهاد في إلزامها طاعة الله، وثباتها عليها، ومجاهدتها عن معاصي الله، ورَدعها عنها، وجهادها على الصبر عند المصائب، وهذه هي الطَّاعات: امتثال المأمور، واجتناب المَحظور، والصَّبر على المقدور، فالمجاهد حقيقة: مَن جاهدَها على هذه الأمور؛ لِتَقوم بواجبها، ووظيفتها»[(٢)].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٠٠).
(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٢١).

فَعلى العبدِ المسلم ألَّا يُطيعها على ما تَهوى وتُريد، وألَّا يَجعلها تَجُرُّه إلى الوقوع في وَباء الكَسَل الذي هو مرضٌ غَير حَميد، وليُجاهدها على فِعل الخَيرات، واجتناب المنكرات.

فهذا- أيُّها الكِرام- هو الجهاد الحقيقي، كما أخبرنا بذلك رسولُ العزيز العَلَّام عليه أفضل الصَّلاة والسَّلام؛ فعن فَضَالة بن عُبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المُجَاهِدُ مَن جَاهَدَ نَفْسَهُ في طَاعَةِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ**»(١).

يقول الإمامُ ابنُ القَيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «جِهَاد النَّفس مُقَدَّمًا على جهاد العدو في الخارج، وأصلًا له، فإنه ما لم يجاهد نفسَه أوَّلًا؛ لِتفعل ما أُمرت به، وتترك ما نُهيت عنه، ويُحاربها في الله لم يُمكنه جهادُ عَدوه في الخارج، فكيف يُمكنه جهاد عدوه، والانتصاف منه، وعَدوه الذي بين جَنبيه قاهرٌ له، مُتسلط عليه، لم يُجاهده، ولم يُحاربه في الله؟! بل لا يمكنه الخروج إلى عدوه، حتى يُجاهد نفسَه على الخُروج»(٢).

- **صِدق التوكل والاعتماد على ربِّ البَريات**؛ لأنَّ ضعف التوكل على العزيز المقتدر من أسباب الابتلاء بهذا الدَّاء الذي يُبعد عن كل خير، ويَجرُّ إلى الوقوع في الشرِّ؛ **يقولُ الشيخُ السّعديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ**: «والتوكل الحقيقيُّ

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/٢٢)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٩).

(٢) «زاد المعاد» (٣/٦).

يطرد عن العبد الكسلَ، ويُوجب له النشاط التامَّ على الأمر الذي تَوكَّل على الله به، ولا يَتصاعب شاقًّا، ولا يَستثقل أيَّ عمل، ولا ييأس من النجاح، وحُصول مطلوبه، عكس ما يظنُّه بعض المنحرفين الذين لم يفهموا معنى التوكل، أو فَهموه لكن إنكار القَدَر والقضاء صَرَفهم عن الحقِّ، فحسبوا أنَّ التوكُّلَ يُضعف الهِمَّة والإرادة، وأسَاؤوا غاية الإساءة حيث ظنوا بربِّهم الظَّنَّ السوء، فإنَّ اللهَ أمر بالتوكُّل في آيات كثيرة، وأخبر أنَّه من لوازم الإيمان، ووعد المتوكلين الكفايةَ وحصولَ المطلوب، وأخبر أنَّه يحبُّهم، وأنَّه لا يتمُّ الدين إلا به، ولا تتمُّ الأمور إلا به، فالدين والدنيا مُفتقرات إلى التوكُّل»[(١)].

- **الابتعاد عن كلِّ ما قد يكون سببًا في الإصابة بداء الكسل**، ومن ذلك كثرة الأكل؛ **قال السفَّاريني** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في «غذاء الألباب»**: «قال ابنُ الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «تبصرته»: «الشِّبع يُوجب تَرَهُّل البَدن وتكاسله، وكثرة النوم، وبَلادة الذِّهن، وذلك بتكثير البُخار في الرأس حتى يُغطي موضع الفِكر والذِّكر، والبِطنة تذهب الفِطنة، وتجلب أمراضًا عَسِرة، ومقام العدل: ألَّا يأكل حتى تَصُدَّ الشهوة، وأن يَرفع يده، وهو يَشتهي الطعام، ونهاية المقام الحسن: قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**ثُلُثٌ طَعَامٌ، وَثُلُثٌ شَرَابٌ، وَثُلُثٌ نَفَسٌ**»[(٢)]، والأكل على مَقام العدل يُصِحُّ البَدن، ويُبعد

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلَّام» (ص١٠٧).
(٢) يُشير رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى ما رواه الإمام الترمذي (٢٣٨٠)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ =

المرض، ويُقلل النوم، ويُخفف المُؤنة»[(١)].

لأنَّ التقليلَ من الطَّعام- أيها الأحبة الكِرام- يُقوِّي ويُنَشِّط الأجسام، **يقول الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال بعضُ المتقَدِّمين من أئمة الطِّبِّ: مَن أراد عافية الجِسم فليُقلل الطعام والشراب، ومَن أراد عافية القلب فليترك الآثام»[(٢)].

وكثرة النَّوم: هي- أيضًا- من أسباب الابتلاء بهذا الوباء؛ **يقول الإمام ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثرةُ النوم: فإنَّه يُميت القلب، ويُثقل البدن، ويُضَيِّع الوقتَ، ويُورث كثرة الغَفلة، والكَسَل»[(٣)].

فلنحذر- أيُّها الأحبَّة- الأفاضل أشدَّ الحَذر من أن نكون من أهل الكَسَل الذين صدَّهم هذا الداءُ الخطير والوباء العسير عن طاعة المَنَّان، وجعلهم يَقعون في العصيان، ولنستعيذ منه الرَّحمن في كل الأحيان، ولنجتهد دومًا في بذل الأسباب التي تَقينا منه بإذن العزيز الوهَّاب.

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العليا: أن يُوفِّقنا- وإيَّاكم-

---

من حديث المِقدام بن مَعْدِ يكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ؛ بِحَسْبِ ابن آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لَا مَحَالَةَ؛ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ**».

(١) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» للسفاريني (٢/٩٠).

(٢) «زاد المعاد» (٤/٢٠٣).

(٣) «مدارج السالكين» (١/٤٥٩).

لكل ما فيه خَير وسرور، ومِن ذلك الاجتهاد في الطاعات، وأن يُجنبنا جميعًا الوقوع في كل ما فيه ضرر وشرور، ومن ذلك الابتلاء بداء الكسَل الذي هو من أسباب البُعد عن الخيرات؛ فهو- سبحانه- وليُّ ذلك، وربُّ الأرض والسَّمَوات.

وصلّ اللهم وسَلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

من الفائز؟!

من الفائز؟!

الحمدُ لله ربِّ العَالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المُرسلين؛ نَبينا محمد وعلى آلِه وصحبه أجمعين.

أمَّا بعدُ:

فكثيرًا ما نَسمع النَّاسَ يُرَدِّدون: فُلانٌ رَبِحَ! ويقولون: فلانٌ فَازَ! يقول الرَّاغب الأصفهانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفوز: الظَّفَر بالخَير مع حُصول السَّلامة»[(١)].

فما أجملَها من كلمة! ومَا أروعها من عبارة تُردَّد وتُقَال على الألسنة!

لَكن قد يتساءل المرءُ- أيُّها الأحبة الكِرام- بعد لحظاتٍ من سماعها عن حقيقة هذا الرِّبح؟

صاحبُه ظَفِر بماذا؟

فالمؤمنُ الذي عَلَّق قلبَه بربِّ البريات يَعلم أن هذا العبد إنَّما فاز في الحقيقة بلذةٍ فانية، وشهوة زائلةٍ تَبقى فقط للحظات، وقد يَتبعها بعد

---

(١) «المفردات في غريب القرآن» (١/٣٨٧).

ذلك الندمُ والحَسَرات!

لأنَّه يعلم- أيُّها الأحبة الكرام- أنَّ الفوز الحقيقيَّ هو في طاعة العزيز العلام، واتِّباع سُنَّة خير الأنام عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ لأنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٧١﴾ [الأحزاب:٧١].

يقول الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ في فعل ما هو طاعة، واجتناب ما هو مَعصية؛ ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾، أي: ظَفِر بالخير ظَفَرًا عظيمًا» (١).

وأنَّ هذه هي الطاعة التي تَجعله بإذن الله العزيز الكريم يَنالُ بها جنَّات النَّعيم، وهذا هو الفوز العظيم؛ يقول السميع العليم: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣﴾ [النساء:١٣].

يقول الشيخ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ بامتثال أمرِهما الذي أَعْظَمُه طاعتُهما في التَّوحيد، ثم الأوامر على اختلاف درجاتها، واجتناب نَهيهما الذي أعظمُه الشِّركُ بالله، ثم المعاصي على اختلاف طبقاتها ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ﴾؛ فَمَن أدَّى الأوامر، واجتنب النواهي فلا بد له من دخول الجنة، والنجاة من النار، ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ

(١) «فتح القدير» (٤/٣٠٨).

﴿ٱلْعَظِيمُ﴾ الذي حصل به النجاة مِن سَخطه وعذابه، والفوز بثوابه ورضوانه بالنعيم المُقيم الذي لا يَصفه الواصفون»(١).

وهو كذلك الفوزُ الكبير الذي لا يُساويه فوزٌ، ولا يُدانيه؛ يقول العزيز القدير: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج:١١].

يقول الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾يقول: هذا الذي هو لهؤلاء المؤمنين في الآخرة: هو الظَّفَر الكبير بما طَلبوا، والتمسوا بإيمانهم بالله في الدنيا، وعَملهم بما أَمَرهم الله به فيها ورَضيه منهم»(٢).

فالفائزُ الحقيقيُّ- أيُّها الأحبة الكِرام- هو الذي يجتهدُ في تحقيق ما مِن أجلِه خُلق الأنام؛ أَلَا وهو عبادة العَزيز العَلَّام؛ يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦].

يقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا تصريحُ بأنَّهم خُلقوا للعبادة، فحَقَّ عليهم الاعتناءُ بما خُلقوا له، والإعراض عن حظوظ الدنيا بالزَّهادة، فإنَّها دارُ نَفَاد لا محل إِخْلاد، ومَركب عُبور لا مَنزل حُبور، ومشروع انفصام لا موطن دوام، فلهذا كان الأيقاظُ مِن أهلها هم العُبَّاد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهَّاد»(٣).

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٧١).
(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/١٣٧).
(٣) «رياض الصالحين» (ص٣).

وجمع في عبادته بين الإخلاص لربِّ العالمين، والمتابعة لهدي خير المُرسلين؛ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والمُخلصون**: هم الذين أخلصوا العبادة والمحبة والإجلال والطاعة لله، والمتابعة والانقياد لنصوص الأنبياء، فيُجَرِّد عبادة الله عن عبادة ما سواه، ويُجَرِّد متابعة رسوله، وترك ما خالَفه لقوله دون مُتابعة غيره؛ فَلْيَزن العاقلُ نفسَه بهذا الميزان قبل أن يُوزن يوم القُدوم على الله»(١).

إنَّ الرَّابحَ الحقيقيَّ- أيُّها الأفاضل- هو الذي عَرف قيمةَ وشَرف وقتِه، فَصَرَفه فيما يُرضي خالقَه، واستغلَّه فيما يَعود عليه بالنفع في الدَّارين، وليس مَن أضاعَ عمره في شهوات زائلة، ولذَّات فانية! يقول ابنُ الجوزيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يَنبغي للإنسان أن يَعرف شرف زمانه، وقَدر وقته، فلا يَضيع منه لحظة في غير قُربة، ويُقدِّم الأفضل فالأفضل من القَول والعمل»(٢).

وهو- أيضًا- مِن انشغل بعيبِه، واجتهد في إصلاحه ومُحَاسبة نفسه، وليس مَن بَذَل جُهده، وصَرَفَ وقتَه في تَتَبع عيوب وزلاَّت الآخرين؛ يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «طُوبى لِمَن شغلَه عيبُه عن عيوب الناس، وويلٌ لمن نَسِي عَيبه، وتفرَّغ لعيوب الناس، فالأوَّلُ عَلامة السعادة،

---

(١) «بدائع الفوائد» (٤/٩٥٢).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢).

والثاني علامةُ الشَّقاوة»(١).

ليس الفائزُ في الحقيقة مَن إذا رزقه الرَّحمن بمال بسبب تجارة أو غيرها بَخِل به، أو صَرفه في العِصيان، وما تَهوى النفس، وما يحبه الشيطانُ!

بل الرابح الحقيقيُّ هو مَن إذا تفضَّل عليه أرحمُ الرَّاحمين بمالٍ استعملَه فيما يُرضي ربَّ العالمين، ومِن ذلك النفقة على الفقراء والمساكين؛ لأنَّه يَعلم أن هذا هو الذي ينفعه في الدارين بإذن الرَّزاق ذي القوة المتين؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يا ابن آدَمَ، أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ**»(٢).

يقول المُلَّا علي قَاري رَحِمَهُ اللَّهُ: «والمعنى: أَنْفِقَ الأموال الفانية في الدنيا؛ لتدرك الأحوال العالية في العُقبى، وقيل: معناه: أَعْطِ الناسَ ما رَزقك، حتى أنا أرزقك، أي: في الدنيا»(٣).

إنَّ الذي يُغبط حقيقةً -أيُّها الأحبة- مَن عرف حقيقة الدَّنيا الفَانية؛ فجعلها دارَ عَمَل ومَمَرًّا للآخرة الباقية؛ لأنَّ هذه الحياة الدنيا مهما طالت فهي أَمَدِيَّة، وأما الحياة الآخرة فهي الأبدية؛ **يقول الشيخُ السّعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ الحياة التي يَنبغي السَّعي في كمالها وتحصيلها

---

(١) «طريق الهجرتين» (ص٢٧١).

(٢) رواه البخاري (٥٠٣٧)، ومسلم (٩٩٣)، واللفظ له.

(٣) «مرقاة المفاتيح» (٤/٣١٨).

وكمالها، وفي تتميم لذَّاتها، هي الحياة في دار القَرار، فإنها دارُ الخُلد والبقاء»(١).

وفي الختام نقول:

أيُّها الكرام، إنَّ الفائزَ الحقيقي من الأنام هو مَن جُنِّب النيران، وأُدخل الجِنَان بفضل العَزيز العلام؛ **يقول سبحانه**: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ [آل عمران:١٨٥].

يقول الشيخُ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذه الآية الكريمة فيها التَّزهيد في الدنيا بفنائها، وعدم بقائها، وأنَّها متاع الغرور؛ تَفتن بزخرفها، وتَخدع بغُرورها، وتَغر بمحاسنها، ثُمَّ هي مُنتقلة، ومنتقل عنها إلى دار القرار، التي تُوفَّى فيها النفوس ما عَملت في هذه الدار مِن خير وشَرٍّ.

﴿فَمَن زُحْزِحَ﴾، أي: أُخرج، ﴿عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾، أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنَّات النعيم، التي فيها مَا لَا عينٌ رَأت، ولا أُذنٌ سَمعت، ولا خَطَر على قلب بَشر.

ومفهوم الآية: أنَّ مَن لم يُزحزح عن النَّار، ويُدخل الجنة فإنَّه لم

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٢٤).

يَفز، بل قد شَقِيَ الشَّقاء الأبدي، وابتُلي بالعذاب السَّرَمِدي»[١].

فاللهَ أسألُ بأسمائه الحُسنى وصفاته العُليا: أن يُوفِّقنا -وإيَّاكم- لكل ما يُحبه ويرضاه وأن يُجنبنا كلَّ ما يُبغضه ويأباه، وأن يجعلنا -وإيَّاكم- من أهل الفوز الحقيقيِّ الذين هُم أهل الفَلاح والنَّجَاح في الدَّارين، فهو سبحانه وَلِيُّ ذلك، وأرحم الراحمين.

وصلِّ اللهم وسَلِّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

---

(١) «تفسير السعدي» (ص١٦٠).

الفهارس العامة للكتاب

١- فهـــرس الآيـــات القرآنيـــة

٢- فهـــرس الأحاديـــث القدسـيـة

٣- فهـــرس الأحاديـــث النبويـــة

٤- فهـــــــــرس الآثـــــــار

٥- فهـــرس الأبيـــات الـــشعرية

٦- المــــــصادر المعتمـــــــدة

٨- فهـــــرس الموضـــــوعات

فهرس
الآيات القرآنية

فهرس الآيات القرآنية

البقرة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم ﴾	١٠٩	٢٦١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٧٨
﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ ﴾	٢٣٢	١٩٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم ﴾	٢٦٤	٢٢٥

آل عمران

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾	٨	١٧٥
﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾	٩٢	٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	٥
﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً ﴾	١٣٥	٢٧٥
﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾	١٧٣	٩٧

﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾	١٨٥	٣٣٣

النساء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾	١	٥
﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾	٤	١٩١
﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ﴾	١٣	٣٢٩
﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ﴾	٢٠	١٩١
﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾	٥٨	٥٤
﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾	١٠٣	٢٦٨
﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ﴾	١٠٤	١٥٢
﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾	١٤٢	٢٧٣،١٧٦

المائدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	٢٣	٩٨
﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ﴾	١١٨	٣١٠

الأنعام

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾	٦٨	٢٨٢

الأعراف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾	١٢	٢٥٥
﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾	٣١	١٩٤

التوبة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾	١٨	١٤١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ﴾	٤٩	٤٨
﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾	١٠٠	٣٠٩

هود

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾	٤٩	٤٢

يوسف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾	٥٣	١٤، ٢٥٠، ٣٢٢
﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾	٥٥	٢٥٢
﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾	٩٠	٤٣

إبراهيم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٥٠،٧٦، ٨٩

الحجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	٩٢، ٩٣	١٩٩

النحل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾	١٨	٨٦،٢٣٠
﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾	٥٣	٨٧

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾	٧٨	٢٣١

الإسراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾	٧٩	٢٦٩

الكهف

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾	٢٨	٢٣٥
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾	١١٠	١٧

المؤمنون

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾	٨	٥٢

النور

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾	٣٦	١٤١
﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾	٣٠	٢٣٢

الفرقان

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾	٢٧	٨٣، ٢٢٥
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا﴾	٤٧	١٠٩

الشعراء

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ﴾	١٠٧	٥٢
﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾	٨٩	٣١٥

النمل

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ ...﴾	٨٦	١٠٨

القصص

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾	٧٨	٢٥٥

العنكبوت

الآية	رقم الآية	الصفحة

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾	٨	١٨٥

الروم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾	٢١	١٩٠

السجدة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ﴾	٢٤	٤٣

الأحزاب

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ...﴾	٧٠، ٧١	٥، ٣٢٩
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ ﴾	٣٩	١٦٢

سبأ

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾	٣٩	٣٣

ص

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٠	٤٤	﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ﴾

الزمر

الصفحة	رقم الآية	الآية
٤٢	١٠	﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

فصلت

الصفحة	رقم الآية	الآية
١١٨	٣٣	﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾

الزخرف

الصفحة	رقم الآية	الآية
٢٥٥	٥١	﴿لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾

الأحقاف

الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٩	٣٥	﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾

محمد

الصفحة	رقم الآية	الآية
٣٥	٣٨	﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾

الحجرات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾	١٢	٢٠٤

الذاريات

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾	٢٤، ٢٧	٢٩١
﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	٢٨	٢٩٣
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦، ٥٨	١٦، ٣٣٠

النجم

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟﴾	٣١	١٩٩
﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾	٣٢	٢٤٨

الحشر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾	٩	٢١
﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا﴾	١٠	٣١٧

التغابن

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلتَّغَابُنِۗ﴾	٩	٨٣، ٢٢٥

الطلاق

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾	٣	١٠١

الفجر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾	٢٤	٣٦

التين

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ﴾	٤	٢٣٠

البروج

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾	١١	٣٣٠

البينة

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾	٥	١٠

والعصر

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾	١، ٣	٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥

فهرس
الأحاديث القدسية

فهرس الأحاديث القدسية

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عن الشِّرْكِ	أبو هريرة	١٥
ما لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ	أبو هريرة	١٥٦
من أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ	أبو هريرة	٢٣٧
يا ابن آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ	أبو هريرة	٢٢٠، ٣٣٢

فهرس
الأحاديث النبوية

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	اسم الصحابي	الصفحة
أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ	أبو هريرة	٧٥
أَتَدْرُونَ ما الغِيبَةُ	أبو هريرة	٢٠٢
اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ	عدي بن حاتم	٣٢، ٢٢٦
أَحَبُّ البِلَادِ إلى الله مَسَاجِدُهَا	أبو هريرة	١٤٠
أَحْسِنُوا إِقَامَةَ الصُّفُوفِ في الصَّلاَةِ	أبو هريرة	١٣١
أَدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَكَ	أبو هريرة	٥٨
إذا انْتَهَى أَحَدُكُمْ إِلَى المَجْلِسِ	أبو هريرة	٣٠٨
إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ من تَرْضَوْنَ دِينَهُ	أبو هريرة	١٩٦
إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ	أبو هريرة	١٢١
إذا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ	أبو هريرة	١٥٦، ٢٢٣

أَرْبَعٌ إذا كُنَّ فِيكَ فَلاَ عَلَيْكَ	عبد الله بن عمرو	٥٩
أَرْبَعٌ من كُنَّ فيه كان مُنَافِقًا خَالِصًا	عبد الله بن عمرو	١٧٦
اغْتَنِم خمسًا قبل خمسٍ	ابن عباس	٩٢
أَفْضَلُ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ	زيد بن ثابت	٢٢٣
أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ فَإِنِّي أَرَاكُمْ	أنس	١٣٥
ألا كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ	ابن عمر	٦٠، ١٢٢، ١٩٦
ألا وَإِنَّ في الجَسَدِ مُضْغَةً	النعمان بن بشير	٢٤٢
إِنَّ أَثْقَلَ الصَّلَاةِ على المُنَافِقِينَ	أبو هريرة	٢٧٢
إِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عِنْدَ الله	عبد الله بن عمر	٢٧١
إِنَّ الحَيَاءَ والإيمانَ قُرَنَاءُ جَمِيعًا	عبد الله بن عمر	٦٦
إِنّ الله عَزَّوَجَلَّ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ	يعلى بن أمية	٦٨
إن الله عَزَّوَجَلَّ كَرِيمٌ يُحِبُّ الكَرَمَ	سهل بن سعد	٣٠
إِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا	عياض بن حمار	٢٥٤، ٣١٦
إِنَّ الله لَا يَقْبَلُ من العَمَلِ إلا	أبو أمامة	١١

إِنَّ المُسْلِمَ إذا أَنْفَقَ على أَهْلِه	أبو مسعود البدري	١٥٥
أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ	سهل بن سعد	٢١
إِنَّ أَوَّلَ ما يُسْأَلُ عنه يوم القِيَامَةِ	أبو هريرة	٩١
إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ	عمران بن الحصين	٥٨
أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ	أبو هريرة	٢٢٢
إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ	سلمان الفارسي	٦٨
أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ إِنَّ أبي	أبو هريرة	٢٢٤
أن رسول الله ﷺ كان يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ	أنس	١٧٥
إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مع عِظَمِ البَلَاءِ	أنس	٤٨
إِنَّ لِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا	عائشة	٢٩٥
إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا	أنس	٦٧
إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ الناس من كَلَامِ النُّبُوَّةِ	أبو مسعود البدري	٦٤
إِنَّ من إِجْلَالِ الله إِكْرَامَ	أبو موسى الأشعري	١٨٢
إِنَّ من أَرْبَى الرِّبَا الِاسْتِطَالَةَ	سعيد بن زيد	٢٠٥

إنَّ من يُمْنِ المَرْأَةِ تَيْسِيرَ	عائشة	١٩٣
إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ	أبو مسعود البدري	١٢١
إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلاَقِ	أبو هريرة	٢٩٤
أولُّ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ الخُشُوعُ	أبو الدرداء	٢٤٠
آيَةُ المُنَافِقِ ثَلاَثٌ	أبو هريرة	٥٦، ١٧٧
البُزَاقُ في المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ	أنس	١٤٥
بَشِّرْ المَشَّائِينَ في الظُّلَمِ إلى المَسَاجِدِ	بُرَيْدَة بن الحصيب	٢٧٢
تجتمع مَلاَئِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلاَئِكَةُ النَّهَارِ	أبو هريرة	٢٦٩
ثَلاَثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلبُ مُسْلِمٍ	ابن مسعود	١٢
جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ	أنس	١٢٨
حُجِبَتْ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ	أبو هريرة	٤٦
حَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل	ابن عباس	٩٧
الحَيَاءُ شُعْبَةٌ من الإِيمَانِ	أبو هريرة	٦٧
الحَيَاءُ لَا يَأْتِي إلا بِخَيْرٍ	عمران بن حصين	٦٩

دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ	الزبير بن العوام	٢٥٩
رُبَّ صَائِمٍ ليس له من صِيَامِهِ	أبو هريرة	٧٨
رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دخل عليه رَمَضَانُ	أبو هريرة	٨١
رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ من	عائشة	٢٧١
سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ	أبو هريرة	٢٢٢
سَوُّوا صُفُوفَكُمْ فإن تَسْوِيَةَ الصَّفِّ	أنس	١٢٩
الصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ	أبو مالك الأشعري	٢١٧
الصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ	معاذ بن جبل	٢١٨
الصَّدَقَةُ على المِسْكِينِ صَدَقَةٌ	سلمان بن عامر	٢٢١
صَلُّوا كما رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي	مالك بن الحويرث	١٢٠، ٢٦٩
عُرِضَتْ عَلَيَّ أُجُورُ أُمَّتِي	أنس	١٤٥
عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه	أبو أمامة الباهلي	١١٣
فإذا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ	أبو هريرة	٥٥
فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي	جرير بن عبد الله	٢٣٦

فُضِّلنَا على النَّاسِ بِثَلَاثٍ	حذيفة	١٢٩
كان النَّبِيُّ ﷺ يقول: اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ	أنس	١٦٦، ٣٢١
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ	ابن عباس	٣١
كان رَسُولُ الله ﷺ أَحْسَنَ الناس	أنس	١٦٣
كان رَسُولُ الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً	أبو سعيد الخدري	٦٥
كان رَسُولُ الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا	النعمان بن بشير	١٣٢
كان رَسُولُ الله ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا	أبو مسعود البدري	١٣٣
كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ العِشَاءِ	أبو برزة الأسلمي	١١٠، ٢٧٦
كأنِّي أَنْظُرُ إلى رسول الله ﷺ يحكي	ابن مسعود	٤٠
كُلُّ مَخْمُومِ القَلبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ	عبد الله بن عمرو	٣١٥
لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ له	أنس	٥٧
لَا تَحَاسَدُوا ولا تَبَاغَضُوا ولا تَقَاطَعُوا	أنس	٢٦٠
لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حتى يَتَبَاهَى الناس	أنس	١٤٤
لَا حَسَدَ إلا في اثْنَتَيْنِ	ابن مسعود	٢٦٥

لَا سَمَرَ إلا لِمُصَلٍّ أو مُسَافِرٍ	ابن مسعود	١١١
لاَ يَنْقُصُ مَالٌ مِن صَدَقَة	عبد الرحمن بن عوف	٢١٩
لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أو لَيُخَالِفَنَّ	النعمان بن بشير	١٣١
لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لهم	أنس	٢٠٦
اللَّهُمَّ إني أَعُوذُ بِكَ من الجُبْنِ	سعد بن أبي وقاص	٣٤
لو أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ على الله	عمر	١٠٠
ليس مِنَّا من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا عمر	عمر	١٨١
ما أُعْطِيَ أَحَدٌ من عَطَاءٍ خَيْرٌ	أبو سعيد الخدري	٤٩
ما أُمِرْتُ بِتَشْيِيدِ المَسَاجِدِ	عبد الله بن عباس	١٤٣
ما صَلَّيْتُ وَرَاءَ إِمَامٍ قَطُّ	أنس	١٢٠
ما كان الفُحْشُ في شَيْءٍ إلا شَانَهُ	أنس	٧٠
ما من عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ الله رَعِيَّةً	معقل بن يسار	٥٤
ما من يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه	أبو هريرة	٢١٨
المُتَشَبِّعُ بِمَا لم يُعْطَ	أسماء	٢٤٩

مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالجليس السَّوْءِ	أبو موسى الأشعري	٢٨٥
المُجَاهِدُ من جَاهَدَ نَفْسَهُ	فضالة بن عبيد	١٥، ١٥١،٣٢٤
المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ	أبو هريرة	٥٦
المَسْجِدُ بَيْتُ كل تَقِيٍّ	سلمان الفارسي	١٤١
المُسْلِمُ من سَلِمَ المُسْلِمُونَ	أبو هريرة، عبد الله بن عمرو	٥٧، ٢١٢
من أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سِرْبِهِ	عبيد الله بن مِحْصَن	٨٨
من أَكْرَمَ سُلطَانَ الله في الدُّنْيَا	أبي بكرة	١٨٤
من بَنَى مَسْجِدًا لله	عثمان	١٤٢
من بَنَى مَسْجِدًا يَبْتَغِي بِهِ	عثمان	١٤٣
من دَعَا إلى هُدًى كان له	أبو هريرة	١٥٣
مَنْ دَلَّ على خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ	أبو مسعود البدري	١٥٤
من رَدَّ عن عِرْضِ أَخِيهِ	أبو الدرداء	٢٠٦
من صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا	أبو هريرة	٨١
من صلى البَرْدَيْنِ دخل الجَنَّةَ	أبو موسى الأشعري	٢٧٠

من صلى الصُّبحَ فَهُوَ في ذِمَّةِ الله	جندب بن عبد الله	٣٧٠
من كان يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ	أبو شريح العدوي	٢٩٦
من لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ	أبو هريرة	٧٩
من لم يَرْحَمْ صَغِيرَنَا	عبد الله بن عمرو	١٨٧
من وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ الله	عبد الله بن عمر	١٣٤
مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ الله	أبو سعيد الخدري	٤٥
من يُضِيفُ هذا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ الله	أبو هريرة	٢٢
المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ	أبو هريرة	٣١
نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ	ابن عباس	٨٩
وَاعْلَمْ أن في الصَّبْرِ على ما تَكْرَهُ	ابن عباس	٤٧
وَهَل يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ	معاذ بن جبل	٢١١
يا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ	بُرَيْدَة بن الحصيب	٢٣٥
يا مَعْشَرَ من آمَنَ بِلِسَانِهِ ولم يَدْخُل	أبو برزة	٢٠٤
يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي	أنس	١٧٥

يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ على الكَبِيرِ	أبو هريرة	١٨١
يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قافِيَةِ رَأْسِ	أبو هريرة	٢٧٤
يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله	أبو مسعود البدري	١١٦
ما مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ	المقدام بن مَعْدِ يكرب	٣٢٥

فهرس الآثار

فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
اتَّقُوا اللهَ يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ	الأوزاعي	٢٨٧
أَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي	معاذ بن جبل	١٥٨
أدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ من أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ	ابن أبي مليكة	١٧١
أَلَا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ	عمر بن الخطاب	١٩٢
إن النَّاسَ أو أَكْثَرَهُمْ فِي غَفْلَةٍ عَنْ تَدَبُّر	الشافعي	٣٠٢
إِنْ كَانَ الخلفُ عَلَى اللهِ حَقًّا	الإمام أحمد	٣٥
إِنِّي أَدْرَكْتُ بِحَمْدِ اللهِ مِنْهُمْ صَدْرًا حَسَنًا	أبو رجاء العُطاردي	١٧٢
إِيَّاكُمْ والبِطْنَةَ فَإِنَّهَا تُقسي القَلبَ	سفيان الثوري	٨٠
أَيَسُرُّكَ بِبَصَرِكَ هَذَا الَّذِي تُبْصِرُ بِهِ	يونس بن عبيد	٨٨
البِدْعَةُ أَحَبُّ إِلَى الشَّيْطَانِ مِنَ المَعْصِيَةِ	سفيان الثوري	٢٨١

بِهَذَا ارْتَفَعَ القَوْمُ	الإمام أحمد	١٣
تَعَوَّذُوا باللهِ مِنْ خُشُوعِ النِّفَاقِ	أبو الدرداء	٢٤٣
تَنَحَّ يَابْنَ عَمِّ رَسُولِ اللهِ ﷺ	زيد بن ثابت	١٨٣
دُعِيَ عُمَرُ لِجَنَازَةٍ فَخَرَجَ فِيهَا	حُذَيْفَةُ	١٧٢
ذَكَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ الصَّبْرَ فِي القُرْآنِ	الإمام أحمد	٣٨
رأسُ مَالِ المؤمنِ دينُه	الحسن البصري	٢٨٦
رأيت الرَّجُلَ مِنَّا يُلزِقُ	النعمان بن بشير	١٣٥
رُؤُوسُ النِّعمِ ثَلَاثَةٌ	وهب بن منبه	٨٧
فَوَاللهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَقَلَّبُ عَنْ دِينِهِ	أبو الدرداء	١٧٤
كان الرَّجُلَانِ مِنْ أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ	أبو مدينة الدارمي	٣٠٨
الكَرَمُ: التَّبَرُّعُ بالمعْرُوفِ	الحسن بن علي	٣١
كنا إِذَا فَقَدْنَا الرَّجُلَ فِي صَلَاةِ العِشَاءِ	عبد الله بن عمر	٢٧٣
لَا أُحِبُّ لأحدٍ أَنْ يجالِسَهُم	الإمام أحمد	٢٨٢
لا تُجَالِسْ أَهْلَ الأَهْوَاءِ فَإِنَّ مُجَالَسَتَهُمْ	ابن عباس	٢٨٣

لا تُجَالِسُوا أهلَ الأَهْوَاءِ	أبو قلابة	٢٨٣
لا تُمَكِّنْ صاحبَ البِدْعَةِ مِنْ سَمْعِكَ	مسلم بن يسار	٢٨٣
لَقَدْ رَأَيْتُ أَقْوامًا كَانَتِ الدُّنْيَا	الحسن البصري	٢٣
لَوْ خَشعَ قَلبُ هَذَا خشعتْ جَوَارِحُهُ	سعيد بن المسيب	٢٤٣
لَوْ فَكَّرَ النَّاسُ كُلُّهُمْ فِي سُورَةِ (والعَصْرِ)	الشافعي	٣٠٣
مَا خَافَهُ أي: النِّفاق إلا مُؤْمِنٌ	الحسن البصري	١٧٠
مِن السُّنّة أن يُوقّر أَرْبَعَةً	طاووس بن كيسان	١٨٣
مِن النِّفَاقِ اخْتِلَافُ القَلبِ واللِّسَانِ	الحسن البصري	٢٤٣
مَن كان مِنْكُمْ مُتَأَسِّيًا فَليَتَأَسَّ	ابن مسعود، الحسن البصري	٣٠٩
نَافَقَ حَنْظَلَةُ	الحنظلة بن الربيع	١٧٣
هكذا حَفِظْنَا وهكذا وقع في كتابي	الإمام مالك	٧
هَكَذَا نَفْعَلُ بالعُلَمَاءِ والكُبَرَاءِ	ابن عباس	١٨٣
واللهِ الَّذِي لا إلَه غيرُه ما أُنْزِلَتْ	ابن مسعود	٢٥٣
وَجَدْنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بالصَّبْرِ	عمر بن الخطاب	٤١

وكان أَحَدُنَا يُلزِقُ مَنْكِبَهُ	أنس	١٣٥
وَلَوْ ذَهَبْتَ تَفْعَلَ ذلك اليوم	أنس	١٣٦
وَمَا يُؤْمِنُني مِنْهُ، وَقَدْ خَافَهُ عُمَرُ	الحسن البصري	١٧٣
ومن يَأمَن عَلَى نَفْسِهِ النِّفَاق	الإمام أحمد	١٧٤
يابْنَ آدَمَ إِذَا أَرَدتَ أَنْ تَعْلَمَ	بكر المزني	٨٧

فهرس
الأبيات الشعرية

فهرس الأبيات الشعرية

البيت الشعري	القائل	الصفحة
أَلَا قُل لِمَنْ كَانَ لِي حَـاسِـدًا	أحد الشعراء	٢٦٢
وكيف أخافُ الفقرَ واللهُ رَازِقي	أحد الشعراء	٣٥
يَا ضَيْفَنَا لَوْ زُرْتَنَا لَوَجدتَنَا	أحد الشعراء	٢٩٠

المصادر المعتمدة

المصادر المعتمدة

١- الإبانة الكبرى لابن بطة/ ط. دار الراية- الرياض.

٢- أحكام القرآن لابن العربي/ ط. دار الكتب العلمية – بيروت.

٣- الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مُفلح/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٤- الأذكار للإمام النَّوَوِي / ط. دار ابن كثير- دمشق.

٥- الاستذكار لابن عبد البر/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير/ ط. التراث العربي- بيروت.

٧- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٨- الاعتصام للشاطبي/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٩- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية لأبي حفص البزار/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

١٠- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم/ ط. دار الجيل – بيروت.

١١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن القَيِّم/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

١٢- أمراض القلوب وشفاؤها لشيخ الإسلام ابن تيمية/ ط. دار القاسم- السعودية.

١٣- بدائع الفوائد لابن القَيِّم/ ط. مكتبة الباز- السعودية.

١٤- بر الوالدين لابن الجوزي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٥- بستان الواعظين ورياض السامعين لابن الجوزي/ ط. مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت.

١٦- بهجة قلوب الأبرار للسعدي/ ط. دار الرشد- السعودية.

١٧- تاريخ بغداد/ ط. دار الغرب – بيروت.

١٨- تاريخ دمشق لابن عساكر/ ط. دار الفكر- بيروت.

١٩- التبصرة لابن الجوزي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢٠- التبيان في أيمان القرآن لابن القَيِّم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٢٠- تحفة الأحوذي للمباركفوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٢١- التعريفات للجرجاني/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت

٢٢- التعليق المغني على الدارقطني شمس الحق العظيم آبادي/ ط. الرسالة- بيروت.

٢٣- تفسير ابن كثير/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢٤- تفسير البغوي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٢٥- تفسير السّعْدِي/ ط. مؤسسة الرسالة.

٢٦- تفسير الطبري/ ط. دار الفكر- بيروت.

٢٧- تفسير القرطبي/ ط. دار الشعب- القاهرة.

٢٨- تفسير سورة البقرة للشيخ ابن عثيمين/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٢٩- التمهيد لابن عبد البر/ ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية- المغرب.

٣٠- التنوير الحوالك للسيوطي/ ط. المكتبة التجارية الكبرى- مصر.

٣١- التيسير بشرح جامع الصغير للمناوي/ ط. مكتبة الإمام الشافعي- السعودية.

٣٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير/ ط. مكتبة البيان- سوريا.

٣٣- جامع الرسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٣٤- جامع العلوم والحكم لابن رجب/ ط. مؤسسة الرسالة.- بيروت.

٣٥- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٣٦- جلاء الأفهام لا بن القيم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٣٧- الجواب الكافي لابن القَيِّم/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٣٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٣٩- حاشية السِّنْدِي على سنن النسائي/ ط. مكتب المطبوعات الإسلامية- سوريا.

٤٠- حجة الله البالغة للدَّهْلَوِي/ ط. دار الجيل- بيروت.

٤١- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني/ ط. دار الفكر- بيروت.

٤٢- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم النجدي/ ط. دار القاسم– السعودية.

٤٣- الدِّين الخالص لصديق حسن خان/ ط. وزارة الأوقاف القطرية.

٤٤- ذَمُّ الهَوَى للإمام ابن الجوزي/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

٤٥- رسالة ابن القَيِّم إلى أحد إخوانه/ ط. مطابع الشرق الأوسط- السعودية.

٤٦- رسالة التبُّوكِية لابن القَيِّم/ ط. دار عالم الفوائد- السعودية.

٤٧- الرُّوح لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٨- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٤٩- روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٥٠- رياض الصالحين للنَّوَوِي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٥١- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٥٢- زاد المعاد لابن القَيِّم/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

٥٣- الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٥٤- سبل السلام الموصِّلة لبلوغ المرام للصنعاني/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٥٥- السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني/ ط. دار المعارف- السعودية.

٥٦- سنن ابن ماجه/ ط. دار إحياء الكتب العربية- بيروت.

٥٧- سنن أبي داود/ ط. المكتبة العصرية- بيروت

٥٨- سنن الترمذي/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٥٩- السنن الكبرى للبيهقي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٠- سنن النسائي/ ط.مكتب المطبوعات الإسلامية- دمشق.

٦١- سير أعلام النبلاء للذهبي/ ط. الرسالة- بيروت.

٦٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي/ ط.دار طيبة- السعودية.

٦٣- شرح الأربعين النَّوَوِية لابن عثيمين/ ط. دار الوطن- الرياض.

٦٤- شرح الزُّرْقَاني على موطأ الإمام مالك/ ط.مكتبة الثقافة- القاهرة.

٦٥- شرح السُّنَّة للبَغَوِي/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٦٦- شرح القصيدة النونية ابن القَيِّم للهراس/ ط.دار الكتب العلمية- بيروت.

٦٧- الشرح الممتع للشيخ ابن عُثَيْمِين/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

٦٨- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين/ ط.دار الوطن- الرياض.

٦٩- شرح صحيح البخاري لابن بَطَّال/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧٠- شعب الإيمان للبيهقي/ ط. دار الرشد- السعودية.

٧١- الشِّفَا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض/ ط. دار الفكر- بيروت.

٧٢- الشُّكْر لابن أبي الدنيا/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٧٣- صحيح البخاري/ ط. دار الأفكار- بيروت.

٧٤- صحيح الترغيب والترهيب للألباني/ ط.دار المعارف- السعودية.

٧٥- صحيح الجامع الصغير للألباني/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

٧٦- صحيح مسلم/ ط. دار المغني - السعودية.

٧٧- صفة المنافق للفريابي/ ط. دار الخلفاء- الكويت.

٧٨- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القَيِّم/ ط. دار العاصمة- السعودية.

٧٩- صيانة صحيح مسلم لابن الصلاح/ ط. دار الغرب الإسلامي- بيروت.

٨٠- صيد الخاطر لابن الجوزي/ ط.دار القلم- سوريا.

٨١- طبقات الحنابلة لأبي يعلى/ ط. دار المعرفة- بيروت.

٨٢- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القَيِّم/ ط.دار ابن القَيِّم- السعودية.

٨٣- عُدَّة الصابرين وذَخِيرَة الشاكرين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٨٤- عُمْدَة القاري شرح صحيح البخاري للعيني/ ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٨٥- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٨٦- غريب الحديث للخطابي/ ط. دار الفكر- بيروت.

٨٧- فتاوى الإسلامية/ ط.دار الوطن- السعودية.

٨٨- فتاوى الشيخ ابن باز/ إشراف وطباعة: محمد بن سعد الشويعر.

٨٩- فتاوى نور على الدرب لابن باز/ ط. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء- السعودية.

٩٠- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر/ ط. دار المعرفة- بيروت

٩١- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب/ ط. مكتبة الغرباء- السعودية.

٩٢- فتح الرحيم الملك العلام للسِّعْدِي/ ط. دار الفضيلة- السعودية.

٩٣- فتح القدير الجامع بين فَنَّي الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني/ ط. دار ابن كثير- دمشق.

٩٤- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسَّخَاوِي/ ط. دار المنهاج- السعودية.

٩٥- الفُرُوسِيَّة لابن القَيِّم/ ط. دار الأندلس- السعودية.

٩٦- الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي/ ط. دار ابن الجوزي-

السعودية.

٩٧- الفوائد لابن القَيِّم/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

٩٨- فيض القدير شرح جامع الصغير لعبد الرؤوف المُنَاوِي/ ط. المكتبة التجارية- مصر.

٩٩- قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعِزِّ بن عبد السلام/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١٠٠- القول السديد في مقاصد التوحيد للسِّعْدي/ ط. دار المغني- السعودية.

١٠١- كشف المُشْكِل من حديث الصحيحين لابن الجوزي/ ط.دار الوطن- السعودية.

١٠٢- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبي البقاء الكفومي/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١٠٣- لسان العرب لابن مَنْظُور/ ط. دار صادر- بيروت.

١٠٤- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف لابن رجب/ ط. دار ابن حزم- بيروت.

١٠٥- اللقاء الشهري لابن عُثَيْمِين/ ط. تفريغ موقع الشبكة الإسلامية.

١٠٦- مجموع الفتاوى لابن تيمية/ ط. مكتبة ابن تيمية- مصر.

١٠٧- المجموع شرح المهذب للنووي/ ط. دار الفكر- بيروت.

١٠٨- مجموع فتاوى الشيخ ابن عُثَيْمِين/ ط. دار الوطن- السعودية.

١٠٩- مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي/ ط. مكتبة لبنان- بيروت.

١١٠- مدارج السالكين لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١١١- مداواة النفوس لابن حزم/ ط. دار القلم- سوريا.

١١٢- المدخل لابن الحاج المالكي/ ط. مكتبة التراث- مصر.

١١٣- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري/ ط.دار الفكر- بيروت.

١١٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٥- المُسْتَطْرَف في كل فَنٍّ مُسْتَظْرَف للأبشيهي/ ط.عالم الكتب- بيروت.

١١٦- مسند الإمام أحمد/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٧- مسند البزار/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

١١٨- مسند الشَّامِيِّين للطبراني/ ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

١١٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض/ ط.مكتبة العتيقة.

١٢٠- مصنف ابن أبي شيبة/ ط. مكتبة الرُّشْد- السعودية.

١٢١- مصنف عبد الرزاق/ ط. المكتب الإسلامي- بيروت.

١٢٢- معالم السنن شرح سنن أبي داود للخطابي/ ط. المطبعة العلمية- سوريا.

١٢٤- معجم الأوسط للطبراني/ ط. دار الحرمين- مصر.

١٢٥- معجم الكبير للطبراني/ ط. مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

١٢٦- المغني لابن قدامة/ ط. دار عالم الكتب- السعودية.

١٢٧- مفتاح دار السعادة لابن القَيِّم/ ط.دار الكتب العلمية- بيروت.

١٢٨- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني/ ط.دار القلم- سوريا.

١٢٩- الملخص الفقهي للشيخ الفوزان/ ط. دار العاصمة- السعودية.

١٣٠- منهاج السنة النبوية لابن تيمية/ ط.جامعة الإمام محمد بن سعود- السعودية.

١٣١- منهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي/ ط. دار المعرفة.

١٣٢- الموافقات للإمام الشاطبي/ ط. دار المعرفة- بيروت.

١٣٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير/ ط. لمكتبة العلمية- بيروت.

١٣٤- نيل الأوطار للشوكاني/ ط. دار ابن الجوزي- السعودية.

١٣٥- الوابل الصَّيِّب من الكلام الطيب لابن القَيِّم/ ط. دار الكتاب العربي- بيروت.

١٣٦- غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني/ ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

❁ مقدمة المؤلف: ٥

تنبيه الأمة على مسائل وأحكام شرعية مهمة (المجموعة الخامسة)

❁ الإخلاص سبيل الخلاص ١٠
❁ تذكير الأخيار بفضل خُلق الإيثار ٢٠
❁ تذكير المسلم بفضل خلق الكرم ٣٠
❁ تذكير المسلمين بمكانة الصبر في الدين ٣٨
❁ حفظ الأمانة ٥٢
❁ خُلُق الحياء ٦٤
❁ رسالة إلى من أدرك شهر رمضان! ٧٤
❁ نعمة الصحة ٨٦
❁ تذكير المسلمين بأهمية التوكل على رب العالمين ٩٦
❁ السهر ١٠٨
❁ رسالة نصح وتذكير إلى أئمة المساجد ١١٦

❁ تسوية الصفوف في صلاة الجماعة ١٢٨
❁ تذكير الأنام بمكانة المسجد في الإسلام ١٤٠
❁ تذكير الأحباب بأهمية الاحتساب ١٥٠
❁ خلق الشجاعة ١٦٠
❁ فلنحذر من النفاق الأصغر! ١٧٠
❁ تذكير الأنام بأن توقير الكبار من تعاليم الإسلام ١٨٠
❁ آفة المغالاة في المهور ١٩٠
❁ تذكير أهل الإسلام أن الغيبة من كبار الآثام! ٢٠٢
❁ تذكير أهل الإيمان بأن الصدقة برهان ٢١٦
❁ تذكير البشر بالواجب نحو نعمة البصر ٢٣٠
❁ فلنحذر من خشوع النفاق! ٢٤٠
❁ مدح النفس ٢٤٨
❁ داء الأمم ٢٥٨
❁ صلاة الفجر ٢٦٨
❁ تحذير المسلمين من مجالسة المضلين ٢٨٠
❁ إكرام الضيف ٢٩٠
❁ أين نحن من تدبر هذه السورة العظيمة؟! ٣٠٠
❁ داء الحقد ٣١٢
❁ داء الكسل ٣٢٠

❁ من الفائز؟! ٣٣٠

الفهارس العامة للكتاب

❁ فهرس الآيات القرآنية ٣٤٠
❁ فهرس الأحاديث القدسية ٣٥٢
❁ فهرس الأحاديث النبوية ٣٥٤
❁ فهرس الآثار ٣٦٦
❁ فهرس الأبيات الشعرية ٣٧٢
❁ المصادر المعتمدة ٣٧٤
❁ فهرس الموضوعات ٣٨٩